

الأمير باميرالامير

السلطان
عليه السلام

صفائهم، أصنافهم، وظائفهم، موافقهم

ومعه
بعث حول عالم الجين

بقتلهم

عائده سراج الدين

مكتبة دار الفلاح
طاب. أقبول

الْأَمِيَنُ بِالْمَلِكِ الْكَرِيمِ

عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

صفاتهم، أصنافهم، وظائفهم، موافقهم

وَمَعَهُ

بَحْثٌ حَوْلَ عَالَمِ الْحَيَاتِ

بقلم

عبد سراج الدين

مَكْتَبَةُ كَلَامِ الْقِبْلَةِ

حلب - أقيول

طُبِعَ عَلَى نَفَقَةِ الْمُؤَلِّفِ
وَحَقُوقِ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ لَهُ

الطبعة الرابعة

١٤١٠ - ١٩٩٠

العكـد ٤٠٠٠

الطبعة والتجليد

مؤسسة الشام للطباعة والتجليد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم على سيدنا محمد إمام الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وأصحابه والتابعين إلى يوم الدين .

وبعد ، فإن عالم الملائكة هو أمر حق ، يجب الاعتقاد بوجودهم والايان بصفاتهم ، فقد جاء ذكرهم في مناسبات متعددة من كتاب الله تعالى وأحاديث رسول الله ﷺ ، وجميع تلك النصوص القرآنية والأحاديث النبوية تدلُّ دلالة قاطعة على حقيقة وجود الملائكة ، بمعنى أنهم ذواتٌ موجودة ، متصفة بصفات حميدة ، وأعمال رشيدة ، وأقوال سديدة ، كما سنفصل ذلك إن شاء الله تعالى .

وإن الملائكة عليهم السلام ليسوا ضرباً من الأوهام ، ولا نوعاً من تخیلات الأحلام . كما أنهم ليسوا عقولاً مجردة ، ولا من معاني النفوس البشرية السعيدة المسعدة ، وإنما هم عالم حقيقي الوجود ، غيبي عن العيان المشهود ، أكرمهم الله تعالى وشرفهم بالنفسيات الطاهرة الزكية ، والصفات القدسية ، فهم كرام بررة ، أنقياء طهرة ، يتقلبون في أعمال الصلاح والخير ، وينفرون من الفساد والشر ، عصمهم الله تعالى بعصمته ، ووجههم نحو عبادته وطاعته ؛ يسبحون الليل والنهار

لا يفترون ، ولا يعصون ما أمرهم الله تعالى ويفعلون ما يؤمرون

وقد كلف الله تعالى عباده أن يؤمنوا بهم فذكرهم سبحانه في جملة العقائد الإيمانية التي ائتمتها سبحانه لعباده بقوله : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ﴾ الآية .

وذلك بعد أن عرّف سبحانه عباده في كثير من الآيات القرآنية بأوصاف الملائكة وأصنافهم ، وأعمالهم ووظائفهم المرتبطة بالأكوان هامة ، وبالإنسان خاصة ، كما يتضح ذلك جلياً في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

فلم يكن وجوب الإيمان بالملائكة ، من باب إلزام الإيمان بما لا يلزم ، أو التعريف بعالم لاصلة للإنسان به ولا ارتباط له معه ولا فائدة له بالاطلاع والتعرف عليه ! كلاً ثم كلاً .. بل إن في الإيمان بالملائكة عليهم السلام والتعرف على أوصافهم ووظائفهم وأعمالهم ووجوه ارتباطهم بالأكوان والإنسان ، ووجوه تدابيرهم وتصرفاتهم في ذلك كما هو مقتضى مشيئة الله تعالى وحكمته وإذنه لهم في ذلك وأمره لهم بذلك - إن في ذلك لوجوهاً من الحكيم والعبر ، لذوي العقول والنظر . نذكر أطرافاً منها موجزة :

أولاً - أن يعلم الانسان سعة علم الله تعالى وعظيم قدرته وبديع حكمته ، وذلك أنه سبحانه خلق ملائكة كراماً لا يحصيهم الانسان كثرة ولا يبلغهم قوة ، أعطاهم الله تعالى قوة التشكل بأشكال مختلفة حسبما تقتضيه مناسبات الحالات .

ولا ينبغي للعاقل أن يرتاب في ذلك بعد ما ثبت في الكتاب والسنة ، واستسلم له العقل الصحيح وأقرّ بإمكانه ووقوعه ، إذ لا يستطيع العقل أن يحيل ذلك أو يبطل إمكان وقوعه مهما حاول إلى ذلك سبيلاً .

وأما قول من ينكر ما وراء المادة : كيف يثبت وجود شيء دون أن تراه العين أو تسمعه الأذن أو تحسه اليد ؟ فهذا قول مردود ، لأن إثبات وجود الموجود لا يتوقف على الوجدان ولا على رؤية العيان ، فان كثيراً من الكائنات هي قطعية الوجود دون أن تكون في الشهود ، ولكن ثبت وجودها بآثارها الدالة عليها . فهذه الأرواح المدبرة للأشباح ، وهذه العقول المدبرة للأجسام بإحكام ونظام ، وهذا الهواء الذي ملأ الفراغ والفضاء ، هي كائنات موجودات قطعاً مع أنها لا ترى بالعيان .

ولكن آثار الروح في حياة الجسم وحركته دليل وجودها وقبل

أن تنفخ فيه وبعد أن تنزع منه لاهياة في الجسم ولا حراك له . وإن
إحكام كلام العاقل وحسن تصرفه في أفعاله دليل وجود عقله . وإن
خلط كلام المجانين وسوء تصرفاتهم في أمورهم دليل فقدان عقولهم .
وإن شعور الانسان بعوارض الهواء من الحر والقرّ وتحرك الأشجار
وإثارة الغبار وتموج البحار وما يحمله الهواء من كائنات دقيقة صغيرة
الحجم بحيث لا ترى إلا بالمكبرات ، كل ذلك يدل على أن الهواء
موجود قطعاً وإن كانت العين لا ترى ذات الهواء للطافته وإنما ترى
آثاره وتشعر بعوارضه .

قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم
إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها ، وكان الله بما
تعملون بصيراً ﴾ وهذه الجنود هي ملائكة الله تعالى التي نزلت يوم
الأحزاب ، فزلزلت قلوب المشركين وأرثتهم ألوان الأفاعيل ، وأنزلت
فيهم المخاوف والتهاويل حتى انهزموا وولوا مدبرين في ظلمة الليل البهيم .

وقال تعالى في يوم حنين : ﴿ وأنزل جنوداً لم تروها ، وعذب
الذين كفروا ، وذلك جزاء الكافرين ﴾ فبين سبحانه أنه أنزل ملائكة
لم تر العين ذاتهم ، ولكن رأيت آثارهم وأفعالهم وتنكيلهم بأعداء الله
تعالى وتشيتهم وتعذيبهم وتشريدهم .

ثانياً : أن يعلم الانسان أن الله تعالى خلق ملائكة أنقياء أقوياء ،
أذن لهم في تدابير المكنونات بأمره تعالى إظهاراً لسلطان ربوبيته وعظمة
ملكه ، وأنه الملك المليك الذي تصدر عنه الأوامر العلوية ، وأن
الملائكة الكرام يتلقونها وينفذون أحكامها ومقتضياتها ، ويدبرون الأمور
وفق ما رسم ، كما قال تعالى : ﴿ فَاَلَمْ دَبِّرْنَاهُ أَمْرًا ﴾ ويقسمونها وفق
ما حكم ، فهو سبحانه له التدبير المطلق قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَدْبِرِ الْأُمُورَ ،
فَسِيقُولُونَ ﴾ وله سبحانه الأمر المطلق قال تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ
وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ . فمن الملائكة عليهم السلام مَنْ هم موكلون
بتطوير النطفة في الأرحام وتصويرها ثم نفخ الروح في الجنين ، وكتابة
أعماله التي سيعملها حتى موته ، ومنهم الكرام الكاتبون . يكتبون على
المكلف أعماله الصادرة عنه وأقواله ، ليُجْزَى بها يوم القيامة ، ومنهم
المعقبات الحفظة ، يحفظونه من أمر الله تعالى بذلك ، ومنهم القرناء
بإبن آدم يدلّثونه على الخير ويحذّرونه من الشر ، ومنهم الموكلون
بحضور مجالس الصلوات لله تعالى ، ومنهم الموكلون بحضور مجالس القرآن
الكريم وأنواع الذكر والعبادات ، ومنهم الموكلون بحضور مجالس
الصلوات على النبي ﷺ وتبليغها له ﷺ مع التسليمات ، ومنهم
المؤمنون على الدعوات ، ومنهم الداعون لابن آدم ، ومنهم المستغفرون
له ، ومنهم الرافعون أعماله الصالحة وأقواله الطيبة إلى رب العزة ،

ومنهم ملائكة الهمم والقيم ، ومنهم ومنهم ... إلى سائر ما هنالك من أصناف الملائكة عليهم السلام وأنواع ارتباطاتهم ومواقفهم من الإنسان وبقية الأكوان ، كما ثبت ذلك كله في الكتاب والسنة ، ومنفصله في مواضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

ومن هنا يعلم الإنسان ماذا يجب عليه تجاه مواقف الملائكة معه ومناط وظائفهم المتعلقة به ، فیرطها حقها ويعمل بمقتضاها ومواجبها .

وخذ مثلاً على ذلك أن الإنسان إذا علم أن عليه ملكاً رقيباً يراقبه ، عتيداً حاضر القناد لا يتركه ، متلقياً عنه ما يصدر منه ، فعليه أن يحسن الإلقاء والإيملاء لهذا الملك المتلقي عنه والمستطلي منه الذي يدوّن على الإنسان كتابه ويجمعه ، ثم يبسطه له يوم القيامة وينشره ليقراه ، قال تعالى : ﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ .

وهكذا ينبغي للإنسان أن يراعي جميع مواقف الملائكة معه المتعلقة بأموره الدينية وأفعاله الاختيارية .

ثالثاً - أن يعلم الإنسان أن الله تعالى ملائكة كراماً بررة جعلهم سبحانه وسطاء سفرة بينه وبين أنبيائه ورسله صلوات الله عليهم . قال تعالى : ﴿ بأيدي سفرة كرام بررة ﴾ ، وقال : ﴿ ينزل الملائكة بالروح

من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ﴿١﴾
وفي ذلك بيان وإعلان وتنويه وتنبيه إلى عظم النبوة والرسالة ، ورفعة
منزلة الشرائع الإلهية ، وشرف العلوم الربانية الموحاة إلى الأنبياء
 والمرسلين ، وأن شرائع الله تعالى مجيدة علياء ، كريمة غراء ، لأن
الذي شرعها هو العليم الحكيم ، أحكم لهم أحكامها ، ووضع لهم نظامها
على وجه يضمن مصالح العباد وسعادتهم ، وعزتهم الانسانية ، وكرامتهم
الآدمية ، فانه سبحانه هو أعلم بهم وبما يصلح شأنهم ، إذ أنشأهم من
الأرض وطوّرهم وصوّرهم .

فحقّ للشرائع الإلهية ، العلية القدسية ، وحكمة أحكامها ، وبديع
انتظامها أن تنزل بها أشرف الملائكة وساداتها ، على أشرف الخليفة
الانسانية وساداتها أنبياء الله تعالى ورسله صلوات الله تعالى وسلامه على
إمامهم وخطيبهم ، وصاحب شفاعتهم سيدنا محمد صاحب لواء الحمد
وراية المجد ، وعليهم أجمعين .

هذا وإن موضوع البحث في الملائكة عليهم السلام هو موضوع
واسع جداً ، وقد اقتضت في هذا الكتاب الذي جاء على عجلة من
أمره ، على جمل من القول ، وأطراف من المسائل المهمة المتعلقة بالملائكة
عليهم السلام ، لعلّها تفي ببعض المراد من الموضوع ، والله تعالى وليّ التوفيق .

وجوب الإيمان بالله ربكم عليهم السلام

قال الله تعالى معلماً لعباده مجمل الواجبات الاعتقادية ، وملقناً لهم جملة الأصول الإيمانية ، ومبيناً لهم ما يجب عليهم تجاه أوامره الشرعية من السمع والطاعة لأنها جاءت وفق ما أُعطي العبد من قدرة واستطاعة فقال سبحانه : ﴿ آمَنَ الرُّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، لَا تَفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ، غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ . لَا يَكْفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعُهَا ، لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ .. ﴾ الآية .

قال المحققون من أهل العلم والمعرفة : إن هذه الآية الكريمة هي فذلكة جامعة لما فصل قبلها من العقائد الإيمانية والأعمال التكليفية ، فجاءت هذه الآية مبينة لما يجب على المكلف أن يعرفه ويؤمن به ، وكيف يجب أن يكون موقف المكلف مع أوامر الله تعالى ، وذلك بأن يقف مع العقائد الإيمانية موقف الإيمان الجازم ، دون شك ولا ارتياب ولا تردد ولا اضطراب ، ويقف مع الأوامر العملية موقف السمع والطاعة ، والانقياد لموجبها ، فقال تعالى : ﴿ آمَنَ الرُّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

والمراد : بما أنزل إليه ﷺ من الوحي القرآني والوحي النبوي ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ ، والحكمة هي السنة النبوية ، وإنما ابتدئ بذكره ﷺ لأنه هو الأوجه والإمام فحق له أن يكون هو الوجه وله الأمام ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، ثم يأتي ذكر المؤمنين تابعين له سالكين سبيله ، جعلنا الله منهم .

﴿ كل آمن بالله ﴾ ومجمل الإيمان بالله تعالى هو : الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى حق ، وأنه سبحانه متصف بالكمالات المطلقة التي لانهاية لها ، منزّه عن الآفات والنقائص .

ومعنى أن الله تعالى حق : أي هو واجب الوجود ، لا شك في وجوده ، وكيف يُشك في وجوده سبحانه ومصنوعاته موجودة ، وآياته مشهودة؟! وإلى هذا نبّه الله تعالى العقلاء فقال : ﴿ أفى الله شك ؟ ﴾ ، أي لا شك في وجوب وجوده ، بدليل أنه : ﴿ فاطر السموات والأرض ﴾ يعني أن السموات والأرض وما احتوتا عليه موجودة مشهودة ، ولا قدرة لمخلوق على إيجادها ولا يمكن أن توجد بنفسها بلا موجد لها ، لأنها قبل وجودها معدومة قطعاً ، فمن هو الذي نقلها من العدم إلى الوجود ! فان العدم لا ينشأ عنه وجود فلا بدّ من موجد ، قال تعالى : ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ؟! ﴾ يعني أنهم شيء موجود

فكيف يصح أن يوجدوا لا عن موجد بل عن عدم؟! فإن ادَّعوا أنهم خلقوا أنفسهم فذاك باطل حساً ، وباطل عقلاً ، لأنه يلزم منه أنهم قبل إيجادهم لأنفسهم كانت أنفسهم موجودة!! فلا بدَّ وأن لهم موجدًا أوجدهم ليس من أنفسهم ، ولا من جنسهم ، بل هو الله الخالق لكل شيء وليس كمثله شيء .

ومما يوضح ذلك ويثبت قطعاً أن الله تعالى هو حقٌّ - بمعنى أنه واجب الوجود - : أن هذه الموجودات الممكنة كانت مسبوقة بالعدم ثم وجدت ، فلا بدَّ لها من موجد يرجح وجودها على عدمها ، فيخرجها من العدم الذي كانت فيه إلى حيِّز الوجود الذي صارت فيه ، ولا يمكن أن توجد بنفسها بلا موجد لها ، لأنه يلزم من ذلك ترجيح وجودها على عدمها الذي كانت فيه بلا مرجح ؛ وهذا باطل لدى جميع الموازين العقلية ، كما أنه يستحيل ترجيح إحدى الكفتين المحسوستين بلا مرجح لدى جميع الموازين الحسية المادية ، لأنه إذا كان ثمة كفتا ميزان متساويتان تماماً فانهما تكونان متعادلتين ، ولا يمكن أن ترجح إحداها على الأخرى إلا بمرجح من الثقلات أو ضغطة هواء ونحو ذلك .

وهكذا الوجود والعدم بالنسبة للممكنات قبل وجودها ، فإنها على حد سواء ، لا يمكن أن يترجح وجود الممكن على عدمه إلا

بمرجّح ، فالذي رجح وجودها على عدمها بإرادته هذا هو الله الخلاق العليم الذي قال : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ .

﴿ كُلُّ آمَنٌ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ﴾ ، ومجمل الإيمان بالملائكة هو : الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى خلق عالمًا أسماه بالملائكة ، وهم : أرواحٌ قائمة في أجسام لطيفة نورانية ، قادرةٌ على التمثيل بأمثلة مختلفة ، بإذن الله تعالى . كما سنوضح ذلك إن شاء الله تعالى .

﴿ كُلُّ آمَنٌ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ ﴾ ومجمل الإيمان بكتب الله تعالى هو : الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى أنزل على رسوله عليهم صلوات الله تعالى ، كتبًا مشتملة على هدي العباد ، وبيان ما فيه صلاح دنياهم وآخرتهم ، وما لهم وما عليهم من الحقوق والواجبات ، كما أن فيها بيان سبل السعادة والرشاد إلى ما فيه خير البلاد والعباد . وإنزالُ هذه الكتب الإلهية بتلك الحكم البالغة والحجج الدامغة والبراهين الساطعة اللامعة ، ذلك مقتضى حكمة رب العالمين ، وأنه الملك الحق المبين . يتعهد عباده بالإسعاد والإرشاد ، ويحسن تربيتهم بإنزال التعاليم الإلهية والأنظمة الشرعية والتوجيهات الأدبية الخلقية ، ليفوزوا بالسعادات الأبدية .

قال تعالى : ﴿ أَحْسِبْتُمْ أَنَّكُمْ إِنَّا لَا نَرْجِعُونَ ؟ ! ﴾ فتعالى الله الملك الحق ﴿ الْآيَةُ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ ﴾

لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد * ، فمن أنكر كتب الله تعالى وكذب بها فما عرف الله العليم الحكيم ، ولا عرف قدر رب العالمين . قال تعالى : * وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء .. * الآية ، نزلت فيمن أنكر نزول الكتب الإلهية وما حوت من السعادات البشرية .

هذا ، وإن الإيمان بكتب الله تعالى المذكورة في الآية يشمل أيضاً الإيمان بكتب الله تعالى القضائية القدرية ، وهي الكتب التي سطرت فيها جميع الحادثات الكونية والقضايا الخلقية . قال تعالى : * ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير * ، ويشير إلى هذا قوله تعالى في الإخبار عن السيدة مريم : * وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين * .

وبهذا تكون هذه الآية الكريمة ، وهي قوله تعالى : * آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه * الآية ، قد اشتملت على العقائد الإيمانية الستة المذكورة في حديث جبريل عليه السلام ، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره . فالإيمان بالقدر داخل في الإيمان بكتب الله القضائية . والإيمان باليوم

الآخر داخل في قوله تعالى : ﴿ غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ .

﴿ كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ﴾ ومجمل الايمان بالرسول صلوات الله تعالى وسلامه على نبينا وعليهم هو : الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولا يدهم على كل خير في عاجل أمرهم وآجله ، وفي دنياهم وآخرتهم ويحذرهم من كل شر في عاجل أمرهم وآجله ، وفي دنياهم وآخرتهم ، كما ثبت في صحيح مسلم وغيره عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فزلنا منزلا فنام من يصلح خباءه ومنا من ينتضل ومنا من هو في جشّره - المواشي ونحوها - إذ نادى منادي رسول الله ﷺ « الصلاة جامعة » فاجتمعنا إليه ﷺ فقال : « إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلمه لهم ، وإن أمتكم هذه جعلت عافيتها في أولها ، وسيصيب آخرها بلاء شديد وأمور تنكرونها ، فتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضا ، فيقول المؤمن هذه مهلكتي ، ثم تنكشف ، ثم تجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه هذه . فمن أحب أن يرحل عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه » .

وأما تفاصيل الإيمان بالله تعالى وكتبه ورسله فكلٌّ منها يحتاج إلى كتاب خاص .

وكما أن الله تعالى لقّن عباده جوامع عقائدهم الإيمانية ، وأجهلها لهم في آخر سورة البقرة ، كذلك لقّنهم سبحانه إياها عن طريق الوحي النبوي إلى سيدنا محمد ﷺ ، فأرسل الله سبحانه جبريل عليه السلام متمثلاً بصورة أعرابي يسأل الرسول ﷺ عن مجامع أمور الدين وكتّياتها : الاسلام المتعلق بالأمور الظاهرة ، والايمان المتعلق بالعقائد القلبية ، والاحسان المتعلق بالأحكام القلبية ، وقضايا الساعة وأشراتها ، ليكونوا على بينة من أمرها ويأخذوا حذرهم منها ، لأنها سوف تدرك هذه الأمة . فما أحوج هذه الأمة إلى معرفة أمارات الساعة وأشراتها ! .

روى مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال :
بينما نحن جلوس في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذه - أي نخذي نفسه ، وجلس على هيئة المتعلم المتأدب . أو : على نخذي النبي ﷺ كما في رواية للنسائي : أن النبي

ﷺ كان يجلس بين ظهراني أصحابه ، فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو ﷺ حتى يسأل ، فطلبنا إلى رسول الله ﷺ أن نجعل له مجلساً يعرفه الغريب إذا أتاه ، فبنينا له دكاناً - أي مرتفعاً - من طين فكان يجلس عليه . وإنا لجلوس ورسول الله ﷺ في مجلسه ، إذ أقبل رجل أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً كأن ثيابه لم يمسه دنس ، حتى سلم في طرف البساط فقال : السلام عليك يا محمد ، فرد عليه النبي ﷺ السلام . فقال : أدنو يا محمد ؟ فقال ﷺ : ادنُ . فما زال يقول : أدنو يا محمد ؟ مراراً ، ويقول له ﷺ ادنُ ، حتى وضع يديه على ركبتي النبي ﷺ - فقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً » ، فقال - أي جبريل - صدقت . فقال عمر : فعجبنا له يسأله ويصدقّه - يعني أن أمر هذا السائل عجيب ، فإن سؤاله يدل على عدم علمه بما يسأل عنه ، وقوله « صدقت » يدل على أن له سابقة علم بما يسأل عنه - قال : فأخبرني عن الإيمان ، فقال ﷺ : « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » ، قال : صدقت . قال فأخبرني عن الإحسان ، فقال ﷺ : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه

يراك » - وفي رواية : « أن تخشى الله كأنك تراه . . » - قال : فأخبرني عن الساعة ، فقال ﷺ : « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » . قال فأخبرني عن أماراتها - علاماتها - فقال ﷺ : « أن تلد الأمة ربّتها ، وأن ترى الحفاة العرّاة المالة - الفقراء - رعاء الشاء يتطاولون في البنيان » .

ثم انطلق - أي جبريل - قال عمر : فلبثت ملياً - وقتاً طويلاً - ثم قال لي رسول الله ﷺ : « يا عمر أتدري من السائل ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » . وقد نقل الامام النووي عن القاضي عياض رحمهما الله تعالى أنه قال : إن هذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الايمان ، وأعمال الجوارح ، وإخلاص السرائر ، والتحفّظ من آفات الأعمال ، حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه . قال : وعلى هذا الحديث وأقسامه الثلاثة ، ألفنا كتابنا الذي سميناه بـ « المقاصد الحسان فيما يلزم الانسان » . إذ لا يشذ شيء من الواجبات والسنن والرغائب والمحظورات والمكروهات عن أقسامه الثلاثة والله أعلم . اهـ .

ولما كان الايمان بالملائكة عليهم السلام ركناً من أركان الايمان

لما تقدم ثبوت ذلك بنص الكتاب في الآية السابقة ، ونص السنة في الحديث المتقدم - كان إنكار وجود الملائكة عليهم السلام كفراً وضلالاً قال تعالى : ﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً ﴾ .

حقيقة الملائكة عليهم السلام^(١)

الملائكة عليهم السلام هم : أرواح قائمة في أجسام لطيفة نورانية ، قادرة على التمثّل بأشكال مختلفة بإذن الله تعالى ، لا يوصفون بأثوثة ولا ذكورة .

والدليل على أنهم أجسام لطيفة نورانية ما رواه مسلم وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجانّ من مارجٍ من نار ، وخلق آدم مما وُصف لكم » .

(١) الملائكة جمع ملاك ، على وزن شمائل جمع شمأل ، وهو مقلوب عن مأك ، مشتق من الألوكة وهي الرسالة ، لأن الملائكة عليهم السلام رسل الله تعالى في تبليغ أوامره أو تديرها أو تنفيذها أو نحو ذلك ، ثم جرى التخفيف على لفظ مأك فقبل ملك . وهناك توجيهات أخرى في الاشتقاق .

فقد بيّن النبي ﷺ في هذا الحديث أصول العوالم الثلاثة :
الملائكة والجن والانس ، وقدم ذكر الملائكة لأنهم أسبق في الوجود
على الجن ، ثم الجن لأنهم خلُقوا قبل الانس . قال تعالى : ﴿ ولقد
خلقنا الانسان من صلصالٍ من حمأٍ مسنون . والجان خلقناه من قبل
من نار السموم ﴾ .

فالملائكة خلقت من نور ، وأما الجن فقد خلُق أبوهم الأول
وهو الجان من نار السموم . قال تعالى : ﴿ وخلق الجان من مارج
من نار ﴾ أي من نار مخلوطة بهواء ، كما قاله المحققون ، والمعنى أنهم
خلُقوا من عنصرين مختلطتين : النار والهواء .

وأما أبو البشر وهو آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، فانه
خلق كما وصفه الله تعالى في مواضع متعددة من الكتاب العزيز حسب
المناسبات الحكيمة ، فأخبر سبحانه في موضع أنه خلق من تراب ، قال
تعالى : ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ﴾ الآية ،
إشارة إلى المبدأ الأول ، وفي موضع آخر أخبر أنه خلقه من طين ،
قال تعالى : ﴿ وبدأ خلق الانسان من طين ﴾ إشارة إلى الجمع بين
التراب والماء . وأخبر في موضع آخر أنه خلقه من طين لازب ، قال
تعالى : ﴿ إنا خلقناهم من طين لازب ﴾ إشارة إلى الطين المستقر على

حالة من الاعتدال ليصلح لقبول التصوير . وأخبر في موضع آخر أنه خلقه من صلصال من حمأ مسنون ، إشارة إلى يسه وسماع صلصلة منه ، وأخبر في موضع آخر أنه خلقه من صلصال كالفخار ، قال تعالى : ﴿ خلق الإنسان من صلصال كالفخار ﴾ . ثم نبّه سبحانه على تكميل هذا الإنسان بنفخ الروح فيه ، فقال سبحانه : ﴿ فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ فأمر الملائكة بالسجود له بعد نفخ الروح فيه ، فافهم . ثم نبّه سبحانه على تكميل نفس هذا الإنسان بالعلوم والمعارف والآداب ، فقال تعالى : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ الآية .

قال المحققون من أهل المعرفة رضي الله عنهم : وإنما قال ﷺ : « وخلق آدم مما وُصف لكم » ولم يقل كما قال قبله - أي في الملائكة والجن - طيباً للاختصار ، لأنه ﷺ أوتي جوامع الكلم ، وهذا منها ، إذ الملائكة لم يختلف أصل خلقها ولا الجان ، وأما الإنسان فاختلف خلقه على أربعة أنواع ، فخلق آدم ليشبه خلق حواء ، وخلق حواء ليشبه خلق آدم ، وخلق عيسى ليشبه خلق الكل - أي ليشبه خلق آدم ولا حواء ولا خلق ذريتهما - فأحال ﷺ على ما وصل إلينا من تفصيل خلق الإنسان . اهـ .

ثم إن الجن والانس تشملهما صفة الذكورة والأنوثة ، ويجري
بينهم التناكح والتناسل ، وأما الملائكة عليهم السلام فلا يوصفون
بذكورة ولا أنوثة ، فإنهم نوع من خلق الله تعالى وعباد من عباده
مغاïرون لنوع الانس والجن . قال تعالى ردّاً على المشركين الذين حكموا
على الملائكة بالأنوثة : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً .
أشهدوا خلقهم ؟ ! ستكتب شهادتهم ويسألون ﴾ .

ومن ثمّ نصّ العلماء في كتب العقائد على كفر من قال بأنوثة
الملائكة لمعارضة صريح النص القرآني ، كما نصّوا على التبديع المفسق
لمن قال بذكورتهم .

تمثلت الملائكة عليهم السلام

لقد أعطى الله تعالى الملائكة عليهم السلام قوة التشكل بأشكال مختلفة ، حسب المناسبات التي تقتضيها الحالات التي يذهبون فيها بأمر الله تعالى .

قال الله تعالى مخبراً عن مريم عليها السلام : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ ، فجاءها جبريل عليه السلام بصورة بشر سوي الخلق كامل البنية ، يبشرها بسلام زكي النفس نامي الخير برّ الوالدة . قيل ان جبريل عليه السلام جاءها على الصورة التي سيخلق عليها عيسى عليه السلام ، لتكون صورة عيسى الخلقية على الصورة المثالية التي جاء بها جبريل عليه السلام .

ومن تمثلات الملائكة حسب المناسبة ، ما ذكره الله تعالى عنهم في قوله ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ . إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ، قَوْمٌ مُنْكَرُونَ . فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ، فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ؟ . فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً . قَالُوا لَا تَخَفْ ، وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾ .

ورد أن جبريل وميكائيل وإسرافيل - ويروى معهم غيرهم -

جاءوا إلى خليل الرحمن إبراهيم على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ضيوفاً ،
في صور رجال حسان شبّان عليهم المهابة والوقار ، فقالوا : سلاماً
- أي نسلم عليك سلاماً - فقال : سلام - أي عليكم سلام دائم -
فخيّام بأحسن من تحيتهم كما أصر الله تعالى بذلك ، لأن تحيته كانت
بجملته اسمية دالة على الثبوت والدوام .

وقد اشتملت هذه الآية الكريمة على وجوه الثناء من الله تعالى
على خليله إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، ووجوه آداب
الضيافة الكريمة .

أولاً : قوله « سلام » بالرفع ، وهم سلّموا عليه بقولهم « سلاماً »
بالنصب . والمرفوع أكمل ، لدلالته على التجدد والثبوت .

ثانياً : قوله « قوم مُنكَرُون » فإنهم لما دخلوا عليه ولم يعرفهم
لأوّل وهلة احتشم من مواجهتهم بلفظ ينفر الضيف ، فلم يقل أنتم
قوم منكرون بل حذف المبتدأ ، وهذا ألطف في الكلام والمواجهة .

ثالثاً : لم يقل إني أنكركم بل قال « قوم مُنكَرُون » ، فكأنه
يعرّض بأن أهل المجلس الذين هم عنده من قبل ، لا يعرفون هؤلاء
الداخلين من الضيوف ، وفي هذا التعبير بُعِدَ عن المواجهة الخشنة ،
وهذا مبني على أنه ﷺ لم يعرف في بادئ دخولهم أنهم ملائكة ،

وقال بعض علماء السلف بل قد عرفهم الخليل أنهم ملائكة الله تعالى وإنما عرّض عن عنده حيث لم يعرفوهم .

رابعاً : أنه راغ إلى أهله ليجيئهم بنزّلهم ، والرّوّغان هو الذهاب في خفاء ، بحيث يكاد أن لا يُدرى به ، وهذا من كرم المضيف وذلك بأن يذهب ليأتي بالضيافة بحيث لا يشعر به الضيف فيشقّ عليه وليستحي .

خامساً : ذهب إلى أهله وجاء بالضيافة ، فدلّ ذلك على أنه عليه السلام كان معدّ الضيافة للضيفان ومهيئاً لهم ، ولم يحتجّ إلى أن يذهب فيشتري أو يستقرض ويهيء لهم .

سادساً : قوله تعالى ﴿ فجاء بعجل سمين ﴾ يدل على خدمته عليه السلام للضيف بنفسه ، ولم يقل فأمر لهم ، بل ذهب بنفسه وجاء بالضيافة ، ولم يبعث خادماً ، وهذا أبلغ في الأكرام .

سابعاً : إنه عليه السلام جاء بعجل كامل ولم يأت ببعض منه ، وفي هذا تمام الكرم .

ثامناً : إنه عليه السلام قدم عجلًا سمينًا ليس بالهزيل وهو من أنخر الأموال التي تُقتنى ، فأثر به الضيفان .

تاسعاً : إنه قرّبه إليهم بنفسه ولم يقربهم إليه ، وهذا أبلغ في
الأكرام للضيفان .

عاشراً . إنه عليه السلام قال : « ألا تأكلون » وهذا عرض
وتلطّف بالقول ، وهذا أحسن من قوله كلوا ونحو ذلك ، ونظيره
قول المضيف : بسم الله . أو ألا تجبرنا ؟ ونحو ذلك من العبارات التي
يوجهها المضيف لضيفه تلطفاً به وتكريماً له .

ومن تمثلات الملائكة عليهم السلام ما ثبت في الصحيح أن جبريل
عليه السلام كان يأتي النبي ﷺ بصورة رجل أعرجي حسن المنظر ،
وكثيراً ما كان يتمثل له بصورة دحية بن خليفة ، حيث كان جميل
الصورة حسن الهيئة .

فمن تمثله عليه السلام بصورة رجل : ماورد في الصحيحين - واللفظ
للبخاري - عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام سأل رسول
الله ﷺ فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله
ﷺ : « أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس - وهو أشده عليّ -
فيفصم عني وقد وعيتُ عنه ما قال ، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني
فأعي ما يقول » . قالت عائشة رضي الله عنها : ولقد رأيته ﷺ ينزل
عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد

عرقاً . والكلام على الوحي في مثل صلصلة الجرس وبقية أنواع الوحي يأتي في غير هذا الكتاب .

ومن . تمثاله بصورة أعرابي ماورد في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ... الحديث كما تقدم .

فاقتضت الحالة التي جاء فيها أن يتمثل بصورة أعرابي غير معروف ، ليراه الصحابة ويسمعوا سؤاله للنبي ﷺ وليسمعوا جواب رسول الله ﷺ له عن أمور دينهم ، ويتعلموها عن طريق السؤال والجواب ، لتنزل في قلوبهم وترتسم في ذاكرتهم .

وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ بصور حسب المناسبة التي اقتضتها تلك الحالة . فجاء يوم بني قريظة بصورة محارب عليه السلاح كما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما رجع رسول الله ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل - تنظفاً من آثار السفر - أتاه جبريل عليه السلام فقال : قد وضعت السلاح ؟ والله ما وضعناه - أي نحن الملائكة لم نضع السلاح - وعند ابن سعد : ولم تضع السلاح ملائكة الله تعالى ، اخرج إليهم . فقال ﷺ : « إلى أين ؟ » فقال وأشار إلى بني قريظة ، فخرج إليهم النبي ﷺ .

وعند الطبراني والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت : سلّم علينا رجل ونحن في البيت فقام ﷺ فزِعاً ، فقامتُ في أثره ، فإذا بدحية الكلبى ، فقال ﷺ : « هذا جبريل يأمرني أن أذهب إلى بني قريظة » قالت عائشة : فكأنني برسول الله ﷺ يمسح الغبار عن وجه جبريل عليه السلام .

وعند البخاري : وهو - أي جبريل - ينفض رأسه من الغبار . وقال أنس رضي الله عنه - كما في البخاري - : وكأنني أنظر إلى الغبار في زقاق بني غم موكب جبريل حين سار إلى بني قريظة . وعند ابن سعد : فذهب جبريل ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار في زقاق بني غم من الأنصار .

ومن هنا يُعلم أن تمثلات الملائكة عليهم السلام تكون على مقتضى الحالات التي يأتون بها كما أمرهم الله تعالى .

ومن ذلك تمثل الملك بصورة أبرص ثم بصورة أقرع ثم بصورة أعمى ، حيث أرسله الله تعالى يمتحن الذي كان أبرص والذي كان أقرع والذي كان أعمى ، ثم أكرمهم الله تعالى بحسن الحال والصحة والكمال فجاء الملك يختبرهم : أيشكرون نعمة الله تعالى عليهم ويعرفونها ويؤدونها حقها ، أم يكفرون ويبحدون نعمة الله عليهم ؟ .

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن ثلاثة من بني إسرائيل : أبرص وأقرع وأعمى أراد الله تعالى أن يبتليهم - أي يختبرهم - فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال له : أي شيء أحب إليك ؟ فقال : لون حسن وجلد حسن قد قَدَرَنِي الناس . قال : فمسحه الملك ، فذهب عنه فأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً . فقال له الملك : وأي المال أحب إليك ؟ فقال : الإبل ، فأعطاه ناقةً عَشْرَاء ، وقال : بارك الله لك فيها .

وأتى - الملك - الأقرع ، فقال : أي شيء أحب إليك ؟ فقال : شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قد قَدَرَنِي الناس . فمسحه - أي الملك - فذهب وأعطى شعراً حسناً . فقال الملك : فأَيُّ المال أحب إليك ؟ فقال : البقر ، فأعطاه بقرةً حاملاً ، وقال : بارك الله لك فيها . وأتى - أي الملك - الأعمى ، فقال له : أي شيء أحب إليك ؟ قال : يردُّ الله عليَّ بصري فأبصر به الناس ، قال فمسحه الملك ، فردَّ الله إليه بصره ، قال : فأَيُّ المال أحب إليك ؟ قال : الغنم ، فأعطاه شاةً والدأ ، فأنتج هذان وولَدَ هذا ، فكان لهذا وادٍ من إبل ، ولهذا وادٍ من بقر ، ولهذا وادٍ من غنم .

ثم إنه - أي الملك - أتى الأبرص في صورته - أي في صورة

الأبرص حين كان أبرص - وهيئته ، فقال - الملك - له : رجل مسكين انقطعت به الحبال - أي أسباب الرزق في سفره - فلا بلاغ له اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال أسألك بغيراً أتبلغ به - أي أتوصل به إلى مرادي - في سفري ، فقال له الأبرص : إن الحقوق كثيرة^(١) . فقال له - الملك - كأنني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس ، فقيراً فأعطاك الله تعالى ؟ فقال الأبرص : إنما ورثت هذا المال كبراً عن كابر - أي كبيراً عن كبير في العز والشرف - فقال له الملك : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت .

وأتى الأقرع في صورته وهيئته ، فقال له مثل ما قال للأبرص ، فرد عليه الأقرع مثل ماردٍ عليه الأبرص ، فقال له الملك : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت .

وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال له : رجل مسكين وابن سبيل ، انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك ،

(١) يريد بذلك أن يعتذر عن الاعطاء والاعانة بمعاذير باطلة ، فيقول إن الحقوق عليّ كثيرة من جانب العيال والأقارب ، ومن هنالك ، وهذا جواب الأشحاء إذا طلب منهم العطاء فيعتذرون بأن عليهم مطالبة وهم في ضائقة وشدة ، وكان الملك يقول لهم اللهم آمين .

أسألك بالذي ردّ عليك بصرک شاةً أتبلّغ بها في سفري . فقال له الأعمى : قد كنتُ أعمى فردّ الله تعالى عليّ بصري وفقيراً فقد أغنانني ، نخذ ماشئت فوالله لا أجهدك بشيء أخذته لله - أي لا أشق عليك في ردّ شيء - فقال : أمسك مالك ، فإنما ابتليتكم ، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك .

وهذه التمثلات الملكية هي من باب التظاهر في مثال صوريّ مناسب للحال الذي جاء الملك فيها . وهذا المثال له أحكامه الخاصة ، فلا يلزم من تمثّل الملك بصورة بشر أن تناله الأحكام البشرية من الطعام والشراب ونحوهما ، ولذلك لما تمثّلت الملائكة بصورة الرجال وجاءت إلى الخليل عليه الصلاة والسلام ضيوفاً وقدم لهم الطعام لم يتناولوا منه شيئاً . فهذا النوع من التمثّل الملكي هو من أنواع عالم المثال ، كما أوضح ذلك المحققون من أهل العلم في كتبهم مثل كليات أبي البقاء والحجة البالغة وغيرهما ونحن نذكر هنا كلمات مختصرة عن عالم المثال وأدلة وجوده وبعض أحكامه فنقول :

عالم المثال

لقد ثبت في نصوص الكتاب والسنة أن هنالك عالماً برزخياً ، تتظاهر فيه الأرواح والمعاني والأعمال والأقوال ، بأمثلة خسية تتناسب معها .

ويسمى هذا العالم عند العارفين والعلماء المحققين « عالم المثال »
« وعالم الخيال المنفصل » لأنه غير مادي ولأنه جامع لمثال كل شيء .

فمن تمثلات الأرواح الملكية : ماورد في قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا

إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ كما تقدم ، وقال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ الآيات ، كما تقدم بيانها قريباً
وقوله ﷺ : « وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي مايقول » .
جميع ذلك من باب التمثلات الملكية في الأجسام المثالية .

وحكم هذا الجسم المثالي إذا تمثّلت به الأرواح الملكية أنه يعتريه

مايعتري الأجسام العنصرية من العوارض الجسمية ، كالغبار وإصابة الجسم
بآفة إذا أصيب بضربة ، غير أنه لا يأكل ولا يشرب .

يدلّ على ذلك ماورد في الصحيحين واللفظ لمسلم عن أبي هريرة

رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « جاء ملك الموت إلى

موسى عليه السلام فقال له : أجب ربّك . قال فاطم موسى عين ملك

الموت ففققأها ، قال فرجع الملك إلى الله تعالى فقال : إنك أرسلتني

إلى عبد لك لا يريد الموت وقد فققأ عيني . قال فردّ الله إليه عينه وقال :

إرجع إلى عبي - أي إلى موسى - فقل : الحياة تريد ؟ فإن كنت

تريد الحياة فضع يدك على متن ثور - ظهر ثور - فما توارت يدك من

شعرة - أي ماوارته وسترته يدك من شعرة تحتها - فانك تعيش بها سنة . فقال - موسى عليه السلام - : ثم مه ؟ - أي ماذا يكون بعد ذلك - قال - ملك الموت - : ثم تموت . قال - موسى - : فالآن من قريب ؛ رب أمتني من الأرض المقدسة رميةً بحجر . أي بالنسبة لموضعه عليه السلام أو بالنسبة لبيت المقدس ، وذلك ليتقرب من بيت الله تعالى المقدس الذي بارك الله تعالى حوله .

ثم قال رسول الله ﷺ : « والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر » .

فهذا الحديث يدل على أن الصورة المثالية تتأثر بما تتأثر به الأجسام العنصرية من صدمة وضربة صائبة ونحو ذلك ، فقد أثرت لطمة موسى عليه السلام في الصورة المثالية التي جاءه بها ملك الموت . وقد يشكل على بعض الناس ما فعله موسى بملك الموت عليهما السلام . وقد أُجيب عن ذلك بعدة أجوبة :

منها : أن نبي الله تعالى موسى عليه السلام يعلم بمقتضى نبوته أنه لن يقبض نبي حتى يخبره الله تعالى بين الدنيا والآخرة ، كما ورد في الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح : « لن يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ،

ثم يُحيّا أو يُخيّر « فلما نزل به - أي مرض - ورأيتُه على فخذي
غُشي عليه ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت ثم قال : « اللهم
في الرفيق الأعلى » قلتُ إذاً لا يختارنا . قالت عائشة رضي الله عنها :
وعرفتُ أنه الحديث الذي كان يحدثنا به وهو ﷺ صحيح - أي من
أنه لن يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يُخيّر - فكانت تلك
آخر كلمة تكلم بها : اللهم في الرفيق الأعلى .

فهذا نبي الله موسى عليه السلام لما جاءه ملك الموت ملزماً له
بقوله « أجب ربك » احتدّ منه موسى عليه السلام وغضب ، فكان
ما كان ، ولكن لما جاء بعد ذلك فخيّرأ تلقاه بالترحيب والتلطيف دون
غضبة ولا تعنيف .

ومن الأجوبة أيضاً : أن ملك الموت لما دخل على موسى عليه
السلام بيته بصورة رجل ، لم يعلم موسى عليه السلام أنه ملك الموت
فصكّه - كما في رواية البخاري - أي ضربه ، على أنه بشر دخل عليه
بيته بدون إذنه ، فضربه تأديباً ففقأ عينه ، لا عن قصد منه لذلك .
وهذا من باب ما ورد في الصحيحين - واللفظ للبخاري - عن أنس
رضي الله عنه أن رجلاً اطّلع من بعض حُجَر النبي ﷺ فقام إليه
النبي ﷺ بمشقص - وهو نصل السهم الطويل - قال أنس فكانني

أنظر إليه يختل الرجل ليطعنه . وفي رواية سهل بن سعد : قال اطلع رجل من جحر في جحر النبي ﷺ ومع النبي ﷺ مِذْرَى يَحْكُ بِهِ رَأْسَهُ ﷺ . فقال ﷺ : « لو أعلم أنك تنظر لطعنتُ به في عينك . إنما جعل الاستئذان من أجل البصر » .

وأما الحكمة في إرسال ملك الموت إلى موسى عليه السلام بذلك ثم يكون ما يكون في ذلك وجوه من الحكم ، منها : ما ذكره كثير من العلماء والعارفين أن ذلك من باب الاختبار والابتلاء لموسى عليه السلام ، كما اختبر الله تعالى وابتلى خليفه إبراهيم عليه السلام بذبح ولده ، ولكن هذا الجواب مجمل يحتاج إلى تفصيل وبيان وجه ارتباط كل صورة من هذا الاختبار والابتلاء بمقام صاحبه المبتلى . ولولا مخافة الإطالة لبسطنا ذلك على الوجه الذي بسطه العارفون ، ولكن فيما ذكرنا كفاية .

ثم إن الجسم المثالي هو كما قلنا لا يأكل ولا يشرب ، لأنه ليس جسماً عنصرياً أو أرضياً . قال تعالى : ﴿ وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام ، وما كانوا خالدين ﴾ أي : وما جعلنا أجساد الرسل أجساداً مثالية لا تأكل ولا تشرب ، وإنما هم أجساد ترابية تحتاج إلى الأكل والشرب ، ومن ثمَّ لما جاءت الملائكة عليهم السلام إلى خليل

الرحمن على نبينا وعليه الصلاة والسلام رجالاً ضيوفاً وقدم لهم الطعام لم يتناولوا منه شيئاً .

وأما الدليل على أن الجسم المثالي تعتريه عوارض الغبار والعرق ونحو ذلك فهذا كما ورد في الحديث المتقدم عن عائشة رضي الله عنها أن جبريل عليه السلام لما جاء إلى النبي ﷺ مرجه من غزوة الخندق وكان بصورة دحية الكلبي فقال ﷺ : « هذا جبريل بأمرني أن أذهب إلى بني قريظة » قالت عائشة رضي الله عنها : فكان رسول الله ﷺ يمسح الغبار عن وجه جبريل عليه السلام .

تمثّلت المعاني بصور مثالية

أما تمثّلات المعاني بصور مثالية ، فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ؛ اقرأوا سورة البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف تحاجّان عن صاحبهما ، اقرأوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة » .

وفي المسند عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي ﷺ سأله

أي آية في كتاب الله أعظم ؟ قال : الله ورسوله أعلم . فرددها مراراً
ثم قال أبي : آية الكرسي ، فقال ﷺ : « لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ .
والذي نفسي بيده إن لها لساناً وشفتين تقدّس الملك عند ساق العرش » .
وأصل الحديث في مسلم .

وروى الامام أحمد في مسنده عن بريدة قال : كنت جالساً
عند النبي ﷺ فسمعتة يقول : « تعلّموا سورة البقرة فإن أخذها
بركة ، وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطالة » قال ثم سكت ساعة
ثم قال ﷺ : « تعلموا سورة البقرة وآل عمران فانها الزهراوان
يظللان صاحبها يوم القيامة ، كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من
طير صوافٍ ، وإن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه
قبره كالرجل الشاحب - أي الضعيف - فيقول : هل تعرفني ؟ فيقول : ما أعرفك
فيقول : أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر ، وأسهرت ليلك ،
وإن كل تاجر من وراء تجارته ، وإنك اليوم من وراء كل تجارة .
فيعطى الملك بيمينه ، والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى
والداه حلتان لا يقوم لهما - أي بقيمتها - أهل الدنيا ، فيقولان - أي
والدا القارئ - : بم كُسينا هذا ؟ فيقال بأخذ ولدكما القرآن ، ثم
يقال اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها ، فهو في صعود مادام يقرأ
هَذَا » أي وما دام يقرأ ترتيلاً .

ومن تمثلات المعاني : تمثل القرابة الرحمة وتعلقها بعرش الرحمن

جلّ وعلا .

جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة . قال : نعم ، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت بلى ، قال : فذاك لك . ثم قال رسول الله ﷺ : اقرأوا إن شئتم ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾ .

ومن عالم المثال ظهور المغيبات التي هي في عالم الغيب في صور

المحسوسات في عالم الشهادة . روى الترمذي وأحمد وغيرهما عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان فقال : « أتدرون ما هذان الكتابان ؟ » فقلنا : لا يا رسول الله إلا أن تخبرنا ، فقال رسول الله ﷺ للذي في يمينه - أي مشيراً للكتاب الذي في يمينه - : « هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ، ثم أجعل على آخرهم ، فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً . ثم قال ﷺ للذي في شماله : هذا

كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً » فقال أصحاب النبي ﷺ : ففيم العمل يا رسول الله إن كان الأمر قد فرغ منه ؟ فقال ﷺ : « سدّدوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة ، وإن عمل أيّ عمل - أي وإن عمل أيّ عمل قبل ذلك - وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أيّ عمل - أي قبل ذلك - ثم قال رسول الله ﷺ - أي فعل - هكذا ، فنبذهما - أي نبذ الكتابين - ثم قال : « فرغ ربكم من العباد ، فريق في الجنة وفريق في السعير » .

ففي هذا دليل واضح على أن هذين الكتابين ليسا من العالم الشهودي ، إذ لو كانا كذلك لالتقاها الصحابة حين نبذهما رسول الله ﷺ ولتراجحوا عليهما ، ليتبينوا أمورهم وأمور آبائهم أم في الجنة أم في النار ، ولكن حين نبذهما رسول الله ﷺ غابا عن الشهود وبقيا في غيبهما . ومما يدل على ذلك أيضاً أن أعظم كتاب في هذا العالم لا يتسع لأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وأسماء قبائلهم ، كما أن أعظم كتاب من هذا العالم لا يتسع لأسماء أهل النار وأسماء آبائهم وأسماء قبائلهم . قال المحققون من أهل المعرفة رضي الله عنهم : ولو أخذ

المخلوق يكتب هذه الأسماء على ماهي عليه من هذين الكتابين ، لما قام بذلك ورق العالم ، فمن هنا تعرف كتابة الله تعالى من كتابة المخلوقين والفرق بينهما . ا ه .

تمت الالهة

قال الله تعالى : ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً . ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضراً ، ولا يظلم ربك أحداً ﴾ .

فهو سبحانه يحضر للعباد أعمالهم التي صدرت منهم خيراً أو شراً فيجدونها حاضرة متمثلةً بصورها : الحسنات بصورٍ حسنة نورانية ، والسيئات بصور سيئة ظلمانية . ولا يسوغ حمل ذلك على أنهم وجدوها مكتوبة في صحفهم لأنه سبحانه قال : ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضراً ﴾ ولم يقل سبحانه : ووجدوا ما عملوا مكتوباً أو مسطوراً ، فان الكتابة عليهم لها حكم آخر وموقف آخر .

فالأعمال لها صور مثالية يراها العباد كلهم في عالم القبر وعالم الحشر والحساب وما وراء ذلك من عوالم الآخرة .

أما تمثل الأعمال في عالم القبر فيدل على ذلك ما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الميت إذا وضع في قبره وإنه يسمع قرع نعالهم حين يولون مدبرين فان كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه ، وكان الصيام عن يمينه ، وكانت الزكاة عن شماله ، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلاة والمعروف والاحسان إلى الناس عند رجله . فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة : ما قبلي مدخل ، ثم يؤتى عن يمينه فيقول الصيام : ما قبلي مدخل ، ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة : ما قبلي مدخل ، ثم يؤتى من قبل رجله فيقول فعل الخيرات من الصدقة والأمر بالمعروف والاحسان إلى الناس : ما قبلي مدخل ... » الحديث . قال المنذري : رواه الطبراني وابن حبان في صحيحه واللفظ له .

وأما تمثل الأعمال يوم القيامة : ففي المسند عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « تجيء الأعمال يوم القيامة فتجيء الصلاة فتقول يارب أنا الصلاة ، فيقول : إنك على خير ، فتجيء الصدقة فتقول يارب أنا الصدقة ، فيقول : إنك على خير ، ثم تجيء الصيام فيقول يارب أنا الصيام ، فيقول : إنك على خير ، ثم تجيء الأعمال - أي الحسنة - فيقول الله عز وجل : إنك على خير ، ثم تجيء »

الاسلام ... » الحديث . قال ابن كثير : تفرد به أحمد .

ففي هذا الحديث دليل ظاهر على تمثل الأعمال في عالم القبر وموقف الأعمال الصالحة مع صاحبها موقف المدافع عنه المحافظ عليه .

وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال : « والصلاة نور ، والصدقة برهان » وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ ذكر الصلاة فقال : « من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون وأبي بن خلف » . رواه الامام أحمد وابن حبان في صحيحه وغيرها .

وروى الطبراني عن عبادة بن الصامت مرفوعاً : « إذا حافظ العبد على صلاته فأقام وضوءها وركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت له حفظك الله كما حفظتني ، وصعد بها إلى السماء ولها نور حتى تنتهي إلى الله عز وجل فتشفع لصاحبها » .

فالصلاة تمثل بصورة مثالية نورانية ، ويصعد بها إلى السماء وهناك تشفع بصاحبها عند رب العالمين .

تمثلت الأقوال

جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حببتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » . وقال ﷺ : « والحمد لله تملأ الميزان » .

وروى الترمذي وأحمد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن مما تذكرون من جلال الله التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير يتعاطفن - أي يجتمعن - حول العرش ، لهنّ دويّ كدويّ النحل يذكّرن بصاحبهنّ ، أفلا يحب أحدكم أن يكون له من يذكر به عند ربه ! » .

فللتسبيح والتحميد وسائر الأقوال التي يُذكر الله تعالى بها ، لها صور مثالية نورانية تجتمع إلى بعضها حول العرش وتشفع بصاحبها . ومن ذلك تمثل القرآن يوم القيامة شفيعاً بصاحبه ، كما تقدم في قول النبي ﷺ : « اقرأوا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ... » الحديث .

ومن ذلك وقوف القرآن من الانسان موقف الحجة له أو عليه ،

كما صح عنه ﷺ أنه قال : « والقرآن حجة لك أو عليك » يعني أن قرآن القارئ يأتي يوم القيامة حجة له إن عمل به ، وحجة عليه إن لم يعمل بموجبه .

ويوضح ذلك ماجاء عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « يؤتى برجل يوم القيامة ويمثل له القرآن قد كان يضيع فرائضه ، ويتعدى حدوده ، ويخالف طاعته ويركب معاصيه ، فيقول : أي رب حملت آياتي بئس حامل : تعدى حدودي ، وضيع فرائضي ، وترك طاعتي ، وركب معصيتي فما يزال يقذف عليه بالحجج حتى يقال : فشأنك به ، فيأخذ بيده فما يفارقه حتى يكبّه على منخره - أي على وجهه - في النار .

« ويؤتى بالرجل قد كان يحفظ حدوده - أي حدود القرآن - ويعمل بفرائضه ويعمل بطاعته ، ويجتنب معصيته ، فيصير خصماً دونه ، فيقول : أي رب حملت آياتي خير حامل : اتقى حدودي ، وعمل بفرائضي واتبعت طاعتي واجتنب معصيتي ، فلا يزال يقذف له بالحجج حتى يقال له : فشأنك به ، فيأخذ بيده فما يزال به حتى يكسوه حلة

الإستبرق ، ويضع عليه تاج الملك ويسقيه بكأس الملك^(١) .

ومن ذلك تمثل الموت يوم القيامة بصورة كبش ، روى الشيخان والترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :
« يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد : يا أهل الجنة فيشرئبون - أي يرفعون رؤوسهم - وينظرون فيقول هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم ، هذا الموت وكلهم قد رأوه ، ثم ينادي مناد : يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت وكلهم قد رأوه ، فيذبح بين الجنة والنار - وفي رواية : فيوقف على السور بين الجنة والنار ، فيضجع ويذبح - ثم يقول : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ، ثم قرأ : ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر .. ﴾ الآية .

(١) قال في مجمع الزوائد : رواه البزار وفيه ابن إسحاق وهو ثقة ولكنه مدلس ، وبقية رجاله ثقات . اهـ . ورواه ابن أبي شيبة وابن الضريس ، كما في منتخب الكنز . وذكره الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

تمثلت الأموال

روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال : « والصدقة برهان ... » الحديث . يعني أن الصدقة تأتي يوم القيامة برهاناً لصاحبها على إسلامه ، وتشفع بصاحبها ، كما تقدم .

ومن ذلك تمثل المال الذي لا يزكّى . فعن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « ما من أحدٍ لا يؤدّي زكاة ماله إلا مثّل له يوم القيامة شجاعاً أقرع - أي حيّة كبيرة قد جلس شعرها من طول عمرها - حتى يطوّق به عنقه ، ثم قرأ - النبي ﷺ - مصداقه من قوله تعالى ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ ، بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ، سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ الآية . قال الحافظ المنذري : رواه ابن ماجه واللفظ له والنسائي بإسناد صحيح وابن خزيمة في صحيحه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفّحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه ، وجبينه وظهره ، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين

ألف سنة حتى يقضى بين العباد ، فيُرى سبيله إما الى الجنة وإما الى النار .

قيل : يا رسول الله فالإبل ؟ فقال ﷺ : « ولا صاحب إبل لا يؤدّي منها حقها - ومن حقها حلبها يوم وردّها - إلا إذا كان يوم القيامة بُطّح لها - أي صاحبها - بقاعٍ قرقر^(١) أوفى ما كانت ، لا يفقد منها فصلاً واحداً ، تطوّه بأخفافها ، وتمضّه بأفواهها ، كلما مرّ عليه أولاه رُدّ عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين العباد فيُرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار .

قيل : يا رسول الله فالبقر ؟ فقال ﷺ : « ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدّي منها حقها ، إلا إذا كان يوم القيامة بُطّح بقاعٍ قرقر أوفى ما كانت ، لا يفقد منها شيئاً ليس منها عقصاء - أي ملتوية القرن - ولا جلحاء - أي لا قرن لها - ولا عضباء - أي مكسورة القرن - فتنتطحه بقرنها وتطوّه بأظلافها كلما مرّ عليه أولاه رُدّ عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين العباد فيُرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار . . » الحديث ، رواه البخاري ومسلم واللفظ له .

(١) القاع : المكان المستوي من الأرض ، والقرقر : هو الأملس .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من آتاه الله مالاً فلم يؤدّ زكاته مُثِّل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زببتان ، يُطَوِّقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزِمتيه - يعني بشدقي مانع الزكاة - ثم يقول : أنا مالك ، أنا كنزك . ثم تلا هذه الآية : ﴿ ولا يحسن ﴾ الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شرٌّ لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾ الآية . رواه البخاري ومسلم .

تمثلت أيام الدنيا يوم القيامة

عن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « تحشر الأيام على هيئتها ، وتحشر الجمعة زهراء منيرة ، أهلها يحفون بها كالعروس تُهدى إلى خدرها ، تضيء لهم يمشون في ضوئها ، ألوانهم كالثلج بياضاً ، وريحهم كالمسك يخوضون في جبال الكافور ، ينظر إليهم الثقلان - أي الجن والانس - لا يطفون تعجباً حتى يدخلوا الجنة ، لا يخالطهم إلا المؤذنون المحتسبون »^(١) .

وبالجملة فان عالم المثال هو عالم واسع كل السعة تمثل فيه المحسوسات

(١) قال الحافظ المنذري في الترغيب : رواه الطبراني وابن خزيمة في صحيحه وقال : إن صح الخبر ، فان في النفس من هذا الاسناد شيئاً . قال المنذري : اسناده حسن وفي متنه غرابة ا هـ .

والمعنويات ، والأشباح والأرواح ، على اختلاف مراتبها . فتبارك الله رب العالمين .

عبادة الملائكة عليهم السلام وضبطهم من الله تعالى

قال الله تعالى : ﴿ وله من في السموات والأرض ، ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون - أي لا يتعبون ولا يملّون - يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ .

فالملائكة عليهم السلام لا يعتريهم تعب عن عبادة الله تعالى ، ولا فتور عن تسبيحه سبحانه ، بل حياتهم هي طاعتهم لله تعالى وعبادتهم له وتسبيحهم وتحميدهم .

قال الله تعالى : ﴿ فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ﴾ . كما وأنهم يستغفرون لمن أذن الله تعالى أن يستغفروا له من أهل الأرض ، قال تعالى : ﴿ والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ، ألا إن الله هو الغفور الرحيم ﴾ يعني أنه يجب استغفار الملائكة لمن في الأرض ، لأنه هو الغفور الرحيم ، وهو سبحانه قد أذن لهم بذلك ، فيجيبهم على ذلك .
روى الترمذي وأحمد وغيرهما عن أبي ذر رضي الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « إني أرى مالا ترون ، وأسمع مالا تسمعون ، أظنت السماء وحقاً لها أن تنط^(١) مافيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك واضع جبهته لله تعالى ساجداً ، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، ولما تلذذتم بالنساء على الفرش ، ولخرجتم إلى الصُّعَدَاتِ تجأرون إلى الله تعالى »^(٢)

صورة الملائكة لله تعالى

قال تعالى : ﴿ والصافات صفاً ، فالزاجرات زجراً . فالتاليات ذكراً . إنَّ إلهكم لواحد ﴾ . أقسم سبحانه وتعالى بطوائف من الملائكة : الصافات للصلاة والعبادة بين يدي رب العالمين ، كما صح عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم ؟ » قلنا : وكيف تصف الملائكة عند ربهم ؟ فقال ﷺ : « يُتمُّون الصفوف المتقدمة ويتراصُّون في الصف »^(٣) . وفي رواية : « يكملون الصفَّ الأوَّل ويتراصُّون في الصف » .

(١) أي ظهر لها صوت من كثرة الملائكة فوقها .

(٢) والمعنى : لخرجتم إلى صُعَدَاتِ الأرض ومرتفعاتها تفرعون إلى الله تعالى وتستغيثونه .

(٣) رواه مسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم .

وأما الزاجرات زجراً فهي الملائكة التي تزجر السحاب وغيره لتسوقه حيث أمرها الله تعالى ، وقيل : المراد بالزاجرات الآيات الزاجرات عن المعاصي والمخالفات . نعم الآية تشمل ذلك كله .

وأما التاليات ذكرأ فهي الملائكة تتلوا كلام الله تعالى ، كما قال سبحانه : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ، فَمِنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ، فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ . بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ . وقال تعالى فخبراً عن الملائكة : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ .

ويبين ذلك ما رواه مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « فَضَّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثَ : جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ ، وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِداً ، وَجُعِلَ لَنَا تَرَابُهَا طَهُوراً إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ » .

وروى ابن جرير وغيره أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا أُقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ثم قال : أقيموا صفوفكم ، استووا قياماً ، يريد الله تعالى بكم هدي الملائكة ، ثم يقول : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴾ ثم يقول عمر رضي الله عنه : تأخر يا فلان ، تقدم يا فلان ثم يتقدم - إماماً - فيكبر .

فقد فضّل الله تعالى هذه الأمة المحمدية ، على رسولها أفضل

الصلاة والسلام بأنواع من الفضائل ، ومن ذلك أن تتشبه بالملائكة في صلاتهم لربهم ، وأن تقوم في صلاتها مثل قيام الملائكة صفوفًا .

هذا ، وإن الملائكة عليهم السلام مع ما هم فيه من كثرة عبادتهم واستغراقهم في التسبيح والتحميد والتكبير والتمجيد ، هائمين في ذلك مولعين - مع هذا كله - فانهم إذا كان يوم القيامة قالوا : سبحانك ما عبدناك حقَّ عبادتك - أي أنت أكبر وأجل - لآنحصى ثناءً عليك ؛ أنت كما أثنت على نفسك .

وروى الطبراني وغيره عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ما في السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كفٍ إلا وفيه ملك ساجد ، أو ملك راكع ، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعًا : ما عبدناك حقَّ عبادتك إلا أنا لانشرك بك شيئًا » .

خوف الملائكة عليهم السلام من الله تعالى وخشيتهم منه

قال الله تعالى : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ . فأخبر سبحانه عن الملائكة أنهم يخافون ربهم ، أي لأنه سبحانه ربهم مالك ذواتهم ، وبيده مقاليد أمورهم ، له القوة والغلبة ، والسلطة والهيمنة . روى محمد بن نصر المروزي بإسناده عن رجلٍ من أصحاب

النبي ﷺ أن النبي ﷺ قال «إن الله ملائكة ترعد فرائضهم من خيفته تعالى، مامنهم ملك تقطر منه دمة إلا وقعت على ملك يصلي، وإن منهم ملائكة سجوداً منذ خلق الله السماوات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وإن منهم ركوعاً لم يرفعوا رؤوسهم منذ خلق الله السماوات والأرض ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، فاذا رفعوا رؤوسهم نظروا إلى وجه الله عز وجل قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك» (١).

وقال تعالى: ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، وهم من خشيته مشفقون ﴾ وذلك لأن الخشية من الله تعالى هي على حسب العلم به سبحانه، قال تعالى: ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ وأعلم الناس بالله تعالى هو أخشاهم لله تعالى - ﷺ - كما قال «أما والله إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية». وبيان ذلك أن الخوف من الله تعالى له أسباب متعددة نذكر جملة منها:

الأول - خوف الذنب، أي خوف العبد من ذنبه مع الله تعالى. وهذا النوع من الخوف ينشأ من ثلاثة أمور:

أحدها - معرفة العبد بالجناية وقبحها. ثانيها - تصديق العبد

(١) من العلماء الذين ذكروا هذا الحديث في كتبهم الحافظ ابن كثير في «تفسيره» وقال: «إسناده لا بأس به» اهـ.

بالوعيد على الذنب وأن الله تعالى رتب على المعصية عقوبتها .
ثالثها - أن يعلم العبد أنه قد يمنعه من التوبة موانع ، ويحال بينه وبينها إذا ارتكب الذنب أو وقع في المعصية .

وهذا النوع من الخوف بهذا السبب لا يتصور في حق الملائكة عليهم السلام لأنهم معصومون عن المخالفات ، كما سيأتي بحث ذلك إن شاء الله تعالى .

الثاني - من أسباب الخوف ، علم العبد بأن الله تعالى هو مقلب القلوب ، وأنه يحول بين المرء وقلبه وأنه سبحانه كل يوم هو في شأن يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو الغليم الحكيم ، فينشأ عند العبد خوف من ذلك .

وقد أثنى الله تعالى على عباده المؤمنين أولي الأبواب الذين يقولون ﴿ رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ .

وروى مسلم والترمذي واللفظ له عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول « يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » فقلت : يا رسول الله قد آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا ؟ فقال ﷺ : « نعم ، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء » .

ففي هذا الحديث يرشد النبي ﷺ الصحابة إلى الإكثار من هذا الدعاء تخوفاً عليهم ، فإن الله تعالى هو الفعال المطلق لا مانع له ، ولا معقب لحكمه ولا رادّ لأمره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد والكل له عبيد .
فهذه الحضرة الإطلاقيه لها أحكامها من الخشية والخافة ، وهي توجب على العارف بالله تعالى أن يرهاها حقها . كما فصله العارفون نفعنا الله تعالى به .

الثالث من أسباب الخوف - الإجلال والإعظام ، وهذا الخوف - أي خوف الاجلال والاعظام - يكون على حسب معرفة العارف بربه وعظمته وجلاله وكبريائه ، وعلى حسب مقام قربه ، كما قال العارف المحاسبي :
خوف المقرّبين - من الانبياء والملائكة - خوف إجلال وإعظام ، وإن كانوا آمنين عذاب الله تعالى . ا هـ .

الرابع من أسباب الخوف والخشية من الله تعالى - أن يعلم العبد أن أحداً لا يقدر الله تعالى حق قدره من الثناء عليه والحمد له وتسبيحه وتكبيره كما هو سبحانه الكبير المتعال ، فقد قال سيدنا رسول الله ﷺ أحمد الحامدين رب العالمين وأكرم الأولين والآخرين : « اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ بك منك . لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما اثنيت على نفسك » .

نكريم الله تعالى ملائكته عليهم السلام
وذكره لهم في مناصب العز والشرف

قال الله تعالى : ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه ، بل عباد مكرمون
لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا
يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ﴾ .

فقد وصفهم سبحانه بأنهم عباد مكرمون ، لهم شأن كريم ومقام
عظيم ، أكرمهم سبحانه بحبه وبقربه ، وأقامهم في المقامات العالية ،
وأنزلهم المنازل السامية ﴿لا يسبقونه بالقول﴾ وصفهم بكل الطاعة والانقياد
لأمره تعالى وأدبهم مع ربهم بحيث لا يقولون شيئاً حتى يقوله سبحانه
أو بأمرهم به . ﴿وهم بأمره يعملون﴾ وصفهم بكل طاعتهم في الأعمال وأنهم
بأمره يعملون لا من تلقاء أنفسهم . ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ فهم
على مراقبة دأته في جميع تقلباتهم وحركاتهم وسكناتهم ، لأنهم يوقنون أن
علمه سبحانه محيط بهم . ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ أي لا يشفعون
إلا لمن ارتضى الله تعالى أن يشفعوا له .

وقال الله تعالى : ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم
قائماً بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ .

هذه الشهادة هي أعظم الشهادات وأقواها ، وأقومها وأعلاها ، إنها شهادة الله بأنه لا إله إلا هو جلّ وعزّ .

روى الإمام أحمد والطبراني وغيرهما عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ وهو بعرفة يقرأ هذه الآية : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو - إلى قوله - العزيز الحكيم ﴾ فقال : (وأنا على ذلك من الشاهدين يارب) . وعند الطبراني فقال : (وأنا أشهد أنك لا إله إلا أنت العزيز الحكيم) وروى أنه لما ظهر رسول الله ﷺ بالمدينة قدم عليه حبران من أحبار أهل الشام فلما أبصرا المدينة قال أحدهما لصاحبه : ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي ﷺ الذي يخرج في آخر الزمان ؟ !

فلما دخلا على رسول الله ﷺ عرفاه بالصفة والنعت - أي الواردين في الكتب الإلهية السابقة فقالا له : أنت محمد ؟ فقال ﷺ : (نعم) ، فقالا له : أنت أحمد ؟ فقال ﷺ : (نعم) ، فقالا له : إنا نسألك عن شهادة فإن أنت أخبرتنا بها آمنا بك وصدقناك ، فقال ﷺ لهما : (سلاني) . فقالا له : أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله تعالى - أي في كتب الله تعالى النازلة على رسوله صلوات الله على نبينا وعليهم أجمعين - فأنزل الله تعالى هذه الآية : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ فأسلموا (١) .

(١) انظر تفسير الألوسي وغيره .

ففي هذه الآية الكريمة قرن الله تعالى شهادة الملائكة وأولي العلم بشهادته سبحانه التي سجلها في جميع كتبه ، وسطّرها على صفحات مكوّناته ، وفي ذلك وجوه من العزّة والكرامة ، والشرافة والمكانة ، للملائكة الكرام والعلماء العظام الذين قرّنهم الله تعالى بملائكته .

أولاً - إنه سبحانه استشهد بشهادة نفسه جلّ وعلا وهو أجلّ شاهدٍ ، وكفى بالله شهيداً ، ثم بخيار خلقه وهم الملائكة وأولوا العلم وكفاهم بذلك شرفاً وفضلاً على غيرهم من المخلوقات .

ثانياً - إنه سبحانه لا يستشهد من خلقه إلا الشهود العدول البررة ، ففي هذه الآية دليل على عدالتهم وثقتهم ، وصدقهم وأمانتهم وتزكيتهم وتنقيتهم .

ثالثاً - إنه سبحانه استشهد بالملائكة وأولي العلم على أجلّ مشهود ، وأعظم معهود ، وهو شهادة أن لا إله إلا الله ، ومن المعلوم بداهة أن العظيم القدر إنما يستشهد على الأمر العظيم أفاضل الخلق وساداتهم وكبرامهم .

رابعاً - إنه سبحانه جعل شهادتهم حجة على المنكرين ، فهم - أي الملائكة وأولوا العلم - عنده سبحانه بمنزلة أدلته وبراهينه الدالة على توحيده سبحانه .

هذا وإن اقتران ذكر أولي العلم بالملائكة في مقام الشهادة والاستشهاد بشهادتهم ، دليل على قوة المناسبة وإحكام المشابهة بين أولي العلم وبين الملائكة عليهم السلام من وجوه متعددة ، وذلك أن الملائكة طهارة أطهار ، بررة أخيار ، ذوا نفسيات زكية وسرائر قدسية ، وهم أنصح خلق الله تعالى وأنفعهم لبني آدم فهم يثنون على محسنهم ويستغفرون لسيئهم ، ويعينونهم على أعدائهم ، من شياطين الانس والجن ويحرصون على مصالح العباد أضعاف ما يحرص العباد على مصالحهم ويلهمونهم خير الدنيا والآخرة ، ويحذرونهم من شر الدنيا والآخرة . وهكذا موقف العلماء العاملين مع خلق الله تعالى أجمعين .

فالمناسبة هي علّة الضم والجمع بين جمع وجمع ، فما أشبه العلماء العاملين بملائكة رب العالمين نفعا الله تعالى بهم أجمعين .

رؤساء الملائكة عليهم السلام

منهم السادة جبريل عليه السلام وإسرافيل وميكائيل وملاك الموت ويسمى عزرائيل^(١) ، ولكل منهم أعمال ووظائف يقوم بها بإذن الله تعالى .

(١) أما معاني هذه الأسماء فقد روى البيهقي في الشعب عن ابن عباس أنه قال : جبريل عبد الله ، وميكائيل عبيد الله وكل اسم فيه « إيل » فهو معبد لله تعالى . أي لأن اسم إيل بالعبراني معناه « الله » . وروى ابن جرير وغيره =

روى مسلم وأصحاب السنن عن أبي سلامة بن عبد الرحمن انه قال سألت عائشة رضي الله عنها : بأي شيء كان رسول الله ﷺ يفتح الصلاة إذا قام الليل ؟ قالت : كان إذا قام من الليل افتتح صلاته : « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، إهديني لما خُلف فيه من الحقِّ بآذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيم » . وروى النسائي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل أعوذ بك من حرِّ النار وعذاب القبر » . وروى الحاكم عن أبي المليح عن أبيه أنه صلى مع النبي ﷺ ركعتي الفجر فصلَّى قريباً منه فسمعه يقول : « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ومحمدٍ أعوذ بك من النار » ثلاث مرات . وفي هذه الأحاديث ما يدل على أفضلية هؤلاء الملائكة الثلاثة وكرامتهم عند الله تعالى .

ومن أسرار ذكر هؤلاء الثلاثة مع اسمه الشريف ﷺ أن الله تعالى جعلهم أسباب الحياة ، فسيّدنا محمد ﷺ جاء روح العالم . قال

= عن علي بن الحسين رضي الله عنها أنه قال : اسم جبريل عبد الله ، واسم ميكائيل عبيد الله ، واسم إسرافيل عبد الرحمن ، وأما عزرائيل فمعناه عبد الجبار . عليهم السلام .

تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا .. ﴾ الآية . وبهذه الروح تحيا الأرواح والقلوب حياة سعيدة أبدية في الدنيا والآخرة .
قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحْيِيكم .. ﴾ الآية .

وأما جبريل عليه السلام فهو صاحب الوحي الذي يوحيه الله تعالى إلى الأنبياء ، وهو سبب الحياة للعباد والبلاد . وأما ميكائيل عليه السلام فهو الموكَّل بالمطر الذي به حياة الأرض والنبات بل والإنسان والحيوان .
وأما إسرافيل عليه السلام فهو الذي يتفخ في الصور فيحيي الله تعالى الموتى تنفخته ، فاذا هم قيام لرب العالمين .

صفات جبريل ووظائفه القويمة

قد تظاهرت الأدلة القرآنية والنبوية على فضائل جبريل عليه السلام وكريم منزلته عند الله تعالى . قال الله تعالى في بيان صفات جبريل عليه السلام : ﴿ إنه لقول رسول كريم . ذي قوَّة عند ذي العرش مكين . مطاع ثمَّ أمين ﴾ .

فقد أثنى الله تعالى في هذه الآيات على جبريل عليه السلام ، وبين أنه واسطة وحيه بالقرآن الكريم إلى حبيب رب العالمين إمام الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد أفضل خلق الله تعالى أجمعين ﷺ ، وأن

الثناء على الواسطة هو في الحقيقة ثناء على الموسوط له ، المبلغ إليه .
وفيه بيانٌ عظيم مقام سيدنا محمد وشرافة قدره ﷺ عند ربه ، ولذلك
أرسل إليه عظيم الملائكة وكبيرهم صاحب المقام الكريم والأمر المطاع
فقال سبحانه ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ يعني بهذا الرسول الكريم
جبريل قطعاً ، لأنه سبحانه ذكر بعد ذلك صفات جبريل عليه السلام
المعينة له . وأما الرسول الكريم في سورة الحاقة : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ
رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ فالمراد به سيدنا محمد ﷺ ، بدليل أنه سبحانه ذكر
بعده ما يردُّ على أعدائه ﷺ الزاعمين أنه شاعر أو كاهن ، فقال :
﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ، قَلِيلًا مَّا تَوَمَّنُونَ . وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ ، قَلِيلًا
مَّا تَذَكَّرُونَ . تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . يعني أن هذا القرآن الكريم
كلام الله تعالى نزله سبحانه على رسوله محمد ﷺ بواسطة الرسول الملكي
جبريل عليه السلام ، فضافته إلى الرسول الملكي تارة بقوله تعالى :
﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ وإضافته إلى الرسول البشري تارة بقوله
﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ في الحاقة ، هي إضافة تبليغ لا إضافة
إنشاء ، وإلا تناقضت الإضافتان . ثم إن لفظ الرسول يدل على ذلك ،
فإن الرسول هو من يبلغ كلام من أرسله ، وهذا صريح في أن القرآن
كلام الله حقاً ، وأن سيدنا محمداً ﷺ بلغه عن الله تعالى بواسطة جبريل
الأمين عليه السلام .

وفي وصف الله تعالى لجبريل بأنه «كريم» فيه تركية كاملة لسند القرآن وأن الذي نزل بالقرآن على سيدنا محمد ﷺ هو رسول كريم جميل المنظر ، بهي الصورة ، كثير الخير طيب مطيب ، عظيم العلم والمعرفة عظيم الأسرار والأنوار ، اجتمع فيه الكرم الصوري والمعنوي فحقيق بمن هذا وصفه أن يكون واسطة نزول القرآن إلى صفوة الأكوان حبيب الرحمن ، سيدنا محمد ﷺ ، وذلك لتمام المناسبة ؛ كما قيل : والجنس يألفه الجنس .

كما بين سبحانه في وصف جبريل عليه السلام أنه « ذو قوة » فهو بقوته يمنع الشياطين أن تدنو من القرآن العظيم ، أو تنال منه شيئاً ، أو يزيدوا فيه أو ينقصوا منه ، بل إذا رآه الشياطين هربت منه . وأيضاً فإن جبريل بقوته هو معاضد لرسول الله ﷺ ومؤيد له وناصره ، ومن كان هذا الملك القوي عضده وناصره فمن الذي يستطيع أن يغلبه أو يخذله ؟ كما وأنه ذو قوة في عبادته لله تعالى وطاعته ، وفي تنفيذه أوامر الله تعالى ، فهو الذي رفع جبل الطور فوق بني إسرائيل ، وبريشة واحدة من أجنحته رفع خمس مدائن كبرى بقوم لوط ثم قلبها ثم أهوى بها كما سيتضح قريباً .

ثم وصفه تعالى بقوله : ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٌ ﴾

فله شرف الصندية العظمى والرتبة الزلفى ، وأنه مكين أي ذو مكانة سامية ورتبة عالية .

كما وصف الله تعالى جبريل بأنه ﴿ مطاع ثم أمين ﴾ يعني أنه مطاع هناك في الملائكة الأعلى فيما بين الملائكة المقربين عليهم السلام ، يصعدون عن أمره ويرجعون إلى رأيه ، وإذا نزل في أمرٍ حفّت به الحشود والجنود من الملائكة تحت راية إمارته وقيادته ، كما ورد ذلك حين كان ينزل بالقرآن الكريم على النبي ﷺ ، وأيضاً في نزوله يوم بدر حين التقى الجمعان وقد تراءى إبليس للمشركين بصورة رجل من بني مدج ، وقال لهم ﴿ لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ﴾ فلما نزل جبريل عليه السلام ونزلت معه الملائكة ورأى ذلك عدو الله قال للمشركين ﴿ إني بريء منكم إني أرى مالاترون ﴾ أي جبريل ومن معه من الملائكة ﴿ إني أخاف الله ، والله شديد العقاب ﴾ .

كما وصف الله تعالى جبريل عليه السلام بأنه ﴿ أمين ﴾ فهو أمين وحي الله تعالى وموصله بأمانة وصدق إلى أنبيائه ورسله صلوات الله عليهم من غير تغيير وتحريف .

ومن صفات جبريل عليه السلام : أنه الروح الأمين . قال تعالى :

﴿ نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ وسمي جبريل

عليه السلام روحاً ، لأنه روح كله ، لا كالناس الذين في أبدانهم أرواح
ولأنه روح عظيمة قوية التأثير في الأحياء ، ولذا كان من الحكمة أنه يرسل
إلى صريم فينفخ فيها ، فيخلق عيسى عليه السلام ويعطى قوة على إحياء
الموتى بإذن الله تعالى . ومما يدل على قوة روح جبريل عليه السلام ما ذكره
الله تعالى في قصة السامري قال : ﴿ فما خطبك ياسامري ﴾ . قال : بصُرت
بما لم يبصروا به ، فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها ، وكذلك
سوَّلت لي نفسي ﴾ . قال علي كرم الله تعالى وجهه : إن السامري
رأى جبريل عليه السلام راكباً على فرس حين جاء ليذهب بموسى عليه
السلام إلى الميقات ، ولم يره أحد غيره من قوم موسى ، فأخذ السامري
من موطىء فرس جبريل قبضة من التراب - أي لأن السامري رأى
كلما رفع الفرس يديه أو رجليه عن التراب اليابس يخرج النبات ،
فصرف أن هذا التراب فيه آثار حيوية - فألقاها في جسد عجل قد صاغه
من ذهب فكان له خُوار .

قال أهل التحقيق : وكان ذلك من إلقاء الشيطان في نفس السامري ،
لأن الشيطان يعلم منزلة الأرواح ، فوجد السامري في نفسه هذه القوة ،
وما علم أنها إلقاء من الشيطان فقال : وكذلك سوَّلت لي نفسي . اهـ

ومن صفات جبريل عليه السلام : أنه روح القدس . قال تعالى :

﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا .. ﴾ الآية .
وسمّي بذلك لقدسيّة نفسه وطهارتها من الأدناس ، ولأنه ينزل بالتقديس
من الله تعالى ، أي ينزل بما يطهر النفوس ويقدر العقول والقلوب ،
وهو القرآن الكريم والحكمة والفيوضات الإلهية ، والقدس معناه الطهارة
والبركة ، والتقديس معناه التطهير والمباركة ، فجبريل عليه السلام ذو قداسةٍ
وتقديس ، قال رسول الله ﷺ : « إِنْ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي
أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا ^(١) ، فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ ، وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدُكُمْ اسْتِبْطَاءَ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةِ
اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَنْالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ » ^(٢) .

من وظائف سيدنا جبريل عليه السلام

إن لسيدنا جبريل عليه السلام أعمالاً هامةً عظيمةً يقوم بها
بإذن الله تعالى وأمره ، فمن ذلك أنه هو الذي ينزل بالشرائع الربّانية ،

(١) والمعنى أن روح القدس جبريل عليه السلام ألقي الوحي في خلد النبي ﷺ
أو في قلبه أو في عقله هذا المقال اه فيض القدير .

(٢) هذا الحديث رواه ابن ماجه عن جابر ، ورواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية
عن أبي أمامة ، ورواه ابن أبي الدنيا والحاكم وصححه عن ابن مسعود كما في
شرح المواهب .

وينزل بالكتب الإلهية على الرسل صلوات الله تعالى عليهم ، ولذلك يسمى الناموس الأكبر كما سيأتي في حديث الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها . والناموس في أصل اللغة هو صاحب سر الخير ، وسمي جبريل عليه السلام بذلك لأنه أمين الله تعالى على أسرارهِ الموحاة إلى أنبيائه صلوات الله تعالى عليهم . قال الله تعالى : ﴿ قل نزل به الروح القدس من ربك بالحق .. ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين ﴾ .

وفي الصحيحين وغيرها عن عائشة رضي الله عنها قالت : أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة - وفي رواية لمسلم : الصالحة - في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء - أي الخلوة - فكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه - وهو أي التحنث : التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزوّد لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها ، حتى جاءه الحق - أي الأمر الحق وهو الوحي ، سمي حقاً لمجيئه من عند الله تعالى . أو المراد جاءه رسول الحق وهو جبريل - وهو في غار حراء فجاءه الملك - أي جبريل عليه السلام - فقال : اقرأ فقال ﷺ : ما^(١) أنا بقارىء

(١) قال بعضهم : « ما » نافية بدليل رواية : ما أنا بقارىء ، ما أحسين أن أقرأ . وقال بعضهم : هي استفهامية ، بدليل رواية أبي الأسود عن عروة : كيف أقرأ ، ورواية ابن إسحاق عن عبيد بن عمير : ماذا أقرأ؟ اهـ . من شرح الزرقاني على المواهب .

فأخذني فغطني - أي فضمني - وفي رواية الطبراني وابن اسحق : ففتني - وهو الضمُّ مع حبس النفس - حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ، فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني الثانية ، حتى بلغ مني الجهد^(١) ، ثم أرسلني فقال اقرأ ، فقلت ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال : ﴿ اقرأ باسم ربك^(٢) الذي خلق . خلق الإنسان من علقٍ . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ . فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال : « زمِّلوني زمِّلوني » فزمَّلوه حتى ذهب عنه الرُّوع فقال لخديجة وأخبرها الخبر : « لقد خشيتُ على

(١) هذه الضمَّات الجبريلية القويَّة فيها الافراغات والافاضات بالأسرار والأنوار الالهية ، والعلوم والمعارف الربانية التي تنزل بها جبريل عليه السلام ، من حضرة الحكيم العلام على مختلف وجوها التي تعمُّ النفس والقلب والروح . وفي الصحيح عن ابن عباس قال : ضمني رسول الله ﷺ إلى صدره وقال : « اللهم علِّمه الكتاب » وبذلك فتح على ابن عباس وأفيض عليه .

(٢) أي : اقرأ باسم ربك الذي هو سبحانه ربُّك وتعهَّدك منذ صغرك ، فانه هو الذي يقرئك القرآن ويعلمك إياه ويبيِّن لك معانيه ، وإن لم تكن متعلماً القراءة والكتابة من قبل ، فإنك تقرأ باسم ربك ولست تقرأ بموجب علم سابق اكتسبته من المخلوقات لأنك أميٌّ - أي لم تتعلم القراءة - قال تعالى : ﴿ إنَّ علينا جمعه وقرآنه - أي علينا أن نجمله لك وأن تقرأه - فاذا قرأناه فاتَّبِعْ قرآنه ، ثم إنَّ علينا بيانه ﴾ أي : نبينه لك ثم أنت تبينه للناس .

نفسى « أي لقد خشيت على نفسى أن لا يتحمل ذلك جسمى ولا تقوى قوتى لذلك . فقالت خديجة : كلاً والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق . فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل ابن عم خديجة - وكان امرأاً تنصراً في الجاهلية وكان يكتب الكتاب بالعبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي - فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى . ياليتني فيها جذعاً ، ليتي أكون حيّاً إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله ﷺ : « أومخرجي هم ؟ ! » قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي . وإن يدركني يومك أنصرك نصرّاً مؤزراً ، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي .

تأييد الله تعالى رسله صلوات الله تعالى عليهم بجبريل عليه السلام:

من وظائف سيدنا جبريل عليه السلام أنه يؤيد الله تعالى به أنبياءه ورسله صلوات الله تعالى عليهم .

قال الله تعالى في تأييده لسيدنا محمد ﷺ : ﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ

فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ، والملائكة بعد ذلك ظهير ﴿
فهو سبحانه يخاطب زوجتي رسول الله ﷺ عائشة وحفصة رضي الله
عنهما بقوله ﴿ وإن تظاهرا ﴾ أي تظاهرا وتعاوننا على رسول الله ﷺ
بما يسوءه من إفراط الغيرة ﴿ فإن الله هو مولاه ﴾ أي هو سبحانه
ناصره ومتولّي أمره كله ﷺ ﴿ وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد
ذلك ظهير ﴾ أي كلهم أعوان مظاهرون ومؤيدون لهذا الرسول الكريم
ﷺ . وفي هذا دليل على عظيم انتصار الله تعالى لرسوله سيدنا محمد
ﷺ وأن امرأتين إن يصدر منهما تظاهرٌ عليه فإن الله تعالى الكبير
المتعال هو مولاه الناصر له ﷺ وإن جبريل بقوة وسطوته وصالح
المؤمنين بعزيمته وهمته والملائكة بجمعيتهم وجمهرتهم ، كل أولئك مؤيدون
لرسول الله ﷺ . يعني أنه سبحانه لا يسامه ﷺ ولا يتركه في ذلك
فكيف يسامه ويتركه فيما هو أشد من ذلك ؟! فاعتبر يا عاقل بما هنالك
لتعلم فضل رسول الله ﷺ وكرامته عند الله تعالى .

وقال تعالى في تأييده لعيسى عليه السلام بجبريل عليه السلام :
﴿ وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيّدناه بروح القدس ﴾ وقال :
﴿ إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ
أيدتك بروح القدس ... ﴾ الآية فأيدّه الله تعالى بروح القدس - أي

جبريل عليه السلام - منذ صباه إلى حال كبره ، وبهذا التأيد حفظه الله تعالى من أعدائه اليهود ، فقد تملاً اثنا عشر ألف يهودي لقتله فلم يتمكنوا منه ، قال تعالى : ﴿ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين . إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا... ﴾ الآية .

كفاية الله تعالى رسوله ﷺ شر المستهزئين - بواسطة جبريل عليه السلام

قال الله تعالى ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين . إنا كفيناك المستهزئين ﴾ . أنزل الله تعالى هذه الآيات على رسوله ﷺ حين كان في مكة وقد تصدّى له المشركون بالأيذاء والهزاء ، فقال له الله تعالى : ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ أي إجهر بما تؤمر وأظهره علناً بما فيه من الحجج القاطعة والأدلة الساطعة التي تفرق بين الحق والباطل ، والنور الذي جئتهم به والظلمات التي يعمهون فيها . ثم تكفل الله له بكفايته ﷺ أذى المشركين وهزاء المستهزئين به وبما جاء به فقال : ﴿ إنا كفيناك المستهزئين ﴾ . والمعنى : أعلن الدعوة يارسول الله واجهر بها ، ولا يهمنك أمر المشركين وإيذاؤهم لك واستهزاؤهم بك ، فإننا بسلطاننا وقدرتنا نكفيك شرهم ونقيك ضرهم ونرد كيدهم في نحرهم .

فقد ثبت عن ابن عباس وأنس وغيرهما^(١) أن هذه الآية نزلت في خمسة من المشركين - وقيل ثمانية - كانوا يستهزئون بالنبي ﷺ : الوليد بن المغيرة ، والأسود بن عبد يغوث ، والأسود بن المطلب ، والحارث بن عيطلة ، والعاص بن وائل ، فأتى جبريل عليه السلام النبي ﷺ فشكاهم إلى جبريل - أي ذكر له تماميهم في هزئهم وأذيتهم - .

ثم إنهم صرّوا بالنبي ﷺ على عادتهم يستهزئون فأراه ﷺ الوليد فأوماً جبريل عليه السلام إلى أكحله فقال ﷺ لجبريل : « ما صنعت شيئاً » فقال له جبريل عليه السلام : كفيْتُكَ ، ثم أراه الأسود ابن المطلب فأوماً جبريل عليه السلام إلى عينيه - أي إلى عيني الأسود - فقال ﷺ لجبريل : « ما صنعت شيئاً » - أي لم تضربه وإنما أشرت إليه إشارة - فقال جبريل عليه السلام : كفيْتُكَ - أي بهذه الإشارة - ثم أراه الأسود بن عبد يغوث فأوماً إلى رأسه ، فقال ﷺ لجبريل عليه السلام : « ما صنعت شيئاً » فقال جبريل : كفيْتُكَ . ثم أراه الحارث فأوماً إلى بطنه ، فقال له ﷺ : « ما صنعت شيئاً » فقال : كفيْتُكَ ثم أراه العاص بن وائل ، فأوماً جبريل عليه السلام إلى أخصه ، فقال

(١) رواه الطبراني والبيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل وابن مردويه بسند حسن كما في « الدر المنثور » و « شرح المواهب » للزرقاني . وانظر سيرة ابن هشام وتفسير ابن كثير وغيرها .

له صلى الله عليه وسلم : « ما صنعت شيئاً » فقال : كفيته .

فانظر آثار تلك الايماءات الانتقامية الجبريلية من المستهزئين بسيد البرية .
فأما الوليد فمراً برجل من خزاعة وهو يرش نبله فأصاب أكله
فقطعها . وأما الأسود بن المطلب فإنه نزل تحت سمرة - أي شجرة
سمرة - فجعل يقول ألا تدفعون عني ؟! قد هلكت ! أظعن بالشوك
في عيني ! فجعلوا يقولون ما نرى شيئاً ، فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه .
وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها ، وأما الحارث
فأخذ الماء الأصفر في بطنه حتى خرج رجيعة من فيه فمات منه ، وأما
الماص فركب إلى الطائف فربض - أي وقع - على شبرقة فدخل في
أخمص - أسفل - قدمه شوكة فقتلته . وفي رواية للبيهقي والضياء باسناد
صحيح أن جبريل عليه السلام أوماً إلى رأس الأسود بن عبد يغوث فضرته
الأكلة فامتخض رأسه قيحاً فمات .

تأييد الله تعالى أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤيديه بجبريل عليه السلام :

وهذا من وظائفه عليه السلام . قال الله تعالى : ﴿ لا تجد قوماً
يؤمنون بالله واليوم الآخر يُؤادون من حادَّ الله ورسوله - إلى قوله -
وأيَّدهم بروحٍ منه ﴾ الآية . قال بعضهم : أيَّدهم بالقرآن وحجته . وقال
بعضهم : أيَّدهم بنور إيمانٍ وهدى وبرهانٍ . وقال بعضهم : أيَّدهم
بجبريل عليه السلام .

وجاء في الصحيحين عن البراء أن النبي ﷺ قال لحسان بن ثابت :
« أَعْجَبُكُمْ - يعني المشركين - وجبريل معك » وفي الصحيحين من طريق سعيد
ابن المسيب قال : مرَّ عمرٌ بحسَّان في المسجد وهو ينشد - أي الشعر -
فلحظ إليه فقال : كنت أنشد وفيه - أي في المسجد - من هو خير منك .
ثم التفت حسان إلى أبي هريرة فقال : أنشدك الله أسمعته النبي ﷺ
يقول : « أجب عني . اللهم أيده بروح القدس ؟ » فقال أبو هريرة :
اللهم نعم .

وروى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال « إن
روح القدس مع حسَّان مادام ينافح - أي يدافع - عن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلَّم » .

تحبيب الله تعالى جبريل عليه السلام بأحبابه الذين آمنوا وعملوا
الصالحات، وتبغيضه سبحانه لجبريل في أعدائه الذين يبغضهم رب العالمين،
والنداء الجبريلي لذلك في السماوات والأرض . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ .

روى الشيخان والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول
الله ﷺ قال : « إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جَبْرِيْلُ : إِنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ
فُلَانًا فَأَحْبَبَهُ ، فينادي في السماء ثم تنزل له المحبة في أهل الارض . فذلك

قوله ﴿ إِن الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾
وَإِذَا أَبْغَضَ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جَبْرِيلُ إِنِّي قَدْ أَبْغَضْتُ فَلَانًا فَيَنَادِي فِي
أَهْلِ السَّمَاءِ ، ثُمَّ تُنْزَلُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ .

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ :
« إِنِ اللَّهُ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جَبْرِيلُ فَقَالَ يَا جَبْرِيلُ إِنِّي أَحَبُّ
فَلَانًا فَأُحِبُّهُ ، فَيُحِبُّهُ جَبْرِيلُ ، ثُمَّ يَنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنِ اللَّهُ يُحِبُّ فَلَانًا
فَأُحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يَوْضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ ، وَإِنِ
اللَّهُ تَعَالَى إِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جَبْرِيلُ فَقَالَ يَا جَبْرِيلُ إِنِّي أَبْغَضْتُ فَلَانًا
فَأَبْغُضْهُ ، فَيَبْغِضُهُ جَبْرِيلُ ، ثُمَّ يَنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنِ اللَّهُ يَبْغِضُ فَلَانًا
فَأَبْغِضُوهُ فَيَبْغِضُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ تَوْضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ . »

مهدى الله تعالى المعاندين لرسله وتخويفه المعارضين بواسطة جبريل

عليه السلام :

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ، وَظَنُّوا
أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ ؛ خَذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾
فقد جاء أن بني إسرائيل لما توقّفوا عن أخذ التوراة وأبوا أن يقبلوها
حين جاءهم بها موسى عليه السلام ، فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام
أن يرفع فوقهم جبل الطور وقيل لهم : إن قبلتم التوراة والعمل بها

وإِلَّا لَيَقَنَّ عَلَيْكُمْ ، فوقع كلُّ منهم ساجداً على حاجبه الأيسر وهو ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرَقاً من سقوطه ، وهناك قيل لهم ﴿ خذوا ما آتيناكم ﴾ من مضامين التوراة ومشتملاتها ﴿ بقوة ﴾ أي بجِدِّ وعزم ﴿ واذكروا ما فيه ﴾ أي احفظوه ولا تنسوه واعملوا به ولا تتركوه ترك المنسي ﴿ لعلَّكم تتقون ﴾ أي : تنظمون في سلك المتقين المتوقين عن قبائح الأعمال ورذائل الأخلاق .

أخذه سبحانه بالعقوبات لتاركي الشرائع الإلهية بواسطة جبريل

عليه السلام :

ومن وظائف جبريل عليه السلام أنه هو الذي ينزل بالشرائع الإلهية على الرسل صلوات الله تعالى عليهم ، كما وأنه هو الذي يتعهد بها فيؤيد مؤيديها وأنصارها ، ويحارب محاربيها وينتقم من جاحديها والمستهزئين بها ، وكلُّ ذلك عن أمر الله تعالى وإذنه .

فهو الذي صاح بقوم ثمود ، قال تعالى : ﴿ فلما جاء أمرنا نجينا

صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ . إن ربك هو القويُّ العزيز . وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ﴾ ساقطين على وجوههم لاصقين بالتراب ، وكان جزاؤهم من جنس عملهم فإنهم آذوا رسول الله صالحاً بأراجيف الأقوال والتهديد له ، وتعالوا بأصواتهم

عليه يصيحون به مستهزئين وساخرين ، فجاءتهم الصيحة الجبريلية من فوقهم هزّت قلوبهم وخلعتها ، وجاءتهم الرجفة الشديدة من أسفل منهم ففاضت الأرواح وزهقت النفوس ، وسكنت الحركات وخشعت الأصوات وحقّت الحقائق ، وحلّت بهم المثلات - أي العقوبات المماثلة - .

وهو الذي رفع مدائن قوم لوط عليه السلام وقلبها عاليها سافلها ، وذلك أنهم لما انقلب مزاج نفوسهم ، وانعكست ميولاتهم الشهوانية عن سنن الطباع الإنسانية ، وقد تمكّن ذلك منهم بسبب شدة طغيانهم وإفراطهم في مصارف شهواتهم ، حتى اكتفى رجالهم برجالهم ، ونساءؤهم بنسائهم ، كما ورد أنه قيل لمحمد بن علي رضي الله عنهما : عذّب الله تعالى نساء قوم لوط بعمل رجالهم ؟ فقال : الله تعالى أعدل من ذلك ولكن استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وآخرون بإتيان المرأة من عجيزتها أي دبرها اه فكان جزاء انقلابهم النفساني الانقلاب الميكانيكي وكم بين النفوس الإنسانية والآفاق الكونية من ارتباطات وتناسبات : صحةً وفساداً وعماراً وخراباً ، يعلمها ذووا البصائر والدرايات . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ .. ﴾ الآية . وقال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّن سَجِيلٍ ﴾ أي طين متحجّر ﴿ منضود ﴾ أي منضد ، حيث

إنه أَعَدَّ وَهْيَتِي لعذابهم ، فجيء به منظماً في الإرسال ، يرسل بعضه إثر بعض دون انقطاع ولافتور ، متوالية فوقهم كتوالي قطر الأمطار الشديدة ﴿ مسومة عند ربك ﴾ أي عليها سيما أنها ليست من أحجار الأرض كما أنها معلمة باسم من يُرمى بها ، أي كل حجرة وفيها اسم مَنْ ترميه وتصيبه ، وكانت أحجاراً كبيرة الحجم ، عظيمة الجسم ، قويّة الحطم والهدم .

﴿ وما هي من الظالمين ببعيد ﴾ وفي هذا تهديد ووعد لمن نحا نحو قوم لوط في ظلم نفوسهم وفساد مزاجهم . عياداً بالله تعالى .

روي أن مدائن قوم لوط كانت خمسة - وقيل سبعة - كبرى فيها العدد الكثير والجم الغفير من السكان ، فلما حقّ عليهم العذاب جاء سيدنا جبريل عليه السلام ، فاقتلع تلك المدائن من مخومها ، بريشة من جناح من ستمائة جناح له ، ورفعها وقلعها ، ثم أهوى بها كما قال تعالى : ﴿ والمؤتفة - أي المنقلبة - أهوى . فغشّاها ما غشى ﴾ أي غطّاها بأمطار الحجارة الشديدة على شكلٍ فظيعٍ عظيم جداً .

كما أن جبريل عليه السلام كان هو الحاشر لأتباع فرعون والملاحق لهم ليجمع آخرهم على أولهم ، حين لحق فرعون وقومه رسول الله موسى عليه السلام وقد توجه بأتباعه نحو البحر . قال تعالى ﴿ فأتبعوهم

مشرقين ﴿ أي اتبع فرعون وقومه نبي الله تعالى موسى وقومه ووصلوا إليهم عند شروق الشمس ، فلما تراءى الجمعان - أي تقارباً بحيث رأى كلٌّ من الفريقين صاحبه ﴾ قال أصحاب موسى إنا لمدركون ﴿ أي للمحقون ، وذلك باعتبار أنهم انتهوا إلى سيف البحر ، فصار البحر أمامهم والعدو من ورائهم ، وأرادوا بذلك التحزُّن وإظهار الشكوى لموسى عليه السلام ليُحسن التدبير والتفكير في طريق المخرج من هذا المضيق ، فقال لهم موسى عليه السلام : ﴿ كلاًّ إن معي ربي سيهدين ﴾ إلى ما فيه نجاتكم ونصركم على عدوكم ﴿ وأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر ﴾ أي فيطيعك فور ضربه وينفلق عن عدة مسالك ، يتسع لكل من هو معك سالك . أخرج ابن أبي حاتم وغيره أن موسى عليه السلام لما انتهى إلى البحر قال : اللهم يامن كان قبل كل شيء ، والمكوّن لكل شيء ، والكاّن بعد كل شيء ، اجعل لنا مخرجاً . فأوحى الله تعالى إليه أن اضرب بعصاك البحر . وقد أوحى الله تعالى إلى البحر أن يتهيأ لذلك ، كما أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى أوحى تلك الليلة إلى البحر أن اسمع لموسى وأطع إذا ضربك ، فبات البحر تلك الليلة وله أفكّل - أي رعدة واضطراب - لا يدري من أيّ جوانبه يضربه موسى عليه السلام ، فحين ضربه موسى عليه السلام ﴿ فانفلق فكان

كلُّ فِرْقٍ كالطود العظيم ، وأزلفنا ثمَّ الآخرين ﴿ أي قرَّبنا هناك الآخرين فرعون وقومَه قرَّبناهم من قوم موسى عليه السلام ، وألحقناهم بهم حتى يدخلوا البحر على إثرهم ، كما ألحقنا الآخرين من قوم فرعون بأولهم وجمعناهم إلى بعضهم لئلا ينجوَ منهم أحد ، وكان ذلك بواسطة جبريل عليه السلام ، كما أخرج عبد بن حميد وابن عبد الحكم عن مجاهد التابعي المفسر أنه قال : كان جبريل عليه السلام بين بني إسرائيل وبين آل فرعون فجعل جبريل عليه السلام يقول لبني إسرائيل : ليلحق آخركم بأولكم ، ويستقبل آل فرعون فيقول رويدكم - أي مهلكم - ليلحق بكم آخركم ، فقالت بنو إسرائيل : مارأينا سائقاً أحسن سياقاً من هذا - يشيرون إلى جبريل ولكن لم يعرفوه - وقال آل فرعون : مارأينا وازعاً - أي جامعاً - أحسن زِعة من هذا .

وروى ابن جرير وسعيد بن منصور وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن فرعون كان على فرس أدهم حصان فلما هجم على البحر هاب الحصان أن يقتحم في البحر فتمثل له جبريل عليه السلام على فرس أثني ، فلما رآها حصان فرعون اقتحم البحر خلف فرس جبريل عليه السلام ، وقيل لموسى عليه السلام : ﴿ واترك البحر رهوا ﴾ أي مفتوحاً ذا فجوةٍ واسعةٍ على حاله ولا تغلقه وراءك ليلجَه العدو ،

ودخل فرعون وقومه البحر حتى آخرهم ، وجاز قوم موسى عليه السلام البحر عن آخرهم ، ثم أطبق البحر على فرعون وقومه .

وروى ابن المنذر عن سعيد بن جبير قال : نزل جبريل عليه السلام يوم غرق فرعون وعليه عمامة سوداء .

كما وأن جبريل عليه السلام هو الذي أنزل حصون بني قريظة

وصفوفهم ، فقد روى ابن سعد من مرسل حميد بن هلال أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا بني الله إنهض إلى بني قريظة فقال : « إن في أصحابي جُهداً - أي تعباً - من غزوة الخندق فلو أنظرتهم - أي آخرتهم - أياماً » فقال جبريل : إنهض إليهم فلا تُضعفهم ، وعند ابن إسحق : أن جبريل عليه السلام قال : إن الله يأمرك يا محمد بالسير إلى بني قريظة فأني عامد إليهم فزلزل بهم حصونهم . فأمر ﷺ مؤذناً فأذن : من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلينَّ العصر إلا في بني قريظة .

وفي رواية ابن عائد عن جابر رضي الله عنه قال : بينا رسول الله ﷺ يغسل رأسه مرجعه من طلب الأحزاب إذ وقف عليه جبريل عليه السلام فقال ما أسرع ما حملتم - السلاح ! - والله مانرعا - نحن الملائكة - من لأمتنا - أي سلاحنا - شيئاً منذ نزل العدو . قم

فشدّ عليك سلاحك ، فوالله لأدقنهم دقّ البيض على الصفا . وأراد بذلك أنه يلقي الرعب في قلوبهم حتى يصيروا كالهالكين ، ثم يزلزل بهم فينزلهم من حصونهم . وفي ذلك نزل قوله تعالى : ﴿ وأنزل الذين ظاهروهم ﴾ أي عاونوا المشركين يوم الخندق ﴿ من صياصيمهم ﴾ أي حصونهم ﴿ وقذف في قلوبهم الرعب ، فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً ﴾ .

القوى الملكية والعظمة الجبرية

قال تعالى : ﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض ، جاعل الملائكة رسلاً أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، يزيد في الخلق ما يشاء ، إن الله على كل شيء قدير ﴾ .

ذكر سبحانه في هذه الآية مظاهر قدرته وآثار قوته المشهودة في تكوين السموات والأرض ، ثم أردف ذلك بذكر ملائكته سبحانه ، وأنه جعلهم رسلاً في تنفيذ أوامره التكوينية ، وفي تبليغ وحيه وأحكامه التشريعية ، وأنه سبحانه زاد في خلقهم جمالاً وبهاءً وقوة ، فجعلهم أولى أجنحة ، فمنهم ذو الجناحين ، ومنهم ذو ثلاثة أجنحة ، ومنهم ذو أربعة أجنحة ، ومنهم الأكثر من ذلك ، لأنه سبحانه يزيد في الخلق ما يشاء حسب ما تقتضيه الحكمة ، فانه لا تعجز قدرته عما خصصته إرادته ، واقتضته

حكمته ، لأنه على كل شيء قدير ، وفي ذلك إيماء إلى زيادة الحسن والجمال في خلق الملائكة عليهم السلام ، وزيادتهم في القوة ، وأنهم في ذلك على مراتب متعددة ، فقد وردت الأحاديث في بيان عظمة جبريل عليه السلام وكثرة أجنحته .

فمن ذلك ما جاء في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح ، وفي رواية لمسلم أن النبي ﷺ رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح . وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها : رأى جبريل في صورته التي خلق عليها مرتين ، فراه منهبطاً من السماء إلى الأرض ساداً عظيماً خلقه ما بين السماء والأرض .

فكان جبريل عليه السلام يأتي رسول الله ﷺ ويتراءى له في صور متعددة فتارة في صورة دحية بن خليفة الكلبي حيث كان جميل الصورة بهي المنظر وتارة يأتيه في صورة أعرابي ، وتارة في صورته الجبريلية الحقيقية التي خلق عليها ، له ستمائة جناح مابين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب وقد رآه ﷺ على هذه الصورة مرتين في القول الشائع ، فالمرّة الأولى كانت في بطحاء مكة رآه ﷺ منهبطاً من السماء إلى الأرض ، والثانية عند سدره المنتهى ليلة المعراج .

وروى الامام أحمد بالسند الجيد القوي ، عن ابن مسعود رضي

الله عنه أنه قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سدّ الأفق، يسقط من جناحه من التهاويل^(١) والدر والياقوت ما الله به عليم. وروى أحمد أيضاً بالسند الجيد القوي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « رأيت جبريل وله ستمائة جناح ينتثر من ريشه التهاويل الدر والياقوت » .

روى أحمد والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في حُلَّةٍ من رفرِفٍ قد ملأَ السماء والأرض^(١) .

(١) التهاويل جمع تهويل ، وهو ما يهول الناظر ويدهشه بجماله وبداعة محاسنه ، ويقال للرياض ذات الزهور المختلفة الألوان : التهاويل ، والمراد هنا من تهاويل جبريل عليه السلام : مبدعات جماله التي جمَّله الله تعالى بها ، ودرُّ أنواره التي حلاه الله تعالى بها .

(٢) قال في فتح الباري : وبهذه الرواية يعرف المراد بالرفرف ، وأنه حُلَّةٌ ، ويؤيده قوله تعالى : ﴿ متكئين على رفرف خضر ﴾ الآية وأصل الرفرف ما كان من الديباج - أي الحرير - رقيقاً حسن الصنعة ، ثم اشتهر استعماله في الستر ، وكلُّ ما فصل من شيءٍ فغطف وثني فهو رفرف ، ويقال : رَفَرَفَ الطير بجناحيه إذا بسطها ، وقال بعض الشراح : يحتمل أن يكون جبريل عليه السلام بسط أجنحته فصارت تشبه الرفرف ، كذا قال - أي بعض الشراح - والرواية التي أوردتها توضح المراد . اهـ كلام صاحب الفتح .

ولا يلزم من رؤيته ﷺ جبريل ليلة المعراج عند سدره المنتهى -
لا يلزم من ذلك أنه ﷺ لم ير ربه ليلة المعراج كما توهمته بعض
الناس، وإنما الحق أنه ﷺ رأى جبريل عند السدرة، كما وأنه ﷺ رأى ربه ليلة
المعراج، ولا ينافي ذلك هذا، لما ثبت في الأدلة الصحيحة، وليس هنا موضع بسطها.
وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « رأيت جبريل
منهبطاً وقد ملأ ما بين الخافقين، عليه ثياب سندس معلق بها اللؤلؤ
والياقوت » رواه أحمد وغيره .

وفي الصحيحين عن جابر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث
عن فترة الوحي فقال في حديثه : « فينا أنا أمشي إذ سمعتُ صوتاً من
السماء فرفعتُ بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء ، قاعد
على كرسي بين السماء والأرض ، فخشيتُ منه حتى هويتُ إلى الأرض
فجئت إلى أهلي فقلت : زمّلوني زمّلوني ، فدثروني ، فأنزل الله
تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ . وَرَبُّكَ فَكَبِّرْ ، وَثِيَابُكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ
فَاهْجِرْ ﴾ .

فهذا الملك هو جبريل عليه السلام الذي جاء إلى النبي ﷺ قبل
هذه المرة بقوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ .. ﴾ الآيات الخمسة
فانها أول ما نزل من القرآن الكريم على الإطلاق ، ثم فتر الوحي
فكان أول ما نزل بعد فترة الوحي خمس آيات من أول المدثر .

خَشْيَةُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى

قال الله تعالى : ﴿ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ .

روى الطبراني وابن أبي حاتم وغيرهما عن جابر رضي الله عنه أن النبي

ﷺ قال : « صررتُ ليلة أُسري بي بالملأ الأعلى وجبريل كالجلس

البالي من خشية الله »^(١) .

وعن زرارة بن أوفى أن رسول الله ﷺ قال لجبريل : « هل

رأيتَ ربك ؟ فانتفض جبريل - أي ارتعد ارتعاداً شديداً من الهيبة -

وقال يا محمد : إن بيني وبينه سبعين حجاباً من نورٍ لو دنوت من بعضها

لا احترقت » . قال صاحب المشكاة : هكذا في المصابيح ، ورواه أبو

نعيم في الحلية عن أنس إلا أنه لم يذكر فانتفض جبريل اه . قال

الشارح : وفي الجامع برواية الطبراني في الأوسط عن أنس عن النبي

ﷺ قال : « سألت جبريل هل ترى ربك ؟ فقال : إن بيني وبينه

سبعين حجاباً من نورٍ لو رأيتُ أدناها لا احترقتُ » .

(١) قال في مجمع الزوائد : رجاله رجال الصحيح .

تلقى جبريل عليه السلام الوحي عن رب العالمين

واستغراق الملائكة من هيئة الوحي

عن النواس بن سميان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :
« إذا أراد الله تعالى أن يوحى بأمرٍ تكلم بالوحي ، فإذا تكلم بالوحي
أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله تعالى ، فإذا سمع ذلك أهل السموات
صعقوا وخرُّوا سجداً ، فيكون أوَّل من يرفع رأسه جبريل عليه السلام
فيكلمه الله تعالى من وحيه بما أراد ؛ فيمضي به جبريل عليه السلام على الملائكة
فكلما مرَّ بساء سماء سألته ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول :
قال الحق ، وهو العلي الكبير . فيقولون كلُّهم مثلاً ما قال جبريل ،
فينتهي جبريل عليه السلام بالوحي حيث أمره الله تعالى من السماء
والأرض » (١) .

وهذه الرجفة الشديدة التي تأخذ السماوات من سطوات الهيبة
هي المشار إليها بقوله تعالى ﴿ حم عسق . كذلك يوحى إليك وإلى الذين
من قبلك الله العزيز الحكيم . له ما في السموات وما في الأرض ، وهو
العلیُّ العظيم . تكاد السموات يتفطرن من فوقهن ﴾ - أي من سطوة

(١) رواه الطبراني والبيهقي وابن جرير وابن خزيمة ، وأصله في الصحيحين كما سيأتي ،
وانظر تفسير ابن كثير والدر المنثور وغيرها .

الوحي الوارد عليهن من فوقهن ﴿ والملائكة يسبحون بحمد ربهم ﴾ الآية

اكرام سيدنا رسول الله لجبريل الامين عليه السلام

لقد كان لجبريل عليه السلام عند رسول الله ﷺ ، منزلة كريمة ومحبة عظيمة ، ورتبة مكينة ، وأخوة متينة ، فكان ﷺ كثيراً ما يخاطب جبريل عليه السلام بصيغة الأخوة فيقول : « يا أخي يا جبريل » وكان ﷺ ينتظر زيارته ويترقبها ويستزيده منها ، حباً فيه واشتياقاً إليه ، كما جاء في الصحيحين وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام : « ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟ » فزلت ﴿ وما تنزل إلا بأمر ربك ، له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك ، وما كان ربك نسياً ﴾ .

وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن عكرمة قال : أبطأ جبريل النزول على النبي ﷺ أربعين يوماً - وفي رواية اثنتي عشرة ليلة - ثم نزل ، فقال له النبي ﷺ : « ما نزلت حتى اشتقت إليك » فقال له جبريل : بل أنا كنت إليك أشوق ، ولكني مأمور ، فأوحى الله تعالى إلى جبريل : أن قل له : ﴿ وما تنزل إلا بأمر ربك ﴾ . الآية

كما وأن جبريل عليه السلام هو صاحب رسول الله ﷺ في إسرائه إلى المسجد الأقصى ، يقوم بواجب تكريم النبي ﷺ وحفاوته ، وإظهار فضل مقامه ورتبته ، وتقديمه ﷺ إماماً بالأنبياء والمرسلين صلوات الله تعالى عليه وعليهم أجمعين .

كما وأن جبريل عليه السلام هو صاحب رسول الله ﷺ ليلة المعراج كما صح في أحاديث المعراج ، فكان يمشي في ركاب عزيز الجناب ، ويفتح له الأبواب ، ويفتح له الخطاب عند التقائه ﷺ بالأحباب - أي عند التقائه ﷺ بإخوانه الأنبياء صلى الله عليه وعليهم وسلم - فكان جبريل عليه السلام يفعل ذلك قياماً بواجب التعظيم ، والاحترام والتكريم ، لمقام هذا الرسول الكريم إمام الأنبياء والمرسلين ، وأكرم الأولين والآخرين على رب العالمين صلوات الله تعالى عليه وعلى جميع إخوانه النبيين .

إسرافيل عليه السلام وبعض وظائفه

خشيتة من الله تعالى : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال

ﷺ « إن الله تعالى خلق إسرافيل منذ يوم خلقه صافاً قدميه لا يرفع بصره - أي من خشية الله تعالى - بينه وبين الرب تبارك وتعالى سبعون

نوراً ، ما منها نور يدنو منه إلاَّ احترق »^(١) . قال في المشكاة : رواه الترمذي وصححه .

إسرافيل يخبر النبي ﷺ بمقامي الملكية والعبدية :

روى الطبراني بإسنادٍ حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :
كان رسول الله ﷺ ذات يوم وجبريل على الصفا فقال : « يا جبريل
والذي بعثك بالحق ما أُمسى لآل محمد سفة من دقيقٍ ، ولا كف من
سويق » فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدةً من السماء أفزعته
فقال ﷺ « أمر الله تعالى القيامة أن تقوم ؟ » فقال جبريل : لا ولكن
أمر إسرافيل فنزل إليك حين سمع كلامك ، فأتاه إسرافيل فقال : إن
الله قد سمع ما ذكرت فبعثني إليك بمفاتيح خزائن الأرض ، وأمرني
أن أعرض عليك ، أسير معك جبال تهامة زمرداً وياقوتاً وذهباً وفضة
فإن شئت نبياً ملكاً ، وإن شئت نبياً عبداً - ثلاثاً - قال ﷺ :
« فأشار جبريل إليَّ بيده - أن تواضع - فعرفت أنه - أي جبريل -
لي ناصح ، فقلت : نبياً عبداً . ثم قال ﷺ : فلو أني قلت : نبياً
ملكاً لسارت الجبال معي ذهباً »^(٢) .

(١) ورواه البيهقي في الشعب وأبو الشيخ في العظمة ، كما في شرح المواهب
والخصائص الكبرى وغيرها .

إسرافيل عليه السلام يأتي رسول الله ﷺ بمقاليد الدنيا :

روى الإمام أحمد وابن حبان والضياء برجال الصحيح عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أُتيتُ بمقاليد الدنيا على فرسٍ أبلق - أي في لون سواد وبياض - جاءني به جبريل عليه قطيفة من سندس وفي رواية : جاءني به إسرافيل . قال الزرقاني : ولاتنافي بين ذلك لأنه من باب تعدد المجيء وأن كلا من جبريل وإسرافيل عليهما السلام جاء بذلك أو أن الآتي بذلك جبريل وصحبه إسرافيل عليهما السلام . والظاهر هو الأول .

وقد اختار النبي ﷺ مقام العبدية ولم يحتتر الملكية تواضعاً لله تعالى وعبودية له وتقرباً وتجبباً ، لأن مقام العبدية أحب إليه سبحانه وأقرب لديه ، ولكل مقام أحكام ومطالب تفصلها في غير هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

وينبغي أن يُعلم أن النبي ﷺ قد انطوى له مقام الملكية في مقام العبدية ، غير أنه أخفاه ولم يظهر العمل بمقتضاه ، دلَّ على ذلك حديث الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن عفريتاً من الجن تفلّت عليَّ البارحة ليقطع عليَّ الصلاة ، فأمكنني الله منه

فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا تنظرون إليه كلُّكم ، فذكرتُ قول أخي سليمان ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مَلَكًا لَا يُنْفِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ .

إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْعُو الْخَلَائِقَ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى فَيُخْرِجُون

مِنْ قُبُورِهِمْ :

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ .

والمعنى : ومن آياته تعالى الدالة على وجود ذاته وكمال صفاته ، قيام السماء والأرض على هيئتهما الوجودية وكيفيتهما الكونية ، بأمره تعالى إلى أجل مسمى قدَّره لهما ، ثم إذا دعاكم بعد انقضاء ذلك الأجل المسمى - وأنتم في قبور الأرض - دعوة واحدة إذا أنتم تخرجون سِراعًا .

وإِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ الَّذِي يَدْعُو الْخَلَائِقَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى قال تعالى : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَى شَيْءٍ نَكْرًا . خُشْعًا أَبْصَارُهُمْ ، يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ . مَهْطَعِينَ إِلَى الدَّاعِ ، يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَسِيرٍ ﴾ .

جاءت هذه الآيات بعد قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾ . والمعنى : فأعرض عن أولئك المعرضين عن

الإيمان بآياتنا بعدما رأوها ، وأنذرهم يوم يدعُ الداعي إلى شيء نكُر - أي فظيع تنكره النفوس - وهو هول الموقف يوم القيامة ، وما فيه من البلاء والكُرب والشدائد عياداً بالله تعالى ﴿ خشعاً أبصارهم ﴾ أي ذليلةً أبصارهم ﴿ يخرجون من الأجداث ﴾ - أي القبور - ﴿ كأنهم جراد منتشر ﴾ في كثرتهم وتموجهم وانتشارهم وسرعة سيرهم إلى المحشر ﴿ مهطعين إلى الداع ﴾ - أي مسرعين إليه متوجهين صَوِّبه مادِّي أعناقهم نحوه .

وإسرافيل عليه السلام هو المنادي في الخلائق يوم القيامة ، قال الله تعالى : ﴿ واستمع يوم يُنادِ المنادِ من مكانٍ قريبٍ ﴾ - أي قريب من الخلائق ، ليأخذ النداء منهم كلَّ مأخذ ، ويؤثر فيهم كل التأثير ﴿ يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج ﴾ - أي من القبور - روي : أن إسرافيل عليه السلام ينادي : يَا أَيَّتُهَا الْعِظَامُ النَّخِرَةُ ، وَالْجُلُودُ الْمَتَمَزِّقَةُ وَالْأَشْعَارُ الْمُتَقَطِّعَةُ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْمُرُكَ أَنْ تَجْتَمِعِيَ لِفَصْلِ الْحِسَابِ ^(١) ، ويروى : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْمُرُكَ أَنْ تَجْتَمِعْنَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ .

(١) رواه ابن عساکر والواسطي وابن جرير ، كما في تفسير ابن كثير والدر المنثور وغيرها .

وربما قال : على الله توكلنا .

عالم کبیر لیس کرویا ، بل هو علی شکل القرن

العظمة ، كما في الدر المنثور وغيره .

حول ميكائيل عليه السلام

إن لميكائيل عليه السلام مناصب عديدة ، فمنها : أنه أحد وزيري سيدنا رسول الله ﷺ في السماء . كما روى الترمذي بإسناد صحيح والحاكم وصححه عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إن لي وزيرين من أهل السماء ، ووزيرين من أهل الأرض ؛ فوزيراي من أهل السماء جبريل وميكائيل ، ووزيراي من أهل الأرض أبو بكر وعمر » .

قال العلامة القرطبي : في الحديث دليل على أن المصطفى ﷺ هو أفضل من جبريل وميكائيل عليهما السلام اه قال عبد الله : وهذا استنباط حسن وكلام حق ، لأنه حيث كان جبريل وميكائيل في المنزلة عنده ﷺ منزلة الوزيرين ، فمنزلته ﷺ عندهما منزلة الرئيس النبيل والآمر الأصيل ﷺ ، وإن شأن الوزير أن يشد الأزر عند احتدام الأمر . قال الله تعالى إخباراً عن موسى عليه السلام : ﴿ واجعل لي وزيراً من أهلي ، هارون أخي ، أشدد به أزري ﴾ وموسى أفضل من هارون عليهما السلام .

وقد روى الطبراني والبزار وأبو نعيم عن ابن عباس مرفوعاً : « إن الله تعالى أيّدني بأربعة وزراء ، اثنين من أهل السماء : جبريل وميكائيل ،

واثنين من أهل الأرض : أبي بكر وعمر .

ومن أجل هذا المنصب الوزاري نزل جبريل وميكائيل عليهما السلام يوم أُحديقتانلان إلى جاني رسول الله ﷺ ، كما ثبت في الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : رأيتُ على عَيْن رسول الله ﷺ وعلى شماله يوم أُحدي رجلين ، عليهما ثياب بيض يقتلان كأشدِّ القتال، مارأيتهما قبلُ ولا بعدُ . يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام .
وقول سعد رضي الله عنه مارأيتهما قبل - لا ينافي ماورد في البخاري عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال يوم بدر : « هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب » - أي حامل السلاح - فيحتمل أن سعداً لم يرَ جبريل يوم بدر .

وجاء في حديث الطبراني والبيهقي وغيرها عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال في جملة من حديث طويل : « قلتُ : يا جبريل على أي شيء أنت ؟ - أي على أي شيء ولا لك الله تعالى في جملة ماأمرك به - قال : على الرياح والجنود . قلتُ : على أي شيء ميكائيل ؟ فقال : على النبات والقطر^(١) » .

(١) وقد أورد هذا الحديث صاحب الدر المنثور وقال : سنده حسن . أي لغيره لا اعتضاده بشواهد متعددة .

حمد العرش المعبود

قال الله تعالى : ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به .. ﴾ الآية .

فأخبر سبحانه أن للعرش حملة يحملونه تعزُّزاً وتشرفاً ، وفي ذلك مظهر لسلطان الملك ، ومقام هيبة الربوبية .

كما يبيِّن سبحانه عدَّة حملة العرش فقال : ﴿ والملائكة على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾ فحملة العرش يوم القيامة هم ثمانية بنص الآية ، ولكن اختلف في عددهم الآن . فقال بعضهم : هم الآن أربعة واستدلوا بما رواه ابن جرير بإسناده عن ابن زيد مرفوعاً : « إن العرش يحمله اليوم أربعة ، ويوم القيامة ثمانية » .

وقال بعضهم : هم الآن ثمانية أيضاً ، واستدلوا بما رواه ابن أبي حاتم بإسناده عن ابن عمر قال : حملة العرش ثمانية ، ما بين موق أحدهم إلى مؤخر عينه مسيرة مائة عام .

واختلف في المراد بالثمانية ؟ فقائلون بأنهم ثمانية من الملائكة ، وقائلون بأنهم ثمانية صفوف من الملائكة . فقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾ قال : ثمانية صفوف من الملائكة ، لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى .

روي أن أربعة منهم يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك ، على
حلمك بعد علمك ، وتُجيبهم الأربعة الثانية : سبحانك اللهم وبحمدك
على عفوك بعد قدرتك . والله تعالى أعلم .

عظمة حملة العرش : روى أبو داود عن جابر رضي الله عنه أن
النبي ﷺ قال : « أُذِن لي أن أُحدِّث عن ملكٍ من ملائكة الله
تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه - أي كتفه -
مسيرة سبعة عشر سنة . وجاء في روايه الطبراني : « أن ما بين شحمة أذنه
وعاتقه خفقان الطير سبعة عشر سنة ، يقول : سبحانك حيث كنت » .
وروى أبو يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أُذِن
لي أن أُحدث عن ملكٍ قد مرقت رجلاه في الأرض السابعة ، والعرش
على منكبيه ، وهو يقول : سبحانك أين كنت وأين تكون ^(١) » .
هيئة حملة العرش ومن يلونه من سطوات الأوامر والآلية :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الشَّفَاعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ ،
حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ^(٢) قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا : الْحَقُّ ، وَهُوَ

(١) والمعنى : سبحانك في قديمك الذي لا أول له ، وسبحانك في بقائك الذي
لا آخر له ، قال في جمع الزوائد : رجاله رجال الصحيح اه .

(٢) التفريع : إزالة الفرع ، فصيغة التفعيل هنا للسلب ، والمعنى : حتى إذا أزيل
الفرع عن قلوب الملائكة المتسبب عن سطوات الأوامر ، الصادرة عن مقام
الملي الكبير ، ذي العظمة والكبرياء .

العليُّ الكبيرُ ❦ .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ جالساً في نفر من أصحابه - وفي رواية عبد الرزاق : من الأنصار - فرمي بنجم فاستنار - أي أضاء الأضواء - فقال ﷺ : « ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية ؟ » قالوا : كنا نقول يولد عظيم أو يموت عظيم . فقال ﷺ : « فإنها لا يرمى بها لموت أحدٍ ولا لحياة ، ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمراً سبَّح حملة العرش ، ثم سبَّح أهل السماء الذين يلونهم ، حتى يبلغ التسبيح السماء الدنيا ، ثم يستخبر أهل السماء الذين يلون حملة العرش ، فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش : ماذا قال ربكم ؟ فيخبرونهم ، ويخبر أهل كلِّ سماءٍ سماءً حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء ، وتخطف الجنُّ السمعَ فيُرمون - أي ترميهم الملائكة بالشهب - فما جاءوا به على وجهه فهو حقٌّ ، ولكنهم يقرِّفون فيه ويزيدون »^(١).

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال : « إذا قضى الله تعالى الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها

(١) يعني أن الجن المسترقين للسمع يسمعون تلك الكلمة من ملائكة السماء الدنيا فيزيدون فوقها مائة كذبة ويصدقون بتلك الكلمة التي سمعوها ويكذبون بما وراءها . وهذا الحديث رواه مسلم واللفظ له والامام أحمد والترمذي والنسائي .

خُضْعَانَا لقوله ، كأنه سلسلة على صفوان ، فإذا فُزَّع عن قلوبهم
قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال : الحق وهو العليُّ الكبير ،
فيسمعا مسترقُ السمع ، ومسترقُ السمع هكذا : بعضه فوق بعض
فيسمع الكلمة فيلقيا إلى من تحته ، ثم يلقيا الآخر إلى من تحته ،
حتى يلقيا على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدركه الشهاب قبل
أن يلقيا ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة ،
فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا ، كذا كذا ، فيصدق بتلك
الكلمة التي سُمعت من السماء .

وظائف حملة العرش ومن حوله :

قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا : رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً
وَعِلْمًا ، فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ، وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ .
رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ
وَزُرِّيَّاتِهِمْ ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ، وَمَنْ تَقِ
السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

يُخْبِرُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنْ حِمَاةِ عَرْشِهِ وَمَنْ حَوْلَهُ أَنَّهُمْ مُلَازِمُونَ لِتَسْبِيحِهِ
وَتَحْمِيدِهِ سُبْحَانَهُ ، وَدَائِبُونَ عَلَى الْإِيمَانِ بِهِ ، وَالِاسْتِغْفَارِ لِلْمُؤْمِنِينَ . أَمَا

التسبيح فهو تنزيه الله تعالى عمالا يليق ، وأما التحميد فهو إثبات المحامد له سبحانه لكماله ولنواله ، وذلك أن الله تعالى يستحق الحمد على كمالاته الذاتية وصفاته العلية ، وعلى إحسانه وإنعامه وبرّه وإفضاله على سائر مخلوقاته .

وقوله تعالى ﴿ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ - أي يؤمنون به إيماناً عملياً - وهو قيامهم بأنواع العبادات التي يعبدون الله تعالى بها ، من سجادات وصلوات ونحو ذلك من التعبّدات العملية التي يأمرهم الله تعالى بها .

وذلك لأن الإيمان قد يطلق على الإيمان العملي المبني على الإيمان الاعتقادي كالصلاة ونحوها ، قال تعالى : ﴿ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ الآية ، قال بعض السلف : المراد بالإيمان هنا الأعمال التعبّدية كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ أي أعمالكم التعبّدية المبنية على الإيمان الاعتقادي التصديقي ، وقد نزلت هذه الآية في الصلاة ، كما صحح الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما وُجِّهَ رسول الله ﷺ إلى الكعبة قالوا : يا رسول الله كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس ؟ - أي ما حكم صلواتهم الماضية قبل التحول إلى الكعبة المشرفة - فأنزل الله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ

ليضيع إيمانكم ﴿ الآية . أي صلاتكم ونحوها من بقية الأعمال الإيمانية ^(١) .

وعلى هذا فقد وصف سبحانه حملة العرش ومن حوله بأنهم دائبون على التسيبحات والتحميدات القولية ، دائمون على العبادات العمالية ، كما وصفهم سبحانه بقوله ﴿ ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ لمناسبة الإيمان الجامعة بينهم . فإنها جمعت بينهم ولاءً ومحبةً وشفقةً ونصيحةً ، فهم يقولون ﴿ ربنا وسعت كل شيء رحمةً وعلماً فاغفر للذين تابوا ﴾ والمعنى أنهم سألوا الله تعالى متوسلين إليه بسعة رحمته كل شيء وهي الرحمة المعنية باسم « الرحمن » الذي عمّت رحمته كل شيء : العرش والفرش قال الله تعالى ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ . ومتوسلين إليه بسعة علمه وإحاطته بكل شيء أن يغفر سبحانه للذين تابوا - أي رجعوا إلى الله عما لا يرضاه - .

﴿ واتبعوا سبيلك ﴾ أي صراط شرعك الذي أقمته لهم وأمرتهم أن يتبعوه ويمشوا على منهاجه دون أن يعدلوا عن سنن استقامته إلى المنحرفات والمعوجات . قال تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه

(١) وذلك لأن خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ ، ولكن سبب النزول هو قطعي الدخول في الآية ، فجميع الأعمال الشرعية العقيدية داخلة في قوله تعالى ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ كما قال تعالى ﴿ فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم ﴾ الآية .

ولا تتبعوا السُّبُلَ فَتَفَرِّقَ بَيْنَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٠٣﴾

﴿ وَفِيهِمْ عَذَابُ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ ﴾
وفي هذا تمام الفضل والنعمة عليهم ، وذلك بأن يقيمهم الله تعالى عذاب
الجنة ويتفضل عليهم فيدخلهم الجنة النعيم ، إذ لو وقاهم العذاب وحده ولم
يدخلهم الجنة لبقوا على السور بين الجنة والنار . فسبحان الكريم الغفار .

﴿ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴾ وفي هذا الدعاء قرّة أعين المؤمنين التائبين المتبعين سبيل ربهم
بآبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، فيدخل من صلح منهم الجنة إلحاقاً بهم ،
ليزداد نعيمهم ويتضاعف سرورهم من جميع الوجوه والاعتبارات . قال
تعالى ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أي إيماناً عظيماً ﴿ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ ﴾
أي دون إيمان آبائهم ﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ^(١) الآية .

﴿ وَفِيهِ السَّيِّئَاتِ ، وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ، وَذَلِكَ
هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ وهذا دعاء لهم أن يحفظهم الله تعالى من السيئات

(١) وهذا دليل على أن النسب الصالح ينفع ، فيه يلحق المتابع المقصّر في عمله بأصوله
المجدّين في أعمالهم ، وأما المبطل في عمله عن السير والمتابعة فقد قال ﷺ :
« مَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يَسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ » . وفي قوله تعالى ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا
صَالِحًا ﴾ دليل صريح على نفع النسب الصالح ، فانه سبحانه أمر الخضر عليه
السلام أن يقيم الجدار - أي يرفعه مستقيماً بعد ميله للهبوط - حفظاً لكنز
اليتيمين تحته ، إكراماً لأبيهما الصالح .

في الدنيا والآخرة ، فلا يسوء لهم حال ولا يساء لهم وجه ، ومن وقاه الله تعالى السيئات يوم القيامة فقد رحمه سبحانه برحمته الخاصة المعنوية في قوله تعالى ﴿ وكان بالمؤمنين رحيماً ﴾ وقوله ﴿ يختص برحمته من يشاء ﴾ (وذلك هو الفوز العظيم) اللهم اجعلنا منهم .

فما أكرم المؤمنين على ربهم ! إنهم لتستغفر لهم حملة العرش ومن حوله ويدعون لهم بكل خير ، ويسألون الله تعالى لهم كل سعادة وبر ، ولمن يلوذ بهم من الآباء والأزواج والذرية . وما كان ذلك إلا عن أمر الله تعالى لهم بذلك ، لأن الملائكة لا يسبقونه تعالى بالقول وهم بأمره يعملون . ومن كرامة المؤمنين على ربهم أن رسول الله نوحاً على نبينا وعليه الصلاة والسلام قد استغفر لهم قال الله تعالى : « رب اغفر ولو الذي » ولمن

دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تباراً .
كما استغفر لهم خليل الله تعالى سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة

والسلام قال تعالى : « ربنا اغفر لي ولو الذي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب »
وقد أمر الله تعالى حبيبه الأكرم ورسوله المعظم سيدنا محمد ﷺ

أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات قال تعالى : « فاعلم أنه لا إله إلا الله

واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات » الآية ولا يمكن أن يتخلف

ﷺ عن أمر الله تعالى فهذه بشارت إلهية لعباد الله المؤمنين ؛

اللهم اجعلنا منهم . آمين .

اعلم رب العالمين حمدة العرش بحبه ورضاه عنهم ارتضاه ، وغضبه على
من أغضبه ، ثم تنزل ذلك في العوالم السماوية والأرضية

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ
الرَّحْمَنُ وُدًّا ^(١) 》 .

روى الإمام أحمد عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :
« إِنَّ الْعَبْدَ لِيَلْتَمِسَ مَرْضَاةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ ، فيقول
الله عزَّ وجلَّ لجبريل : إِنَّ فَلَانًا عَبْدِي يَلْتَمِسُ أَنْ يَرْضِيَنِي ، أَلَا وَإِنْ
رَحِمْتِي عَلَيْهِ ، فيقول جبريل : رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى فَلَانٍ ، ويقولها حملة العرش ، ويقولها من
حولهم حتى يقولها أهل السماوات السبع ، ثم يهبط إلى الأرض - زاد ابن مردويه
في روايته عن ثوبان : فقال ﷺ : وَهِيَ الْآيَةُ الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ
﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا 》 - وَإِنْ
الْعَبْدُ لِيَلْتَمِسَ سَخَطَ اللَّهِ فيقول الله : يَا جِبْرِيلُ إِنَّ فَلَانًا يُسَخِّطُنِي ،
أَلَا وَإِنْ غَضِبِي عَلَيْهِ ، فيقول جبريل : غَضِبُ اللَّهُ عَلَى فَلَانٍ ، ويقولها
حملة العرش ، ويقولها من دونهم حتى يقولها أهل السماوات السبع ، ثم
يهبط - أي القول بذلك - إِلَى الْأَرْضِ » .

(١) في هذه الآية إعلام الله تعالى عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات - وهي
الأعمال الخالصة له المتابعة لشرعه - بأنه سيجعل لهم وُدًّا ، أي حبا ثابتا =

وروى مسلم - والبخاري والترمذي باختصار - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال : إني أحب فلاناً فأحبه ، قال فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء ، فيقول : إن الله يحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، قال ثم يوضع له القبول في الأرض ، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول : إني أبغض فلاناً فأبغضه ، قال فيبغضه جبريل ، ثم ينادي في أهل السماء : إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه ، قال فيبغضونه ثم ، توضع له البغضاء في الأرض » .

= ممكناً في قلوب أهل الملأ الأعلى والسموات والأرض ، وذلك أنه لما أحبوه وأطاعوه أحبهم ، فلما أحبهم حببهم إلى عباده المؤمنين . وقد روى الترمذي أن النبي ﷺ قال : « وما أقبل عبد على الله بقلبه إلا جعل الله قلوب المؤمنين تنقاد إليه بالود والرحمة ، وكان الله بكل خير إليه أسرع » ، وروى ابن أبي حاتم عن الحسن البصري رحمه الله ، أنه قال : قال رجل والله لأعبدن الله عبادةً أذكر بها ، فكان لا يرى في حين صلاة إلا قائماً يصلي ، وكان أوّل داخل إلى المسجد وآخر خارج منه ، فكان لا يعظم - أي عند الناس - فمكث بذلك سبعة أشهر ، فكان لا يمر على قوم إلا قالوا : انظروا إلى هذا المرائي ، فأقبل على نفسه فقال : لا أراني أذكر إلا بشر ، لأجعلن عملي كله لله عز وجل - أي مخلصاً - فلم يزد على أن قلب نيته ، ولم يزد على العمل الذي كان يعمل ، فكان يمر بعد بالقوم فيقولون : رحم الله فلاناً الآن وتلا الحسن البصري قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً ﴾ .

وروى أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :
« إن المِقة - أي المحبة - من الله تعالى ، والصَّيت من السماء ، فإذا
أحبَّ الله عبداً قال لجبريل : إني أحب فلاناً .. » الحديث .

الطهرُ الأعلى - النَّبِيُّ الأَعْلَى - الرفيقُ الأعلى

هم أشرف الملائكة ومقرَّبوهم . قال الله تعالى : ﴿ قل هو نبيّ عظيم
أنتم عنه معرضون . ما كان لي من علم في الملائة الأعلى إذ يختصمون .
إن يُوحى إليّ إلاّ أنا أنأ نذير مبين ﴾ .

والمقصد في هذه الآيات إقامة الحجة القاطعة على حقيقة نبوة سيدنا
محمد ﷺ لأنه ﷺ جاء يخبر بأمور لم يكن قبل ذلك يعلمها حتى أنزل
الله تعالى الوحي فأعلمه بذلك .

فقال سبحانه : ﴿ قل ﴾ يا محمد محتجاً على المنكرين لنبوتك ﴿ هو ﴾
أي القرآن أو النبوة وكلاهما متلازمان ومستلزمان لبعضهما ﴿ نبيّ عظيم
أنتم عنه معرضون ﴾ لتماذي غفلتكم وعدم تفكيركم ، فإن العاقل لا يعرض
عن مثل هذا النبا العظيم والأمر القويم ، بل شأن العاقل أن يفكر
فيه ويعتبر ، فإن ذلك يحمله على أن يؤمن بنبوة سيدنا محمد ﷺ
والقرآن الذي جاء به ، وأنه حقاً رسول الله ، وأن هذا القرآن حقاً هو

كلام الله تعالى ، ولا يحتمل غير ذلك ، لأنه ﴿ ما كان لي من علم في الملائكة الأعلى إذ يختصمون ﴾ .

يعني أنه ﷺ قبل أن ينباه الله تعالى وينزل عليه القرآن ما كان عنده علم باختصاص الملائكة الأعلى ، وما يجري بينهم من التقاول في قضية آدم ، وقضية اعتبارات أعمال بني آدم : من الكفارات والدرجات وتنزيلها في منازلها وإعطائها استحقاقاتها ، فهو ﷺ لم يكن عنده علم بجميع ذلك قبل أن ينبت وينزل القرآن عليه ، لأنه كان أمياً ﷺ ، فلم يقرأ الكتب الماضية ولم يسمعها من أهلها ، فمن أين جاء بهذه العلوم الوافرة الكثيرة التي من جملتها العلم باختصاص الملائكة الأعلى ؛ إذاً حقاً إنه رسول الله ﷺ أوحى الله تعالى إليه وعلمه ذلك كله .

روى أحمد في مسنده عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال :
احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات غداة من صلاة الصبح حتى كدنا نترأى قرن الشمس ، فخرج ﷺ سريعاً فتوَّب بالصلاة ، فصلَّى وتجوَّز - أي أسرع - في صلاته فلما سلم ﷺ قال : « كما أنتم على مصافكم »
- أي لا تفارقوا مكانكم - ثم أقبل إلينا فقال : « إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة ، إني قمتُ من الليل فصلَّيتُ ما قدَّر لي فنعستُ في صلاتي

حتى استيقظت فإذا أنا بربي عز وجل في أحسن صورة^(١) ، فقال :
يا محمد أتدري فيم يختصم الملائة الأعلى ؟ قلت : لا أدري يا رب فأعادها
ثلاثاً . فرأيت وضع كفه بين كتفي حتى وجدت بردها بين يدي^(٢) ،
فتجلست لي كل شيء ، وعرفت - وفي رواية الترمذي : فعلت ما
في السموات وما في الأرض - فقال : يا محمد فيم يختصم الملائة الأعلى ؟^(٣)
قلت : في الكفارات والدرجات . قال : وما الكفارات ؟ قلت :
نقل الأقدام إلى الجماعات ، والجلوس في المساجد بعد الصلوات ،
وإسباغ الوضوء عند الكريهات . قال : وما الدرجات ؟ . قلت : إطعام
الطعام ، ولين الكلام ، والصلاة والناس نيام^(٤) . ثم قال : سئل . قلت :

(١) قال ابن الأثير في جامع الأصول : الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها ،
وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته ، وعلى معنى صفته . يقال : صورة الفعل كذا
وكذا ، لهيئته ، وصورة الأمر كذا وكذا ، لصفته ، فيكون المراد بما جاء
في الحديث : إنه أتاه في أحسن صفة ، ويجوز المعنى إلى النبي ﷺ أي أتاني
ربي وأنا في أحسن صورة اه قال عبد الله : ومما يؤيد أن الصورة قد يراد
بها الصفة قوله ﷺ : « إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر
ليلة البدر » أي على صفته في النور والاضاءة ، وليس المراد هيئته المستديرة .

(٢) في هذا رموز وإيماءات إلى إفاضات وتجليات فيها انكشافات ومشاهدات وعلوم
وإطلاعات ، فسبحان من تنزه عن الكميات والكيفيات ! .

(٣) قال ابن الأثير : الملائة هم أشرف الناس وسادتهم وأرادهن بالملائة الأعلى الملائكة
المقرين اه .

(٤) فاختصام الملائة الأعلى هو التقاؤل الذي يجري بينهم في شأن الكفارات والدرجات =

اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين
وأن تغفر لي وترحمني ، وإذا أردت فتنةً في قومٍ فتوفني غير مفتون ،
وأسألك حبك وحب من يحبك ، وحب عمل يقربني إلى حبك .
وقال ﷺ : إنها حق فادرسوها وتعلموها^(٢) .

الندي الأعلى^(٣)

ويقال للملأ الأعلى : الندي الأعلى ، وذلك باعتبار اجتماعهم في مجتمعٍ عالي
الرتبة ، رفيع المكانة ، للتباحث في تدابير الأمور باذنه تعالى ، وللنظر في
مُخَوَّلَات أعمال المؤمنين واستحقاقاتها ، وغير ذلك مما يتعلق بالأحوال العامة .

من الأعمال والأقوال على اختلاف أنواعها فيتباحثون في الدرجات واستحقاقاتها
ومقتضياتها وأيّها أحب إلى الله تعالى ، وأيّها أعظم درجة وأكثر ثواباً ،
وفي الكفارات ومقدارها تكفر من الذنوب وتقي من العقوبات ، فيجري بينهم
التقاول في ذلك ثم يرفع الأمر إلى رب العزة أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين
فيحكم حكمه في ذلك ولا معقب لحكمه جلّ وعلا .

(٢) ورواه الترمذي عن ابن عباس وقال حسن صحيح ، وروي النسائي بمضنه
والحاكم وقال على شرطها .

(٣) ذكر في النهاية أن الندي بالتشديد النادي وهو : مجتمع القوم ، وأهل المجلس فيقع
على المجلس وأهله ، والمراد بالندي الأعلى : الملأ الأعلى من الملائكة .

قال تعالى : ﴿ فَاَلْمَدِيرَاتِ أَمْرًا ﴾ .

روى أبو داود عن أبي الأزهر الأنماري أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال : « بسم الله ، وضعتُ جنبي لله ، اللهم اغفر لي ذنبي ، واخسأ شيطاني ^(١) ، وفُكَّ رهاني ^(٢) ، واجعلني في الندي الأعلى » ورواه الحاكم بزيادة « وثقل ميزاني ^(٣) » .

الرفيق الأعلى

ويسمى الملائكة الأعلى : الرفيق الأعلى لما روى الشيخان - واللفظ للبخاري في الدعاء - عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح ^(٤) : « لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يُخَيَّر » فلما نزل به ، ورأيتُه على نخذي غشي عليه ﷺ ثم أفاق فأشخص بصره إلى السقف ثم قال : « اللهم

(١) أي اجعله خامئاً مطروداً ، يقال خسأت الكلب : طردته .

(٢) أي خلّصني من عقاب ما اقترفت من الأعمال التي لا ترتضيها ، وذلك بالعفو عنها والرهان هو الرهن ، وهو ما يجعل وثيقة في الدين ، والمراد هنا النفس لأنها مرهونة بعملها قال تعالى ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ وهذا تعليم لأتباعه ﷺ أن يدعو عند النوم بهذا الدعاء الجامع لخير الدنيا والآخرة ولأنه سبب في عروج روح النائم إلى الندي الأعلى ، كلٌّ على حسب مقامه . وصلي الله على معلم الناس الخير وسلم .

(٣) أي بالأعمال الصالحة . (٤) أي قبل أن يمرض مرض الوفاة ﷺ .

الرفيق الأعلى » وفي رواية للبخاري عن عائشة سمعت النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه وأخذته بحة يقول ﴿ مع الذين أنعم الله عليهم ﴾ الآية . وفي رواية أحمد : « اللهم مع الرفيق الأعلى ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء ، إلى قوله : رفيقاً » وعند النسائي وابن حبان في صحيحه فقال : « أسأل الله الرفيق الأعلى الأسعد ، مع جبريل وميكائيل وإسرافيل » . قالت عائشة رضي الله عنها : فقلت إذا لا يختارنا ، وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا به وهو صحيح ، فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها ﷺ « اللهم الرفيق الأعلى » (١) .

ومن ذلك ما رواه الترمذي وغيره عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يدعو فيقول : (اللهم اغفر لي وارحمني ، وألحقني بالرفيق الأعلى) .

(١) نقل السهيلي عن الواقدي أن أول كلمة تكلم بها ﷺ وهو مستترضع عند حليلة : « الله أكبر » وآخر كلمة تكلم بها كما في حديث عائشة « في الرفيق الأعلى » وروى الحاكم من حديث أنس أن آخر ما تكلم به ﷺ : « جلال ربي الرفيع » . اه نعم ، هذا مع ربه ، وأما آخر ما تكلم به من وصاياه لأُمَّته : « الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم » .

الكروبيّون

قال الله تعالى : ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ﴾ .

الكروبيّون بتخفيف الراء . قال في القاموس : هم سادة الملائكة ، منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام وهم المقربون ، من : كَرَبَ إذا قَرَّبَ اهـ وقال في النهاية : وفي حديث أبي العالية « الكروبيّون سادة الملائكة » وهم المقربون اهـ .

وفي شرح المواهب نقلاً عن تذكرة الشيخ تاج الدين بن مكتوم أنه سئل ابن دحية : هل يعرف الكروبيّون لغة أم لا ؟ فقال : الكروبيّون بتخفيف الراء سادة الملائكة وهم المقربون ، من : كَرَبَ إذا قَرَبَ ، أنشد أبو علي البغدادي : كروبية منهم ركوع وسجّد ، وقال العلامة الطيبي عن بعض العلماء : في هذه اللفظة : « الكروبيين » ثلاث مبالغات أحدها : أن كَرَبَ أبلغ من قَرَبَ ، وضع موضع كاد . والثانية : أنه على وزن فعول وهو للمبالغة . والثالثة : زيادة الياء وهي تزداد للمبالغة كأحمريّ اهـ .

فهذا يدل على أن الكروبيين هم المقربون من الملائكة عليهم السلام بالقرب الخاص المشار إليهم في قوله تعالى ﴿ لن يستنكف المسيح أن

يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ﴿ وَإِنَّمَا ذَكَرَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي سِيَاقِ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ ، لِأَنَّهُ مِنْ الْمُقَرَّبِينَ بِالْقَرَبِ الْخَاصِّ أَيْضاً قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ فَمَا أَشْرَفَ الْمُقَرَّبِينَ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ! وَإِنْ أَقْرَبَ الْمُقَرَّبِينَ هُوَ الْحَبِيبُ الْأَكْرَمُ وَالسَّيِّدُ الْأَنْحَمُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ صَاحِبُ مَقَامِ قَرَبِ الْوَسِيلَةِ وَقَلْبِ الْفَضِيلَةِ .

المُهَيَّمُونَ

هُمُ الْأَرْوَاحُ الْمُهَيَّمَةُ فِي جَلَالِ اللَّهِ تَعَالَى ، لَا يَشْمُرُ أَحَدٌ مِنْهُمْ بغيره ، بَلْ وَلَا بِنَفْسِهِ ، لِأَنَّهُمْ هَائِمُونَ بِرَبِّهِمْ لَا يَعْلَمُونَ غَيْرَهُ وَلَيْسَ لَهُمْ وَجْهَةٌ لِسِوَاهُ أَصْلًا ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ تَجَلَّى عَلَيْهِمْ فَهَيَّمَهُمْ بِهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَهُؤُلَاءِ يَسْمَوْنَ عِنْدَ الْعَارِفِينَ بِـ « الْعَالِينَ » أَيِ الَّذِينَ لَمْ يَتَنَاوَلْهُمْ الْأَمْرُ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ ، لِأَنَّهُمْ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَا بغيره . قَالَ تَعَالَى : **إِنْكَاراً عَلَى إِبْلِيسَ لَمَّا تَخَلَّفَ عَنِ السُّجُودِ لِآدَمَ :** ﴿ قَالَ مَانِعُكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ ! أَتَسْتَكْبِرُ ؟ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ؟ ﴾ . وَلَمَّا كَانُوا مُهَيَّمِينَ بِرَبِّهِمْ عَنْ أَنْفُسِهِمْ كَلِيًّا ، كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ لِرَبِّهِمْ بِالذَّاتِ لَا بِالْأَمْرِ ، كَمَا ذَكَرَهُ الْمُحَقِّقُونَ وَمِنْهُمْ السَّيِّدُ الْجُرْجَانِيُّ فِي مَوَاضِعَ مِنَ التَّعْرِيفَاتِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ الْأَمْرُ التَّعْبُدِيُّ يُتَطَلَّبُ مَأْمُوراً لَهُ شُعُورُ بِنَفْسِهِ ، وَهُؤُلَاءِ قَدْ أَخَذُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَهَيَّمُوا بِرَبِّهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى .

مقام من عنده

قال الله تعالى : ﴿ وله مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ . يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ .

وهذا مقام شريف ومنصب منيف ، مدح الله تعالى أهله وأئني عليهم ، وهذا المقام يشمل الملائكة الأعلی وغيرهم .
وفي هذا المقام يذكر الله تعالى أهل القرآن والذاكرين الله تعالى كلاً حسب رتبته . قال تعالى : ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ﴾ .

جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :
« وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله تعالى ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفّتهم الملائكة وذكرهم فيمن عنده . . » الحديث

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد كلاهما عن النبي ﷺ أنه قال : « إِنَّ لِأَهْلِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى أَرْبَعًا : تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَتَغْشَاهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَتُحَفُّ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَيَذْكُرُهُمُ الرَّبُّ فِيمَنْ عِنْدَهُ . »

وقد يسن النبي ﷺ أنواع ذكر العبد لربه ، وما يقابل ذلك من الله تعالى لعبده ، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يقول الله عز وجل » : أنا عند ظن عبدي بي ^(١) ، وأنا معه حين يذكرني ^(٢) - وفي رواية : إذا ذكرني - فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ، وإن تقرب إلي شبراً تقربتُ إليه ذراعاً وإن تقرب إلي ذراعاً تقربتُ منه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة ^(٣) .

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « قال تعالى يا ابن آدم إذا ذكرتني خالياً ذكرتني خالياً ، وإذا ذكرتني في ملأ

(١) أي فليظن العبد بربه خيراً فإن الله تعالى عند ظنه .

(٢) فليراقب الذاكر معية الله له حين يذكر ربه ، وليعطا حكمها من الهيبة والخشية ، فإنها معية خاصة حين الذكر ، غير المعية العامة لجميع أكوان العبد وأحواله المنبئة عليها بقوله تعالى ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ الآية ، فإنها لها أحكامها أيضاً من المحاسبة والمراقبة ونحوهما .

(٣) وهذه كنايات عن مضاعفات تقرب الرب من عبده أضعاف تقرب العبد من ربه ، فضلاً منه ونعمة وكرماً منه سبحانه ومنّة ، وفي هذا تنشيط للمتقربين أن يزيدوا في التقرب ليزيدهم في القرب . والتقرب إلى الله تعالى إنما هو بالأعمال الصالحة والأقوال الطيبة ، كما في الحديث القدسي . « وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه » وفي معنى الحديث الثابت عنه ﷺ قال : « وما تقرب العباد إلى الله تعالى بمثل كلامه » الحديث .

ذكرتك في ملاء خير من الذين تذكرني فيهم وأكثر»^(١).

ذكر الله تعالى لعباده : ذلك هو مدحه تعالى لهم وثناؤه عليهم في مقام مَنْ عنده بين الملائكة الكرام والأرواح العظام ، وفي ذلك مباهاته تعالى للملائكة ، وتنويهه سبحانه بذكر أحبائه وذاكريه ، وتسجيل ذلك عنده وإعلان هذا الثناء فيمن عنده .

قال الله تعالى : ﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار^(٢) . إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار^(٣) وإناهم عندنا لمن المصطفَيْن الأخيار . واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل ، وكل من الأخيار . هذا ذكرٌ ، وإن للمتقين لحسن مآب ﴾ .

ومعنى « هذا ذكرٌ » أي هذا ذكرنا بالمدح والثناء والتفضيل والعطاء لأصفیائنا ومقربیننا ، فيه شرفهم وإعلان فضلهم ، وإعلام برفعة قدرهم وعلو منزلتهم عند ربهم سبحانه .

مَرْزاةُ الْجَنَّةِ

قال الله تعالى : ﴿ ومسيقَ الذين اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ، حتى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ

(١) رواه البيهقي وابن أبي الدنيا والبخاري .

(٢) أي أولي القوة في عبادة الله تعالى وطاعة أوامره ، والأبصار أي البصائر

في فهم دين الله تعالى وتلقي العلوم الإلهية والمعارف الربانية .

(٣) والمعنى إنا بفضلنا أخلصناهم أي جعلناهم خالصين مخلصين لنا في جميع أمورهم

فادخلوها خالدين ﴿١﴾ .

الخزنة جمع خازن ، مثل حفطة جمع حافظ ، وهو المؤمن على الشيء قد استحفظه ؛ فعلى كل بابٍ من أبواب الجنة الثمانية خزنة وكتلوا بذلك ، يستقبلون المؤمنين حين دخولهم ، ويرحبون بقدمهم ويكرمونهم بالتحيات والاحترامات .

روى الشيخان عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من أنفق زوجين في سبيل الله نُودي من أبواب الجنة : يا عبد الله هذا خير . فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان ، ومن كان أهل الصدقة دُعي من

= وأحوالهم بسبب خصلة أصْلَناها فيهم خالصة من كل الشوائب، وهي ذكراهم الدار التي فيها نعيم الرؤية وكريم الجوار ، وما هنالك من كل ماتشبهه أنفس الصالحين وتختار ، فإن تلك الدار هي في الحقيقة الدار ، وما قبلها تقلبات وأسفار ولكن الألباء والعقلاء يبحثون عن الجار قبل الدار ، قال تعالى في مدح السيدة آسية عليها السلام: ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ ، فطلبت الجوار وهو العندية قبل الدار وهو البيت . فافهم ذلك ، ألحقنا الله بأولئك .

(١) في هذا تنبيه إلى وجه المناسبة بينهم وبين الجنة الطيبة ، ووجه استعدادهم إليها ، وذلك أنهم طابوا قلوباً بالآيمان والمعرفة بالله تعالى ومحبه ، لما ثبتت الكلمة الطيبة في قلوبهم - وهي لا اله الا الله - ثبوت الشجرة في الأرض ثم امتدت شعبها وأينعت ثمراتها قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ الآية . وطابت أقوالهم

باب الصدقة ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلِّها ؟ فقال ﷺ : « نعم ، وأرجو أن تكون منهم » . ورئيس أولئك الخزنة هو رضوان ، وقد أمره الله تعالى أن لا يفتح أبواب الجنة لأحدٍ قبل سيدنا محمد ﷺ الذي هو فاتحة الخيرات كلِّها ، والذي هو إمام الأولين والآخرين وأكرمهم على رب العالمين فحق له أن يتقدمهم إماماً وفاتحاً لمن وراءه أبواب الجنة .

روى مسلم وأحمد عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « آتي باب الجنة فأستفتح ، فيقول الخازن : من ؟ فأقول : محمد . فيقول - الخازن - بك أمرت - أي أمرني الله تعالى - أن لا أفتح لأحد قبلك » .

وسمي رئيس الخزنة « رضواناً » ليكون لأهل الجنة عنواناً ، فهو مشتق من الرضا ، لأن أهل الجنة رضي الله عنهم ورضوا عنه قال تعالى : ﴿ جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار ، خالدين فيها أبداً ، رضي الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك لمن خشي ربه ﴾ .

= بالكلم الطيب قال تعالى : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ وطابت أجسامهم بالأعمال الطيبة الصالحة ، وطابت نفوسهم من خبث الهوى ودنس الشهوات المحرمة . وفي هذا تنبيه لمن أراد أن يطيب من كل الاعتبار والحشيات ، فعليه أن يلتزم شريعة الله تعالى النازلة على رسول الله ﷺ .

وفي اسم رضوان عنوان البشائر لأهل الجنة ، بأنهم سيعطون ويتحفون بالإكرام والإفضال والإينعام ، بحيث يرضون بذلك وتقر أعينهم . قال الله تعالى : ﴿ لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ .

روى الشيخان عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى : يا أهل الجنة هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تمنح أحداً من خلقك ! فيقول : أحل عليكم رضواني فلا أسيخط عليكم بعده أبداً » .

فلقد أعظام حتى أَرْضَاهُمْ ، ثم تجلس عليهم برضوانه الأكبر فأحله عليهم ، وهذا أحب ما يكون إليهم . اللهم اجعلنا منهم .
فإذا دخل أهل الجنة قصورهم ونزلوا منازلهم ، توافدت عليهم وفود الملائكة الكرام عليهم السلام يحيئونهم ويثنون عليهم . قال الله تعالى : ﴿ جناتٌ عدنٍ يدخلونها ومن صلح^(١) من آباؤهم وأزواجهم وذرياتهم ، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم

(١) وقد فسر ابن عباس ومجاهد وغيرهما « من صلح » : بمن آمن ، وقد قال ابن جبير : يدخل الرجل الجنة ، فيقول : أين أمي ، أين ولدي ، أين زوجتي ؟ فيقال : لم يعملوا مثل عملك ، فيقول : كنتُ أعمل لي ولهم ، ثم قرأ هذه الآية . وهذا يدل على أن النسب الصالح ينفع كما تقدم .

عقبى الدار ﴿١﴾ .

ورد عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال : إن المؤمن ليكون متكثاً على أربكته إذا دخل الجنة ، وعنده سِمَاطَان - أي صفتان - من خَدَمٍ ، وعند طرف السِماطين باب مُبَوَّب ، فيقبل الملك - من الملائكة الوافدين - فيستأذن فيقول - أي الخادم للذي يليه - : ملك يستأذن ، ويقول الذي يليه للذي يليه : ملك يستأذن ، حتى يبلغ المؤمن فيقول : ائذنوا له ، فيقول أقربهم للمؤمن : ائذنوا له ، ويقول الذي يليه للذي يليه : ائذنوا له ، حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب ، فيفتح له فيسلم ثم ينصرف ﴿٢﴾ .

(١) حيَّوهم بالسلام وأثنوا عليهم بصبرهم ، ويدخل فيه أنواع الصبر كلها : صبرهم على عبادة الله تعالى واخضاع نفوسهم واطمئنانها إليها ، قال تعالى ﴿ واصطبر لعبادته ﴾ وقال في الصلاة ﴿ واصطبر عليها ﴾ ، وصبرهم عن المعاصي والمخالفات ، وصبرهم على ما أصابهم قال تعالى ﴿ والصابرين على ما أصابهم ﴾ الآية ، ثم مدحهم بحسن عاقبة الدار فقالوا لهم : ﴿ فنعم عقبى الدار ﴾ أي فنعم عقبى عقبى الدار وهي الجنة التي وعدهم الله تعالى في الآية قبلها فقال : ﴿ أولئك لهم عقبى الدار . جنات عدن ﴾ الآية . ويدخل في هذا حسن عاقبة دنياهم أيضاً ، ولذا قال البيضاوي وغيره في تفسير ﴿ لهم عقبى الدار ﴾ : عاقبة الدنيا وما ينبغي أن يكون مآل أهلها وهي الجنة اهـ ومن دعائه ﷺ « اللهم حسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة » آمين .

(٢) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المبارك بأسانيد متعددة ، وله شواهد من المرفوعات رواها الامام أحمد والطبراني وابن حبان في صحيحه عن ابن عمرو . انظر المسند وتفسير ابن كثير والدر المنثور وغير ذلك .

فِرْنَ النَّارِ

قال الله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ، حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا : أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ؟ قَالُوا : بَلَىٰ ، وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ . قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ، فَبئسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ۝ .

يُخبر سبحانه عن حال الكفار يوم القيامة أنهم يساقون إلى جَهَنَّمَ زُمَرًا أي أصنافًا حسب نوعية كفرهم ونسبة ضلالهم ، فمناسبة الضلال بينهم ومثابة الطغيان هي التي جمعت بينهم ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ يعني أنهم حين وصولهم جَهَنَّمَ يُفَاجِئُونَ بفتح أبوابها ومنظرها الفظيع مباغتة لهم ، وذلك أشدَّ في العذاب وأعظم في الحزى لهم ثم يقول لهم خزناتها - الزبانية الغلاظ الشداد - على وجه التقرير والتأنيب بدل التكرير والترحيب :

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ﴾ أي من جنسكم ونوعكم البشري بحيث يخاطبونكم وينصحنكم ويبيّنون لكم أساليب الهدى وطرق الرشاد والسادد ، وأنتم تشاهدون أفعالهم وتسمعون أقوالهم ، ويمكنكم أن تأخذوا عنهم وتفهموا منهم ؟ ﴿ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ ﴾ أي يتلون عليكم

آيات الله التدوينية ، المشتمة على الحجج اليقينية ، ويستعرضون لكم آياته التكوينية ، وما فيها من البراهين القطعية ، وكلها تشهد بحقية مادعوكم إليه .

﴿ وينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴾ أي يحذرونكم عذاب هذا اليوم وحسابه ﴿ قالوا بلى ﴾ أي قد جاؤونا وأنذرونا وأقاموا علينا الحجج وأوضحوا لنا الأدلة ، بحيث يلزم السامع أن يتقبله ، والعاقل أن يتعقله . أي ولكنهم أعرضوا عن ذلك جحوداً وكبراً ، وطغياناً وكفراً ، كما أخبر سبحانه عنهم بقوله ﴿ وقالوا : لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ، فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير ﴾ .

وهنا ﴿ قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ﴾ أي لأنهم كفروا وأعرضوا عن قبول الحق ، وكذبوا به ، واتبعوا أهواءهم الباطلة .

ويسمى رئيس خزنة النار « مالكا » قال تعالى ﴿ ونادوا يامالك ليقض علينا ربك . قال : إنكم ماكثون ﴾ .

روى مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال في حديثه عن الأسراء واجتماعه بالأنبياء قال : « خانت الصلاة ، فأمتهم - أي صرت لهم إماماً - فلما فرغت من الصلاة قال قائل : يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه ، فالتفت إليه فبدأني بالسلام » .

وروى البخاري عن سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في حديثه عما رآه في منامه : « قال فانطلقنا ، فأتيننا على رجل كره المرأة كأكره ما أنت راء ، فإذا عنده نار يحششها ويسعى حولها » ثم قيل له ﷺ : « وأما الرجل الكره المرأة الذي عند النار يحششها ويسعى حولها فإنه مالك خازن النار .. » الحديث .

صفات خزنة النار :

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ^(١) نَارًا وَقَوِّدْهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ، عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ ، لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ ، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ .

والمعنى أن خزنة النار الموكلين بتعذيب من يدخلها هم غلاظ الأقوال شدداد الأفعال ، كما أنهم غلاظ الخلق شدداد الخلق .

روى عبد الله بن أحمد في زوائد كتاب الزهد عن أبي عمران الجوني قال : بلغنا أن خزنة النار تسعة عشر ، مابين منكبي أحدهم مسيرة مائة خريف - أي سنة - ليس في قلوبهم رحمة ، إنما خلقوا للعذاب ، يضرب

(١) في هذه الآية يأمر الله تعالى المؤمنين بوقاية أنفسهم وأهليهم من النار ، وذلك بحمل النفس على امتثال أوامر الله تعالى ، واجتناب ما نهى عنه ، وحمل الأهل - الزوجة والأولاد - على ذلك أيضاً بالتعليم والتأديب تارة ، والتأنيب تارة ، فإن الانسان مسئول عن نفسه وعن رعيته كما قال ﷺ « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » .

الملك منهم الرجل من أهل النار فيتركه طِحْنًا من لدن قرنه إلى قدمه .
ويقال لخزنة النار « الزبانية » قال الله تعالى : ﴿ فليدع ناديه
سندع الزبانية ^(١) ﴾ . وسمي ملائكة العذاب بذلك لدفعهم الشديد وطرحهم
الحديد ، لكل جبار عنيد وشیطان صريد . وقد أنزل الله تعالى هذه
الآيات في أبي جهل حين توعد رسول الله ﷺ وهمم بإيذائه .
روى الترمذی وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول
الله ﷺ يصلي عند المقام ، فرأى به أبو جهل فقال : يا محمد ألم أنبك
عن هذا ؟ وتوعده ، فأغلظ له رسول الله ﷺ وانتهره ، فقال أبو
جهل : يا محمد بأي شيء تهددني ؟ أما والله إني لأكثر هذا الوادي
ناديًا ! فأنزل الله تعالى ﴿ فليدع ناديه . سندع الزبانية ﴾ . قال ابن
عباس : لو دما ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال أبو جهل :
هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ - أي بأن يسجد على الأرض -
قالوا : نعم ، فقال : واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنَّ

(١) اختلف في هذا الجمع فقيل لا واحد له من لفظه ، وقال أبو عبيدة : واحده
زِبْنِيَّة بكسر فسكون على وزن عِفْثِيَّة ، وقال الكسائي : واحده زِبْنِيَّ
بالكسر ، منسوب إلى الزَبْن بالفتح ، وهو الدفع بشدة ، ثم غير النسب
وكسر أوله كاء نسي ، وأصل الجمع زباني ، حذف إحدى ياءيه وعوض عنها التاء ،
وقيل : واحده زابن ، أي شديد البطش .

على رقبته ، ولأُعفرنَّ وجهه في التراب ، فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليظاً على رقبته ، فما فجأهم منه إلاّ وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه^(١) ، فقليل له : مالك ؟ فقال أبوجهل : إن بني وبينه - أي بين محمد - خندقاً من نار وهو لا وأجنحةً ، فقال رسول الله ﷺ : « لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً » وأنزل الله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ . أُنْزِلَتْ آيَاتُهُ أَنْ يَسْمَعَنَّ وَأَنْ يَعْصِي . أُنْزِلَتْ آيَاتُهُ أَنْ يَرَاهُ اسْتَفْنَى .. ﴾ إلى آخر السورة .

وقال تعالى : ﴿ وما أدراك ما سقر؟ . لا تبقي ولا تذر . لواحة للبشر عليها تسعة عشر . وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ، وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا .. ﴾ الآية .

فهو يخبر سبحانه عن خزنة النار أنهم ملائكة أقوياء أشداء ،
لا يقاومون ولا يغالِبون ، وأن عليها تسعة عشر ، فالجمهور من أولي العلم
على أن هؤلاء التسعة عشر هم النقباء الموكلون عليها المتولّتون أمرها ،
وإليهم مرجع زبائنها وسائر خزنتها ، وليس هذا العدد حاصراً لجميع
الملائكة الموكلين بجَهَنم وتعذيب داخلها من الكفار والعصاة ، فقد روى
مسلم والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :

(١) صار يرجع القهقري ويضع يديه على وجهه من الخوف الذي اعتراه ، والهول الذي أصابه مما رآه وعائنه .

« يُوْتَى بالنار يوم القيامة لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » .

وذهب كثير من العلماء إلى أن تمييزَ العدد (تسعة عشر) المحذوف هو : صنفٌ ، أو صفٌ ، أو ألفٌ ، وأن التقدير : عليها تسعة عشر صفًا من الملائكة ، أو صنفًا ، أو ألفًا .

أصناف الملائكة عليهم السلام

الملائكة عليهم السلام أصناف مصنفة ، وكل صنف منهم وكتله الله تعالى بوظائف يقوم بها بأذن الله تعالى ، حسب ما هو سبحانه يأمر بذلك ويطلعهم على علم ذلك ، كما أخبر سبحانه عنهم بقوله ﴿ قالوا سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ﴾ وقال تعالى ﴿ وهم بأمره يعملون ﴾ .

فمنهم الموكَّلون بقضايا الإنسان التكوينية : تطوير النطفة في الأرحام ، ثم تصويرها ، ثم نفخ الروح في الجنين ، وكتابة أعماله التي سيعملها حتى موته ، ومنهم المعقبات الحفظة ، ومنهم الكرام الكاتبون ، ومنهم ملائكة الهمم ، ومنهم ملائكة الوحي إلى الأنبياء والرسل ، ومنهم الموكَّلون بحضور مجالس العبادات والطاعات على اختلاف أنواعها ،

ومنهم الموكَّلون برفع الأعمال الصالحة إلى رب العزَّة ، ومنهم الموكَّلون بقبض الأرواح ، ومنهم الموكَّلون بسؤال القبر ، ومنهم الموكَّلون بإشائر المؤمنين في كل عالم انتقلوا إليه .

ومنهم الموكَّلون بالتدابير الكونية بأذن الله تعالى وأمره ، تنفيذاً لمقتضى تدبيره ، وذلك أن جميع تدابير العوالم كلها العلوية والسفلية والشهودية والغيبية ، كل ذلك بتدبير الله تعالى العليم الحكيم المدبر الذي له التدبير الذاتي المطلق ، قال تعالى ﴿ أَمَّنْ يَدْبِرُ الْأَمْرَ ؟ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ .. ﴾ الآية . وقد جعل سبحانه بأذنه وإرادته وسائط من الملائكة ووكَّل إلى كل طائفة منهم أعمالاً : فمنهم الموكَّل بالشمس أو بالقمر أو بالنجوم ؟ ومنهم الموكَّل بالجمال ، ومنهم الموكَّل بالسحب والأمطار ، ومنهم الموكَّل بالبحار ، ومنهم الموكَّل بالنبات والأشجار ، إلى غير ذلك مما يعجز الإنسان عن إحصائه .

وقد ذكر الله تعالى أصنافاً من الملائكة عليهم السلام في مواضع متعددة من القرآن الكريم حسب المناسبات ، كما أوضحت ذلك الأحاديث النبوية أيضاً وفصَّلت وظائفهم ومواقفهم تفصيلاً يتيماً .

قال الله تعالى ﴿ وَالنَّازِعَاتُ غُرَقًا . وَالنَّاشِطَاتُ نَشْطًا . وَالسَّابِحَاتُ سَبْحًا . فَالسَّابِقَاتُ سَبْقًا . فَالْمُدَبِّرَاتُ أَمْرًا ﴾ .

فهو يقسم سبحانه بالملائكة القائمين بتنفيذ هذه الأفعال عن أمر الله تعالى وإذنه . فالنازعات هي الملائكة تنزع أرواح الكفار من أجسادهم بقوة وشدة ، والناشطات هي الملائكة تنشط أرواح المؤمنين - أي تخرجها من أجسادها - بسهولة وسرعة ، كنشط الدلو من من البئر ، والسابحات هي الملائكة تسبح في الفضاء تقطع المسافات الشاسعة ماضية إلى تنفيذ ما أمرهم الله تعالى به ، كما تسبح الطير في الهواء ، والسابقات هي الملائكة تسبق مسرعة إلى ما أمرت به دون بطاء ولا تأخر ، فالمدبرات أمراً هي الملائكة تدبر أمور الخلائق ، كما أمرهم الله تعالى وكما أذن لهم بذلك .

وقال تعالى : ﴿ فَاَلْمَقَسِمَاتِ أَمْرًا ﴾ وهي الملائكة تقسم الأمور بين الخلق ، كما أمرهم به الملك الحق جلّ وعزّ .

وقال تعالى : ﴿ والمرسلات عرفاً ﴾^(١) . فالعاصفات عصفاً . والناشرات
نشراً . والفارقات فرقاً . فالملقيات ذكرراً . عذراً أو نذراً .

(١) أي والمرسلات للعرف والاحسان ، فهو مفعول له ، أو المراد والمرسلات حال كونها عرفاً أي متتابعةً يقال جاءوا عرفاً واحداً : إذا جاءوا يتبع بعضهم بعضاً دون تراخٍ بينهم ، وفي هذا ضرب من التشبيه ، كما هو مفصل في موضعه .

ذهب كثير من الصحابة والتابعين إلى أن هذه أقسام إلهية بطوائف من الملائكة عليهم السلام ، وذلك أنه سبحانه أقسم بالمرسلات أي طوائف من الملائكة المرسلات بأمر الله تعالى ، فعصفت في المضي كما تعصف الرياح مسرعة إلى تنفيذ أوامر الله تعالى ، والناشرات هي طوائف من الملائكة نشرت أجنحتها في الجور^(١) فتنزل بأوامر الله تعالى على أنبيائه ورسله صلوات الله عليهم أجمعين ، فتفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال والحلال والحرام . فالملقيات ذكراً هي الملائكة تلقي الذكر على الأنبياء والرسل ورئيسهم هو جبريل عليه السلام وفي ذلك إعذار وإنذار .

فالذكر الذي تلقيه الملائكة عليهم السلام على الأنبياء والرسل صلوات الله تعالى عليهم هو الوحي الإلهي المتضمن ذكر الله تعالى وأسمائه وصفاته وذكر أوامر الله تعالى ونواهيه وأحكام شرائعه سبحانه التي فيها مصالح العباد وسعادتهم في الدنيا والآخرة ، وذكر الجنة ونعيمها ، وذكر النار وعذابها الأليم ، وذكر أحوال أهل الجنة وأوصافهم ، وأحوال أهل النار وصفاتهم ، وما في ذلك من الوعد والوعيد ، والترغيب والترهيب ، ويكون ذلك إعداراً للمكافئين وإنذاراً وهذا نظير قوله تعالى : ﴿رَسُولًا مَبشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾

وكان الله عززاً حكيماً .

(١) وقيل المراد بالناشرات الملائكة تنشر صحف أعمال العباد يوم القيامة .

مواقف الملائكة عليهم السلام مع الإنسان

بالنسبة لأصوره النكويغية او الدينية

فمنهم الملائكة الموكِّلون بتطوير النطفة وتصوير ما في الأرحام

وتنفخ الروح في ذلك :

روى مسلم في صحيحه عن عامر بن واثلة قال سمعت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول : الشقيُّ من شقيَّ في بطن أمه، والسعيد من وعُظ بغيره . فأُتي عامر رجلاً من أصحاب النبي ﷺ يقال له حذيفة بن أسيد الفخاري فحدثه بقول ابن مسعود رضي الله عنه فقال : وكيف يشقى رجل بغير عمل ؟ فقال الرجل : أتعجب من ذلك ؟ فاني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إذا مرَّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلةً بعثَ الله إليها ملكاً فصورَّها ، وخلق ^(١) - أي قدَّر - سمعها

(١) وهذا الخلق التقديري يُظهر ما جاء في عيسى عليه السلام : ﴿ وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني . فتنفخ فيها فتكون طيراً باذني ﴾ فكان عيسى عليه السلام يخلق - أي يقدِّر - كهيئة الطير ثم ينفخ في تلك الصورة والهيئة المقدرة فتصير طيراً باذن الله تعالى . فهذا خلق بمعنى التقدير والتصوير ، لا بمعنى الابداع من العدم ، فانه لا خالق - أي لا موجد - إلا الله تعالى . قال سبحانه ﴿ هل من خالق غير الله ؟ ﴾ وقال : ﴿ أروني ماذا خلق الذين من دونه ! ﴾ .

وبصرها وجلدها وعظامها ، ثم قال : ياربِّ اذكر أم أنثى ؟ فيقضي ربُّك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثم يقول : ياربِّ ! أجلُّه ؟ فيقضي ربُّك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثم يقول : ياربِّ ! ارزقه ؟ فيقضي ربُّك ما شاء ويكتب الملك ، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ذلك شيئاً ولا ينقص . »

الملك ينفخ الروح في الجنين ويكتب ما أمر به

روى الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق قال : « إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نظفة ، ثم يكون علقه مثل ذلك ، ثم يكون مضغةً مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد . فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب ^(١)

(١) أي الذي كتب عند مضي الأربعينات الثلاثة عليه في الرحم ، كما تقدم في الحديث ، وقد يشكك هذا مع حديث حذيفة السابق ، فانه يدل على أن الكتابة تكون في أول الأربعين الثانية ، والتعارض مدفوع بوجوه :
أولاً : إن الكتابة متعددة ، فالكتابة بعد تمام الأربعين الأولى هي من قبيل =

فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها .

وهذه الكتابة هي إحدى مراتب كتابة المقادير ، وذلك أن كتابة المقادير المشتملة على جميع الأعمال والأقوال وجميع الشؤون والأحوال والحركات والسكنات وما هنالك من كليّات وجزئيات - كتابة ذلك على أنواع مرتبة :

الأولى : كتابة القلم جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة . قال الله

= الملك الموكّل بالنطفة : تطويرها وتصويرها وما هنالك ، وأما الكتابة بعد الأربعين الثالثة فهي من قبل الملك الذي يرسله الله تعالى حينئذ لينفخ الروح في الجنين ، ويأمره بأربع كلمات : بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد . ولكل من الكتابين حكم وأحكام صادرة عن أمر الحكيم العلام .

ثانياً : إن أولى الكتابتين في السماء ، والأخرى في الأرحام .

ثالثاً : قال بعض العلماء : إن الكتابة تكون بعد تمام الأربعين الأولى ، كما دلّ عليه حديث حذيفة ، وإنما أُخِّرَ ذكرها في حديث ابن مسعود إلى ما بعد ذكر المضغة - أي بعد الأربعين الثالثة - لئلا ينقطع ذكر الأطوار الثلاثة المتابعة التي يتقلب فيها الجنين ، وهي : كونه نطفة ثم علقة ثم مضغة ، فإن ذكر هذه الثلاثة على نسق واحد أعجب وأبدع . والوجه الأول هو الأظهر ، والله تعالى أعلم .

تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ فدلَّت الآية على أن هناك كتابةً جامعة ، وهي سابقة على وجود البرية وخلق الخليقة .

وروى الترمذي وأبو داود وأحمد وغيرهم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه : يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب ، فقال : يارب وما أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة - وفي رواية الترمذي : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة - ثم قال عبادة بن الصامت : يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من مات على غير هذا فليس مني » .

الثانية : كتابة مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض .
روى مسلم في صحيحه عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وعرشه على الماء » . أي والحال أن العرش موجود على الماء . وربما أدرج بعضهم هذه المرتبة في التي قبلها ، ولكن عند التدبر يظهر الفرق لأهل التبصر ، وذلك

باعتبار أن أوّل ما خلق الله تعالى هو القلم ، فأمره أن يجري بكتابة ما سيكون إلى يوم القيامة .

الثالثة : كتابة المقادير بعد خلق السموات والأرض . زوى البخاري والترمذي عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : دخلتُ على رسول الله ﷺ في المسجد إذ دخل عليه ناس من بني تميم فقال : « اقبلوا البشرى يا بني تميم »^(١) قالوا : يا رسول الله قد بشرتنا فأعطنا ، فتغير وجه النبي ﷺ - أي غضب - ثم دخل ناس من أهل اليمن : فقال : « اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم » فقالوا : قبلنا يا رسول الله ، جئنا لتفقه في الدين ، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان ؟ - أي هذا العالم هل هو قديم لا أوّل له أم هو مخلوق بعد العدم - فقال رسول الله ﷺ : « كان الله ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شيء » .

(١) قال العلامة الطيبي : إنه ﷺ أراد بقوله « اقبلوا البشرى » أي اقبلوا البشرى مني ما يقتضي أن تبشّروا بالجنة من التفقه في الدين والعمل به، ولما لم يكن جلّ اهتمامهم إلا شأن الدنيا والاستعطاء دون دينهم - أي دون أن يهتموا بأمر دينهم - قالوا : بشرتنا للتفقه وإنما جئنا للاستعطاء فأعطنا، ومن ثمّ قال ﷺ « إذ لم يقبلها بنو تميم » اه كما في المرقاة .

قال عمران : ثم أتاني رجل فقال : يا عمران أدركْ ناقتك فقد ذهبتْ ، فانطلقت أطلبها ، وايم الله لوددت أنها قد ذهبت ولم أقم .
أي ليسمع بقية حديث رسول الله مع أهل اليمن .

والكينونة في قوله ﷺ « كان الله ولم يكن شيء قبله » هي كينونة قديمة أزلية بخلاف كينونة العرش على الماء ، فإنها حادثة ، فإن قوله ﷺ « كان الله ولم يكن شيء قبله » . وفي رواية للبخاري أيضاً « كان الله ولم يكن شيء غيره » . وفي رواية لغير البخاري « كان الله ولم يكن شيء معه » : نصٌ قاطع على أنه لم يكن شيء غيره تعالى في القدم الأزلي أصلاً ، لاماء ولا عرش ولا غيرها .

الرابعة : كتابة قبل أن يُخلق آدم بأربعين سنة ، كما ورد في الصحيحين والسنن - واللفظ للبخاري - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « حاج موسى آدم ، فقال له : أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك فأشقيتهم ، قال : قال آدم : يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ، أتلومني على أمر كتبه الله عليّ قبل أن يخلقني ؟ - أو قدره عليّ قبل أن يخلقني ؟ - وفي رواية مسلم : أتلومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ .

قال رسول الله ﷺ : فحجَّ آدم موسى ^(١) .

(١) وقد تنوعت مسالك أولي العلم في بيان وجه غلبة آدم لموسى عليها السلام في الحجة ، وبسطت تلك الأجوبة في شروح الحديث والتفاسير ، وليس هذا موضع تفصيلها لطلوها . فمن ذلك ما نقله الحافظ في « الفتح » عن القرطبي حيث قال : إنما غلبه بالحجة لأنه علم من التوراة أن الله تعالى تاب عليه ، فكان لومه على ذلك - أي بعد توبته - نوع جفاء ، كما يقال : ذكر الجفاء بعد حصول الصفاء جفاء ، ولأن أثر المخالفة بعد الصفح ينمحي ، حتى كأنه لم يكن ، فلا يصادف اللوم من اللائم حينئذٍ محلاً اه كلام القرطبي ، ثم قال الحافظ : وهو محصل ما أجاب به المازري وغيره من المحققين وهو المعتمد اه

ومن تلك المسالك أيضاً أن التائب لا يُلام على ما تيب عليه منه ، ولا سيما إذا انتقل عن دار التكليف . وقد نُقل هذا الجواب عن كثير من أئمة العلم كما في « الفتح » .

وعلى كل فليس في الحديث ما يدل على جواز الاحتجاج بالقدر على فعل المخالفات والاستمرار على المعاصي ، فإن ذلك لا يجوز أصلاً ، وقد أخبر الله تعالى عن المشركين أنهم كانوا إذا دعيتهم رسلهم إلى عبادة الله تعالى وحده وترك ما هم عليه من الشرك : احتجوا بمشيئة الله تعالى لذلك ليستمروا على ذلك ، فقال سبحانه : ﴿ وقال الذين أشركوا : لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ، ولا حرماننا من دونه من شيء ، كذلك فعل الذين من قبلهم ، فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ﴾ كما أخبر سبحانه عن الكفار أنهم كانوا إذا دُعُوا إلى الانفاق وأداء ما أوجب الله عليهم نحو المحتاجين والفقراء سدّاً لحاجتهم : احتجوا بأن الله تعالى لو شاء لأطعم أولئك الجياع الفقراء . قال تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله ، قال الذين كفروا للذين آمنوا : أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ؟ إن أنتم =

الكتابة الخامسة : هي التي تكتب عندما يكون الجنين في الرحم فيكتب الملك رزقه وأجله وعمله وكونه شقياً أو سعيداً ، كما تقدم في الحديث .

ولكل مرتبة من هذه الكتابات حكم وأحكام ، وشأن ونظام ، لا يحيط بذلك إلا الحكيم العلّام . فمن ذلك ما ذكره بعض العارفين أن الكتابة اللاحقة تختص ببعض المقادير من الكتابة السابقة، إذ أن الكتابة السابقة هي أعم من اللاحقة وأشمل للمقادير وأجمع . ومثال ذلك أن الكتابة حين يكون الجنين في الرحم فالملك يكتب مايتعلق بشؤون الجنين الخاصة به من أعماله ورزقه وأجله وشقوته أو سعادته ، فتلك أمور خاصة بالولد من ذاك الحين إلى أن يموت ، ولا علاقة لهذه الكتابة بغيره من العالم ، بخلاف الكتابة التي هي قبل خلق آدم عليه السلام بأربعين سنة ، فإنها تعم آدم وذريته وشؤوناتهم وأحوالهم وأعمالهم كلها ، والكتابة التي قبلها تعم مقادير الإنس والجن

= إلا في ضلال مبين ! ﴿ ومقصودهم بذلك إبطال دعوة الرسل وإبطال أحكام شريعة الله تعالى والتأسي بالمعاذير الباطلة لأنفسهم ، بدعوى أنهم في كفرهم وشركهم ، ومنعمهم ماوجب الله عليهم - هم في ذلك ينفذون حكم مشيئة الله تعالى لكفرهم وضلالهم !

وسائر الأكوان ، والتي قبلها هي أعم وأجمع والله تعالى أعلم ^(١) .

(١) وينبغي أن يُعلم أن كتابة المقادير السابقة لاتنفي اختيار الانسان لأفعاله الاختيارية ، فإن القدر السابق وكتابة المقادير يشملان اختيار الانسان ، بمعنى أنه سبحانه قدّر على الانسان وأمر أن يكتب عليه أن سوف يفعل كذا وكذا باختياره وإرادته ، فاختيار العبد للأعمال الاختيارية هو من جملة المقدّرات والمكتوبات ، وهو ثابت شرعاً وعقلاً وذوقاً وجدانياً .

أما ثبوت الاختيار شرعاً : فإن الشارع أثبت للانسان حالة اختيار ، ورتّب المؤاخذه والمعاقبة على أفعاله ، وهو مختار لها ، كما أثبت للانسان حالة اضطرار ، ورفع عنه المؤاخذه والمعاقبة حال كونه فيها . فقال تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ ، وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ، وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ، وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾ ثم قال سبحانه بعد ذلك ﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ فِي نَخْصَةٍ ﴾ أي مجاعة شديدة ﴿ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ ﴾ أي غير مائل لإثمه ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

فيُثبت سبحانه أنه حرم تلك المحرمات في غير حالة الاضطرار اليها، أما إذا اضطرَّ اليها بأن اشتد الجوع على إنسان وخاف الموت على نفسه من شدة الجوع ، وليس هناك شيء يتناوله سوى تلك المحرمات فلا إثم عليه في تناولها ، لأنه مضطر إلى ذلك .

وقال تعالى : ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مَظْمُونٌ بِالْإِيمَانِ ، وَلَكِنْ مِنْ شَرَحٍ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ وقد نزلت هذه الآية - كما روى البيهقي وابن جرير - في عمار بن ياسر رضي الله عنها حين أخذته الشركون فعدّوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا باللسان ، ولكن قلبه مَظْمُونٌ بالإيمان .

وقد فصل الفقهاء أقسام الأكره وأحكامه المرخصة والموجبة .

وأما ثبوت الاختيار عقلاً : فإن كل عاقل يفرق بين الآثار الناشئة عن حركة البشر، والآثار الناشئة عن حركة الشجر، فإن وخزة تناله من قبل البشر تغضبه وتدفعه للانتقام من وخزه، لأنه يعلم يقيناً أنها صدرت عن إنسان له اختيار وإرادة لذلك . أما إذا مر تحت شجرة يحرك الهواء أغصانها، فوخزته أوجدت طرف ثوبه أو خدشته فإنها لا تغضبه ولا يندفع للانتقام من الشجرة ، لأنه يعلم يقيناً أن الشجرة لا اختيار لها في ذلك ..

فلو قلنا إن الإنسان لا اختيار له في أعماله الاختيارية للزم أن نعامل الشر في ذلك كالشجر .

أما ثبوت الاختيار ذوقاً وجدانياً : فإن الإنسان يعلم من نفسه أن له أعمالاً تصدر عنه باختياره وإرادته ، كذهابه ومجيئه وقيامه وقعوده، ويعلم أيضاً أن له أعمالاً تصدر عنه لا باختياره ، يكون مضطراً إليها ولا يستطيع دفعها ، كالعطاس والرعدة والتثاؤب ونحو ذلك . وليس أحد من الناس يتساوى عنده صدور أعمال القيام والقعود وتناول الطعام والشراب مع العطاس والتثاؤب !! بل يفرق بينها بذوق نفسه ووجدانه .

فاختيار الإنسان وإرادته للأمر ومشيئته لها ثابتة شرعاً وعقلاً وذوقاً ، وكل ذلك بخلق الله تعالى وإرادته ومشيئته ، فهو سبحانه خلق للإنسان اختياراً وإرادة ومشيئة . فمن صفات الإنسان أنه مختار ومريد وذو مشيئة، وقد وردت النصوص القرآنية والنبوية في نسبة الاختيار والمشيئة والارادة للعبد .

فإن قيل : يلزم من كون اختيار الإنسان وإرادته ومشيئته مخلوقاً لله تعالى وأن جميع ذلك بإرادة الله تعالى ومشيئته - يلزم من ذلك أن صفة

اختيار العبد ومشيتته وإرادته ما لها حقيقة وجودية ، ولا أثر لها من الاعتبارات وإنما هو ضرب من التخيل والتوهم ؟.

فالجواب عن ذلك : أن هذا اللازم باطل ، لأنه إذا كان يلزم من خلق الله تعالى لاختيار الانسان ومشيتته وإرادته وأن ذلك بمشيئة الله وإرادته - إذا كان يلزم من هذا أن لا اختيار للانسان ولا مشيئة ولا إرادة له وإنما هي أوهام فيجب أولاً أن يجري هذا اللزوم في بقية صفات الانسان التي آتاه الله تعالى إياها ، بل يجري هذا اللزوم في أصل وجود الانسان الذي أنعم الله تعالى بإيجاده ، فإن من صفات الانسان أنه سميع بصير ولكن بمجعل الله تعالى وخلقه ذلك وبإسماعه سبحانه للعبد وتبصيره ، قال تعالى في الانسان : ﴿ فجعلناه سمياً بصيراً ﴾ فسمع العبد وبصره معمولان مخلوقان بخلق الله تعالى ومشيتته ، ومع ذلك فالعبد سميع بصير حقاً ، وإلا فما الفرق بين السميع البصير وبين الأصمّ الأعمى !

كما وأن الانسان هو حيّ ناطق حقاً بأحياء الله تعالى وإنطاقة له وبمشيتته سبحانه وإرادته ، ولا يصح أن يقال إن حياته ونطقه لا وجود لهما ولا اعتبار بهما لأنها بخلق الله تعالى وإرادته ومشيتته ، لا يقال ذلك لأننا نقول إذا ما الفرق بين الحي والميت ، وبين الناطق وغير الناطق ؟.

بل إن الانسان موجود بإيجاد الله تعالى وإرادته ، ولا يلزم من ذلك أن لا وجود للانسان ، بل هو موجود حقاً وجوداً إمكانياً بإيجاد الله تعالى له وبمشيتته وإرادته ، وإلا فما الفرق بين الانسان بعد أن أوجده وبينه قبل أن يوجد حين كان معدوماً ؟

فالحق أن الانسان موجود حيّ ناطق سميع بصير مرید مختار إلى ما هنالك من بقية الصفات ، وكل ذلك بخلق الله تعالى وإرادته ومشيتته سبحانه . وقد جاءت التكاليف الشرعية على نسبة ما آتي الله تعالى

الملائكة الموكلون بكتابه جميع أقوال بني آدم وأفعالهم

قال الله تعالى : ﴿ أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم ؟ بلى ورسلنا لديهم يكتبون ﴾^(١) .

وقال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن أقرب اليه من حل الوريد . إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن

الانسان من القوى الادراكية والعملية، فلم يكلفه الله تعالى فوق طاقته وفوق ما آتاه ، قال تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها ﴾ وقال ﴿ ولا نكلف نفساً إلا وسعها ﴾ وقال تعالى ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ أي إلا ما تسعه قدرتها، لأن التكليف لا يرد إلا بفعل يقدر عليه المكلف. أو المراد بوسعها: مادون مدى طاقتها بحيث يتيسر عليها لقوله تعالى : ﴿ يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر ﴾ وقال تعالى ﴿ إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج ﴾ أي مختلطة من ماء الرجل وماء المرأة ، كما بيّنه علماء التفسير ﴿ نبتليه ﴾ أي خلقناه لنختبره بالتكاليف الشرعية: الأمر والنهي ﴿ فجعلناه سميعاً بصيراً ﴾ أي ليتمكن من القيام بموجب التكاليف الشرعية .

فلم يخلق الله تعالى الانسان عبثاً أي لعباً لا لحكمة ، كما قال سبحانه: ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون !! ﴾ ولم يخلق الانسان ويتركه سدى ، قال تعالى : ﴿ أحسب الانسان أن يترك سدى ؟! ﴾ أي مهملاً ، بل خلقه وتعهده بالتكاليف التي فيها سعادته ومصلحته في الدنيا والآخرة .

(١) والمعنى : أن الله تعالى يسمع سرهم ويسمع نجواهم وأن رسل الله - أي ملائكته - الذين هم معهم وعلى قرب منهم يكتبون عليهم سرهم ونجواهم .

الشال قعيد . ما يلفظ من قولٍ إِلَّا لديه رقيب عتيد * .

فأخبر سبحانه أن كل إنسان عليه ملكان محيطان به يتلقيان ما يصدر عنه من القول ، فما يلفظ الإنسان من قولٍ إِلَّا لديه رقيب يرقبه في أقواله ليكتبها عليه ، عتيد أي معدّ ومتهيّئ كلّ التهيؤ لكتابة ما أمر به من الخير والشر .

وقال تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ تَكْذِبُونَ بِالدين . وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كَرَامًا كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ .

والمعنى : ما لكم أيّها المكذبون بدين الله تعالى القويم وشرعه الحكيم الذي جاء بما فيه سعادة الدنيا والآخرة ؟! فإذا أنتم تكذبون بهذا الدين ، وتحلّثون ما حرّمه وتحرمون ما أحله ، والحال أنتم لستم مهملين ولا متروكين ، بل وكُنّا عليكم ملائكة كرامًا ، ليسوا لثامًا ، أمناء ليسوا خونةً ، فأكرم بهم من كتبة يحفظون جميع ما يصدر عنكم ، ويسجلون ذلك عليكم بصدق وأمانة ، وقد أطلعهم الله تعالى على أفعالكم سواء أخفيتم ذلك أم أعلنتم ، فانهم يعلمون ذلك بما علّمهم الله تعالى ، فإذا كان يوم القيامة أخرجوا تلك الكتب المسجّلة ، ونشروها لصاحبها ، ويقال له هذا الكتاب كُنّا في الدنيا نكتبه عليك

ونستنسخ فيه ما كنت تعمل فاقراً كتابك . قال الله تعالى : ﴿ وكلَّ
إنسانَ أزمانه طائرَه في عنقه ^(١) ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه
منشوراً . اقرأ كتابك ، كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ . وقال
تعالى : ﴿ وإذا الصحفُ نُشرت ﴾ . وقال تعالى ﴿ ويوم تقوم الساعة
يومئذٍ يخسر المبطلون . وترى كلَّ أمةٍ جاثيةً ^(٢) ، كلُّ أمةٍ تُدعى
إلى كتابها ، اليوم تُجزون ما كنتم تعملون . هذا كتابنا ينطق عليكم
بالحق ، إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ ^(٣) .

قال الحافظ ابن كثير : وقد اختلف العلماء : هل يكتب الملك
كلَّ شيءٍ من الكلام - أي حتى المباح - وهو قول الحسن وقتادة ،
أو إنما يكتب الملك ما فيه ثواب أو عقاب كما هو قول ابن عباس

(١) والمعنى أن كل إنسان أزمانه عمله الصادر منه باختياره على حسب ماقدّر
له خيراً كان أو شراً، كأنه طار إليه من وكرّ القدر وعالم الغيب، وأن
عمله ملازم لعنقه ومرتبّط به ، مايفك عنه . وفي ذلك إيماء إلى أن أعمال
الانسان الصادرة عنه منها الزائنة له كالقلائد والأطواق ، ومنها الشائنة له
كالأغلال والأوهاق . انظر تفسير البيضاوي والنسفي وغيرها .

(٢) أي مجتمعة إلى بعضها أو جالسة على الركب مستوفزة ، وهذه حاله تمرّ
بهم ينتظرون فيها فصل القضاء .

(٣) أي : كنا نأمر الحفظة أن تكتب أعمالكم عليكم .

رضي الله عنهما ؟ هم في ذلك على قولين . وظاهر الآية القول الأول
لعموم قوله تعالى ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ اه يعني
أن ظاهر قوله تعالى ﴿ ما يلفظ من قول ﴾ يدل على عموم كل قول ،
لأنه جاء نكرة في سياق النفي ، وأدخلت عليه ﴿ من ﴾ استقصاء
لكل قول : الفساد والصلاح والمباح .

وأما من قال : إن المباح من الكلام لا يكتب ، فيحتج بأن
المباح لا ثواب فيه ولا عقاب عليه ، والكتابة هي للجزاء ، فيكون المباح
مخصوصاً من عموم الآية . وظاهر النصوص القول بالعموم حتى المباح
لأنه لا يخلو عن ملاحظة قلبية صدر عنها .

وقد ذهب الامام مالك وجماعة من السلف أن الملكين يكتبان
على الانسان كل شيء حتى الأنين في المرض . رواه الخطيب وابن عساكر
عن مالك أنه بلغه : إن كل شيء يكتب حتى الأنين في المرض .

قال ابن كثير : وذكر عن الإمام أحمد أنه كان يئن في مرضه
فبلغه عن طاووس أنه قال : يكتب الملك على الانسان كل شيء حتى
الأنين في المرض ، فلم يئن أحمد بعد حتى مات رضي الله عنه .

وإنما أخبر سبحانه عباده بأن عليهم حافظين كراماً كاتبين

ليتجنبوا المنهيات والمخالفات ، ويعلموا أنهم إذا فعلوا الفواحش والمنكرات فإنها مسطرة عليهم ومسجلة في كتبهم ، وأن من اقترف ذنباً فليبادر إلى الاستغفار والتوبة فوراً فبها تمحس الذنوب كما روى الأصبهاني عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (إذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله عز وجل حفظته - أي الملائكة - ذنوبه ، وأنسى جوارحه ومعامله من الأرض حتى يلقى الله يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنوبه) روى الحاكم بإسنادٍ صحيحه عن أم عصمة العوصية رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم يعمل ذنباً إلا وقف الملك ثلاث ساعات ، فإن استغفر من ذنبه لم يكتبه عليه ولم يعذبه الله يوم القيامة » . وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول : « طوبى لمن وُجد في صحيفته استغفار كثير » (١) .

اطمئنع الملائكة الطائعين على ما في قلوب بني آدم

اختلف العلماء في اطلاع الكرام الكاتبين على ما في قلوب بني آدم فذهب الجمهور إلى أن لهم اطلاعاً على ذلك ، بدليل ما في الصحيحين - واللفظ للبخاري - عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « يقول الله تعالى للملائكة : إذا أراد عبدي أن يعمل سيئةً فلا تكتبوها

(١) قال الحافظ المنذري : رواه ابن ماجه بإسناد صحيح والبيهقي .

عليه حتى يعملها ، فان عملها فاكتبوها بمثلها ، وإن تركها من أجلي
- أي مخافة مني - فاكتبوها له حسنة^(١)، وإن أراد أن يعمل حسنة
فلم يعملها فاكتبوها له حسنة ، فان عملها فاكتبوها له عشر حسنات
إلى سبعمائة ضعف .

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ
قال : « قال الله عز وجل : إذا همَّ عبيدي بحسنة ولم يعملها كتبها
- أي أمرت الملائكة أن تكتبها - له حسنة ، فان عملها كتبها عشر
حسنات إلى سبعمائة ضعف - وفي رواية لهما : إلى أضعاف كثيرة -
وإذا همَّ بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه ، فان عملها كتبها سيئة
واحدة » .

وروى مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « قالت الملائكة :
رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة - وهو أبصر به - فقال نارقبوه ،

(١) وأما إذا أراد السيئة ثم لم يعملها عجزاً منه لا خوفاً من الله تعالى فهو
عند الله آثم ، كما يدل عليه حديث الصحيحين : « إذا التقى المسلمان
بسييفهما فالقاتل والمقتول في النار » قيل : يا رسول الله هذا القاتل فما
بالمقتول ؟ فقال ﷺ : « إنه أراد قتل صاحبه » أي ولكنه عجز
عن ذلك .

فان عملها فاكتبوها له بمثلها ، وإن تركها فاكتبوها له حسنة . إنما تركها من جرّاي « أي من أجلي .

فهذه الأحاديث تدل على أن الملائكة تطلع على ما في القلوب من الهمم والإرادات وما هنالك من أعمال القلوب . وهذا الإطلاع كما ذكره العلماء إما باعلام الله تعالى الملك بذلك وإخباره عما وقع في قلب ابن آدم ، وإما أن يخلق الله تعالى للملك علماً يدرك به ذلك . قال في الفتح : ويؤيد الأول ما أخرجه ابن أبي الدنيا عن أبي عمران الجوني قال : يُنادي الملك : اكتب لفلان كذا وكذا . فيقول : يارب إنه لم يعمله ، فيقول : إنه نواه .

وقيل : بل يجد الملك للهم بالسيئة رائحةً خبيثةً ، وبالْحَسَنَةِ رائحةً طيبةً ، وأخرج ذلك الطبراني عن أبي معشر المدني ، وجاء مثله عن سفيان بن عيينة ، ورأيت في شرح مُغلطاي أنه ورد مرقوعاً اهـ

وذهب بعض العلماء إلى أن الكرام الكاتبين لا اطلاع لهم على أعمال القلوب . واستدلوا على ذلك بما ورد عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « يؤتى يوم القيامة بصحفٍ مَخْتَمَةٍ فتُصب بين يدي الله تعالى ، فيقول تبارك وتعالى : ألقوا هذه - أي الصحيفة - واقبلوا

هذه - أي الصحيفة - فتقول الملائكة : وعزتك وجلالك ما رأينا
إلا خيراً . فيقول الله عز وجل : إن هذا كان لغير وجهي ، وإني
لا أقبل إلا ما ابتُني به وجهي « (١) .

وجاء في رواية مرسله لابن المبارك : « إن الملائكة يرفعون
أعمال العبد من عباد الله تعالى فيستكثرونه ويزكّونه حتى يبلغوا به
حيث شاء الله تعالى من سلطانه ، فيوحى الله تعالى إليهم : إنكم حفظة
عمل عبدي ، وأنا رقيب على ما في نفسه . إن عبدي هذا لم يخلص في
عمله فاجعلوه في سجين .. » الحديث (٢)

وأجاب هؤلاء عن كتابة الحسنة لمن هم بالحسنة بأن المراد
بكتابتها تثبيتها عنده سبحانه .

والحق ما عليه الجمهور ، وهو أن الملائكة يكتبون الأفعال
والأقوال وأعمال القلوب ، وأنه سبحانه يطلعهم على ذلك ، ولكنه قد
يخفي عن الملائكة نيّة المرائين بأعمالهم ، فيكتبون ما ظهر لهم من
العمل دون ما أخفي عنهم من الرياء ، ليبطل به سبحانه عمل المرائين

(١) قال الحافظ المنذري : رواه البزار والطبراني بإسنادين رواة أحدهما رواة
الصحيح والبيهقي .

(٢) انظر الدر المنثور وروح المعاني .

بعد كتابته ، يفعل ذلك بهم فضيحة لهم وتشهيراً بهم ، وتنكيلا
وخذلاناً لهم ، اللهم إنا نعوذ بك من ذلك ، كما أنهم يوم القيامة
يُردُّون إلى النار بعد تقريبهم من الجنة استهزاءً بهم .

رُوي عن عدي بن حاتم رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :
«يَوْمَ الْقِيَامَةِ بناسٍ إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا ريحها ،
ونظروا إلى قصورها وما أعد الله لأهلها فيها ، نودوا أن اصرفوهم عنها
لأنصيب لهم فيها ، فيرجعون بحسرةٍ مارجع الأولون - وفي رواية
والآخرون - بمثلها ، فيقولون : ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا
من ثوابك ، وما أعددت فيها لأولياك كان أهون علينا ! قال : ذاك
أردتُ بكم يا أشقياء ! كنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظام ، وإذا لقيتم
الناس لقيتموهم مخبتين ، تراؤون الناس بخلاف ماتعطوني من قلوبكم ،
هبتُم الناس ولم تهابوني ، وأجلتم الناس ولم تهلثوني ، وتركتم للناس
ولم تتركوا لي . اليوم أذيقكم ألم العذاب مع ما حرمتُم من الثواب»^(١)

(١) قال المنذري في الترغيب : رواه الطبراني في الكبير والبيهقي اه وعزاه في
روح المعاني إلى أبي نعيم والبيهقي وابن عساكر وابن النجار وابن مردويه.

من عمل بطاعة الله تعالى ثم لم يتمكن منها ونيته الدوام عليها
فإن الملائكة تكتب له أجر ذلك :

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « ما من أحدٍ
من المسلمين يُبتلى ببلاءٍ في جسده - أي بسبب مرض أو كبر سن -
إلا أمر الله تعالى الحفظة فقال : اكتبوا لعبدي ما كان يعمل وهو
صحيح مادام مشدوداً في وثاقه » (١) .

وقد روي ذلك أيضاً في حق المسافر . فروى الطبراني عن أبي
موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن الله تعالى يكتب
للمريض أفضل ما كان يعمل في صحته مادام في وثاقه - أي مرضه -
وللمسافر أفضل ما كان يعمل في حاضره »

ونقل في فيض القدير عن ابن حجر رحمه الله تعالى أنه قال :
هذا الحديث وارد في حق من كان يعمل طاعةً فمنع منها ، وكانت نيته
- لولا المانع - أن يدوم عليها اهـ .

ومما ورد في ذلك ما رواه النسائي وابن ماجه باسناد جيد عن

(١) أي البلاء الذي ابتلاه الله تعالى به . وهذا الحديث رواه الطبراني والبيهقي
والدارقطني .

أبي الدرداء يبلغ به النبي ﷺ قال : « من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى أصبح : كتب له ما نوى ، وكان نومه صدقةً عليه من ربه » .

موقف الكرام الكاتبين لأعمال الإنسان بعد موته : اختلف العلماء

في مقرّ الكرام الكاتبين بعد موت الانسان ؟ قليل : يرجعون إلى معابدهم في السماء ، وقيل : يبقون حذاء قبر المؤمن يستفرون له ويسبحون ويحمدون ويكبرون ويكتبون ذلك في صحيفته . واستدلوا على ذلك بما روي عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الله تعالى وكل بعبد المؤمن ملكين يكتبان عمله ، فإذا مات قال الملكان للذان وكتابه : قد مات فأذن لنا أن نصعد إلى السماء ، فيقول الله تعالى : سمائي مملوءة من ملائكتي يسبحونني ، فيقولان : نقيم في الأرض ؟ فيقول سبحانه : أرضي مملوءة من خلقي يسبحونني ، فيقولان : فأين نقيم ؟ فيقول : قوما على قبر عبدي ، فسبحاني واحمداني وكبراني ، واكتبوا ذلك لعبدي إلى يوم القيامة » ^(١) .

(١) قال في الدر المنثور : رواه البيهقي في الشعب وأبو الشيخ ، وروي من طرق أخرى أيضا .

أمر النبي ﷺ بالاستحياء من الكرام الكاتبين : روى البزار بالسند المتصل عن ابن عباس رضي الله عنها قال قال رسول الله ﷺ : « إن الله ينهاكم عن التعري ، فاستحيوا من ملائكة الله تعالى الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى ثلاث حالات : الغائط ، والجنابة ، والغسل ، فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستر بثوبه ، أو بجرم حائط ، أو بغيره » ^(١). وقد رواه ابن أبي حاتم مرسلًا عن مجاهد أن النبي ﷺ قال : « أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى حالتين : الجنابة والغائط ، فإذا اغتسل أحدكم فليستر بجرم حائط أو بغيره ، أو ليستره أخوه » .

الحكمة في كتابة أعمال بني آدم

إن الله تعالى أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ولا يخفى عليه ما سكن في الظلماء أو تحرك بالضياء ، وهو الذي ينبيء عباده يوم القيامة بأعمالهم ، ويطلعهم على جميع شؤوناتهم وأحوالهم ، وإنما أمر

(١) قال ابن كثير بعدما أورد هذا الحديث بسنده : ثم قال الحافظ البزار : حفص بن سليمان أحد رواة ابن الحديث ، وقد روي عنه واحتمل حديثه اهـ

الملائكة بكتابة أعمال العباد - وهو أعلم بذلك - لوجوه من الحكم :

أولاً : أن يعلم العباد أن عليهم رقباء يرقبونهم في جميع تقلباتهم ،
ويسجلون عليهم كافة أفعالهم وأقوالهم . قال تعالى : ﴿ ما يلفظ من قولٍ
إِلا لديه رقيب عتيد ﴾ وذلك مما يكفُّ الانسان عن فعل المخالفات
وارتكاب المنكرات ، ويحمّله على منهج الاستقامة والكرامة ، فإن
الانسان حين يعلم أن عليه رقيباً يرقبه من جانب من يلي عليه ، تراه
يلتزم حدّه ويقف عنده ، لعلّه بمراقب يرقبه ، مع أن هذا الرقيب
هو إنسان مثله ، قد يغفل ويسهو وينسى ويلهو ، فما ظنك برقابة رقباء
يلازمون رقبة ابن آدم ، لا يتركونه في الليل ولا في النهار ، ولا يسهون
ولا ينفلون ، بل هم كما وصفهم سبحانه ﴿ يعلمون ما تفعلون ﴾ ؟ !

ولذا قال تعالى منبهاً ومتوعداً للطفاة البغاة : ﴿ أم يحسبون أننا لنسمع
سراًهم ونجواهم ؟ بلى ورسلنا اليهم يكتبون ﴾ . كما بين سبحانه أن مكر
الماكرين في آياته هو مسجل عليهم . قال تعالى ﴿ وإذا أذقنا الناس
رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا . قل الله أسرع مكرراً
إن رسلنا يكتبون ما تمكرون ﴾ وهذا شأن المكرين الجاحدين ، إنهم
إذا أذاقهم الله رحمة : رخاء وسعة ونعمة ، بعد ضراء أي شدة وضيق وبلاء ،
إذا هم في تكذيب واستهزاء بآيات الله تعالى وطعن فيها وعدم اعتراف

بِنَعْمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ .

ثانياً : إن هذا الكتاب الذي يسطّر على بني آدم أعماله وأقواله ، سوف يكون يوم القيامة حجةً عليه إذا هو خالف أوامر الله تعالى أو ارتكب ما حرم الله تعالى ، ولا يستطيع حينئذ أن ينكر شيئاً مما سطره عليه الكتاب من صغيرة أو كبيرة . قال تعالى ﴿ وكلُّ شيء فعلوه في الزُّبُر . وكلُّ صغير وكبير مستطر ﴾ . أي مسطر عليهم في صحائفهم التي كتبها الكرام الكاتبون . وفي المسند وغيره عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول : « يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب ، فإن لها من الله طالباً » . فالصغيرات والمحقرات من الذنوب في نظر فاعلها لها طالب ، وعليها حاسب .

ثالثاً : أن يعلم العبد أن أعماله تكتب عليه وتحفظ في كتابه حتى إذا جاء يوم القيامة عرضت على رؤوس الأشهاد . فإن كانت أعمالاً صالحة وأقوالاً طيبة فرح بذلك ، وسراً سروراً عظيماً ، ويعطى كتابه بيمينه وهنا يقول معلناً سروره وغبطته هاؤم اقرؤوا كتابيه . قال الله تعالى ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم ^(١) اقرؤوا كتابيه .

(١) أي خذوا اقرؤوا كتابي وانظروا ما فيه من الحسنات والخيرات .

إِلَى ظَنَنْتُ أَنِّي مَلَأْتُ حَسَابِيهِ . فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿١﴾ الْآيَاتِ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ ^(١) ، فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ ﴾ أَيُّ فَرَحِينَ مُسْتَبْشِرِينَ وَمُعْلَنِينَ ذَلِكَ عَلَى مَرَأَى الْأَشْهَادِ ﴿ وَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ .

وَإِنْ كَانَتْ أَعْمَالًا سَيِّئَةً سَيَّءَ وَجْهَهُ وَكَرِبَ لَذَلِكَ ، وَأَخَذَ يَتْلُوهُمُ وَيَتَحَسَّرُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ . وَلَمْ أَدْرِ مَا حَسَابِيهِ : يَالَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ . مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ . هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ ﴾ .

رَابِعًا : أَنْ تَوْضَعَ كُتُبَ الْفَجَّارِ وَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ قُبَائِحَ وَفَضَائِحَ ، وَسَيِّئَاتٍ وَهَنَاتٍ ، فِي دِيْوَانِ سَجِّينَ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ، وَتَتَوَارَدُ عَلَيْهِمُ الْوَيْلَاتُ وَاللَّعْنَاتُ .

وَتَرْفَعُ كُتُبَ الْأَبْرَارِ وَمَا احْتَوَتْ عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ الطَّاعَاتِ وَالْحَسَنَاتِ وَالْخَيْرَاتِ إِلَى دِيْوَانِ عَلِيِّينَ ، لِيَشْهَدَهَا الْمُقَرَّبُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ

(١) أَيُّ بِرَسُولِهِمْ ، أَوْ دِينِهِمْ أَوْ كِتَابِهِمْ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيهِمْ ، فَيُقَالُ : يَا أَتْبَاعَ النَّبِيِّ فُلَانٍ ، وَيَا أَهْلَ دِينِ كَذَا ، وَيَا أَهْلَ كِتَابِ كَذَا . وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْإِمَامِ هُنَا مُتَّبِعُهُمْ فِي الدُّنْيَا الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي الْخَيْرِ أَوْ فِي الشَّرِّ ، فِي الْهَدْيِ أَوْ فِي الضَّلَالِ .

والأرواح العالية ومقرَّبو كل سماء ، وهناك يثنى على أصحابها ، وينشر فضلهم ويعلو ذكركم وتشهد كرامتهم ويذكر فعلهم .

قال الله تعالى ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سَجِّينَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِّينَ ! . كِتَابٌ مَرْقُومٌ . وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلَّيْنِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلَّيُونِ ! . كِتَابٌ مَرْقُومٌ . يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ .

خامساً : أن يوضع الكتاب يوم القيامة للحساب . قال تعالى : ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ ، فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مَشْفُقِينَ مِمَّا فِيهِ ، وَيَقُولُونَ : يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهذا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أُحْصَاهَا ؟ ! وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ، وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ .

وقال تعالى ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ، وَوُضِعَ الْكِتَابُ ، وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشَّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .
والمعنى أن أرض الموقف أشرقت بنور ربها لما تجلى سبحانه لفصل القضاء بين الخلائق ، وهناك حقَّت الحقائق ، وبرزت الدقائق ، وبلت السرائر وظهرت الضمائر ، فعلمت كل نفس ما أحضرت . وقوله تعالى ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ ﴾ قال كثير من المفسرين : المراد بهذا الكتاب كتب أعمال العباد ، و « أل » فيه للاستغراق ، والمراد بوضعه جعل كل كتاب

في يد صاحبه : اليمين أو الشمال ، أو جعل كل كتاب في ميزان صاحبه .

وذهب بعض المحققين إلى أن المراد بهذا الكتاب هنا : كتاب واحد جامع لجميع أعمال العباد يوضع للحساب .

قال العلامة اللقاني في بعض شروحه على الجوهرة : جزم الغزالي رضي الله عنه بما قيل إن صحف العباد ينسخ - أي يكتب - ما في جميعها في صحيفة واحدة اه . قال في روح المعاني : والظاهر أن جزم الغزالي وأضرابه لا يكون إلا عن أثر ، لأن مثله لا يقال من قبل الرأي كما هو الظاهر . اه

أقول : قد يئس ذلك بعض المحققين من العلماء العارفين فذكر أن هناك كتابين عظيمين جامعين : أحدهما يسمى « أمّا » كتب فيه ما هو كائن إلى يوم القيامة ، فهو كتاب ذو قدر معلوم ، فيه بعض أعيان الممكنات ، وما يتكوّن عنها ويسمى « كتاب القضاء » وهو - أي القضاء - الحكم الإلهي على الأشياء الممكنة بكذا وكذا .

وثانيهما يسمى « كتاب الإحصاء » قال تعالى ﴿ وكل شيء أحصيناه كتاباً ﴾ وقد كتب فيه ما يتكوّن عن المكلفين خاصة ،

فلا تزال الكتابة فيه مستمرة مادام التكليف باقياً ، وبه تقوم الحجة لله تعالى على عباده المكلفين ، وبه يطالبهم ويحاسبهم يوم القيامة ، لا بالكتاب الأول ، وهذا هو المراد بقوله تعالى ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴾ الآية . وكلا الكتابين محصور لأنه موجود بإيجاده تعالى ، وأما علم الله تعالى في الأشياء فلا يحصره كتاب مرقوم ولا يسمه رق منشور ولا لوح محفوظ ولا يسطره قلم أعلى . اهـ

ومن جملة الشهداء الذين يشهدون يوم القيامة على العباد : الكرام الكاتبون ، يشهدون على النفس الموكلين عليها . قال تعالى ﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴾ . وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : ضحك رسول الله ﷺ فقال : « هل تدرون مم أضحك ؟ » قلنا : الله ورسوله أعلم . قال « من مخاطبة العبد ربّه . فيقول يا ربّ ألم نجري من الظلم ؟ فيقول بلى . فيقول - العبد - إني لا أجزى اليوم على نفسي شاهداً إلاّ مني ، فيقول - تعالى - : كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ، والكرام الكاتبين عليك شهوداً . قال : فيختم على فيه - أي

فه - ويقال لأركانه - أعضائه - : انطقي ، فتنطق بعمله ، ثم يخلّي بينه وبين الكلام ، فيقول : بُعْدًا لَكُنَّ وسُحْقًا ، فعنكُنَّ كنتُ أناضل « أي أجادل وأدافع .

موقف-العبد يوم القيامة من كتابه وكتّابه : إذا نشرت صحف الاعمال وشهد على ذلك الكرام الكاتبون : أقرّ العبد بذلك ، وأيقن بصديق الملائكة الكتبة وثقتهم ، ولم يجد سبيلا إلى الانكار ولا الاعتذار ، ولا للطعن في الشهداء لأنهم عدول أخيار ، كما ورد في حديث البطاقة : « إن الله تعالى يقول للعبد : أتُنكر من هذا شيئا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يارب . فيقول : أفَلَك عذر ؟ فيقول : لا يارب .. » الحديث .

وكيف يستطيع العبد يوم القيامة أن ينكر أعماله التي صدرت منه في الدنيا والحال قد نطق بها كتابه ؟ قال تعالى ﴿ ولدينا كتاب ينطق بالحق ، وهم لا يظلمون ﴾ . أم كيف ينكر العبد أعماله وقد وجدها حاضرة أمامه ؟ قال تعالى ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضرا ، ولا يظلم ربك أحدا ﴾ وقال تعالى ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء .. ﴾ الآية . بل كيف ينكر العبد أعماله وقد

ارتسمت آثارها في لوح نفسه ، فهو يشهدا بحسه ؟ قال تعالى ﴿ كفى
بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ .

الملائكة الموكلون بحفظ بني آدم من المضار

من أجل أن الله تعالى أمرهم بذلك

قال الله تعالى ﴿ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ،
ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ، له معقبات^(١) من بين يديه
ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ، إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ، وما لهم من دونه
من وال ﴾ .

يخبر سبحانه عن سعة سمعه للأصوات والأقوال كلها ، سرها
وجهرها ، كما يخبر سبحانه عن إحاطة بصره لسائر المخلوقات ، في سائر
الحالات : ظلماتها وضياؤها وليلها ونهارها ، ثم يبين سبحانه إحاطة قدرته
بجميع الأشياء وأنه لا يستطيع أحد أن يحفظ غيره إلا بأمره تعالى
وتقويته على ذلك . فهو سبحانه وكّل ابن آدم ملائكة معقبات ،

(١) المعقبات : جمع معقبة ، وإنا وصفنا الملائكة الموكلون بحفظ ابن آدم بذلك ،
لأنهم يعقب بعضهم بعضاً في حفظ ابن آدم وكلاءته في الليل والنهار ، دون
أن يقع بينهم فترة انقطاع .

يحفظونه من المضار والمهلكات ، من أجل أن الله تعالى أمرهم بذلك ،
وقوامهم على ذلك ، كما جاء في قراءة أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه
وابن عباس وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة رضي الله تعالى عنهم
أجمعين قرؤوا « يحفظونه بأمر الله » (١)

وهذا أمر معان مشهود ، فكثيراً ما يقع شخصان في خطر
عظيم وكرب جسيم ، وإذا بأحدهما ينجو ويسلم ، والآخر يصيبه
ما يصيبه ، مع أن الخطر أحاط بهما ، فهذا حفظته الملائكة من أجل
أن الله تعالى أمرهم بذلك ، فعصم ، وذاك تخلوا عنه فقُصم .

روى ابن أبي الدنيا والطبراني عن أبي أمامة مرفوعاً قال :
« وكـل بالموءمن ثلثة وستون ملكاً ، يدفعون عنه ما لم يقدر عليه
من ذلك . للبصر سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل
من الذباب في اليوم الصائف ، وما لو بدا لكم لرأيتموه على كل سهل
وجبل ، وكلهم باسط يديه فاغراً فاه ، وما لو وكل العبد فيه إلى نفسه
طرفة عين لاختطفته الشياطين » . وأخرج ابن المنذر وغيره عن علي
رضي الله عنه قال : لكل عبد حفظة يحفظونه ، لا يخر عليه حائط أو

(١) و « من » في قوله تعالى ﴿ يحفظونه من أمر الله ﴾ للسببية ، ويقال لها :
أجلية ، أي من أجل أمر الله تعالى بذلك .

يتردئ في بئر أو تصيبه دابة ، حتى إذا جاء القدر الذي قدر له خلَّتْ عنه الحفظة فأصابه ما شاء الله تعالى أن يصيبه .

القرين من الملائكة برل ابن آدم على الخبر

روى مسلم وأحمد وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « مامنكم من أحد إلا وقد وكَّل به قرينه من الجنّ وقرينه من الملائكة » قالوا : وإيّاك يا رسول الله؟ قال : « وإيّاي ، إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم فلا يأتيّني إلا بخير » .

إن الله تعالى خلق الانسان واستعمره في دار الدنيا ، وهي دار التكليف والاختبار ، وقد أعطاه العقل والاختيار المناسب لخلقته ووجوده الممكن والمتسع لتكاليفه الشرعية ، ثم أرسل الله تعالى الرسل صلوات الله عليهم فجاءوا بالشرائع السماوية والنظم الإلهية المشتملة على مصالح العباد والبلاد وسعادة الدنيا والآخرة ، وبينت الرسل صلوات الله تعالى عليهم ذلك بأكل بيان ، وأوضح برهان ، حتى ظهر الحق وأنجلي نور شرع الله تعالى ، فهنا تحرّك القرين الشيطاني ليصرف هذا الانسان عن متابعة الحق بعد ما تبيّن ، ويحمّله على اتباع الهوى الفاسد ، وراح يزين له فعل الشر ليصرفه عن جانب الخير ، وأخذ القرين الملكي يحسن له الخير ويحمّله على متابعة الحق الذي فيه الصلاح

والفلاح ، ووقف العبد موقف المختار ، فاما أن يختار ويستحب الهدى على الردى ، ويجنح إلى جانب الحق مبتعداً عن الباطل ، ويرجع جانب القرين الملوكي ، وإما أن يختار ويستحب العمى على الهدى والغى على الرشاد ، ويجنح إلى جانب القرين الشيطاني ، وينتظم في سلك الشياطين ، كما قال تعالى ﴿ شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾ .

وقد حفظ الله تعالى النبي ﷺ وأعانه على القرين الجني فأسلم وآمن ، فأصبح لا يأتي النبي ﷺ إلا بخير ، والراجح لدى النظر رواية « فأسلم » بفتح الميم ، بمعنى صار مسلماً مؤمناً - على رواية « فأسلم » بضم الميم ، بمعنى أسلم من شره . وذلك لأنه أصبح لا يأتي إلا بخير ، وهذا شأن المسلم المؤمن ، وأما الكافر فلا يألو شراً .

مرئكة الله (١) بابن آدم

قال الله تعالى: ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرةً منه وفضلاً » والله واسع عليم ﴾ وقد بين النبي ﷺ الذي علم البيان عن معاني القرآن ، فقال كما ورد في الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: « إن للشيطان لمةً بابن

(١) اللمة هي الخطرة الواحدة، من الامام ، وهو القرب من الشيء والدنو منه .

آدم ، وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فأيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما
لمة الملك فأيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله
تعالى ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ ﴿ الشيطان
يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا .. ﴾ (١)
الآية .

فالشيطان يُلمُّ بابن آدم - أي يدنومه - ليعده بالشر ، فيخيفه
من الفقر حتى يمسك عن الانفاق والتصدق في سبيل الله تعالى ، ويقول
لابن آدم : أمسك عليك مالك ، ولا تتصدق وأبقيه لعيالك ، وأصلح
به حالك ، فربما كبرت سنك ، وقد ذهب مالك فتمسي فقيراً .. الخ .
كما وأن الشيطان يحمل ابن آدم على التكذيب بالحق الذي جاء عن
الله تعالى وعن رسوله ﷺ .

وأما الملك فإنه يلمُّ بابن آدم ليعده بالخير في الدنيا والآخرة ،
ويفتح له أبواب البشائر والسعادات ، ويحمّله على التصديق بالحق الذي
جاء عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ ، فما أرأف وأرحم رب العالمين
بعباده ! نعم هو سبحانه أرأف وأرحم بعباده من أنفسهم .

(١) رواه الترمذي وقال : حسن غريب ، ورواه النسائي وأخرجه ابن حبان
في صحيحه .

كما وأن الله تعالى واعظاً في قلب عبده المسلم يذكره بالخير ويحذره من الشر . ففي المسند عن النواس بن سميان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « ضرب الله مثلاً : صراطاً مستقيماً ، وعلى جنبتي الصراط سُوران فيها أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مَرخاة ، وعلى باب الصراط داعٍ يقول يا أيُّها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعوجوا - أي لا تتحرفوا - وداعٍ يدعو من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال : ويحك لا تفتحه ، فانك إن تفتحه تلجئه - أي تدخله - . فالصراط الاسلام ، والسُوران حدود الله تعالى ، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى ، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله تعالى ، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم » (١) .

فعلى المسلم أن يُصغي إلى واعظ الله تعالى في قلبه ، وليعمل بمقتضى وعظه . ويسمى أيضاً : الزاجر ، كما بينه العارفون وهو النور المقذوف في القلب الداعي إلى ما يقرب إلى الله تعالى ، الزاجرُ

(١) قال الحافظ ابن كثير : رواه الترمذي والنسائي جميعاً عن علي بن حُجر ، عن بقیة ، عن بحیر بن سعد عن خالد بن معدان ، عن جبير بن نفیر ، عن النواس بن سميان ، وهو إسناد حسن صحيح ، والله أعلم . اهـ

عما يُبعد عنه سبحانه .

وبناءً على هذه الأحاديث النبوية الآتية - قسم العلماء العارفون

الواردات التي ترد على القلوب إلى أربعة أقسام : الوارد الرحماني، وهو أول الخواطر ويسمى السبب الأول ، ويعرف بقوة وتسلطه على القلب السليم الصافي ، وعدم اندفاعه بالدفع . والوارد الملكي ، وهو ما يبعث على فعل الخير والصلاح ، ويسمى إلهاماً ، والوارد النفساني ، وهو ما فيه حظ النفس ويسمى هاجساً ، والوارد الشيطاني، وهو ما يدعو إلى فعل الشر ومخالفة الحق ويسمى وسواساً .

والأصل العام الحاكم في التفرقة بين تلك الواردات كما أجمع عليه العلماء والعارفون : هو الميزان الشرعي ، فما وافق ما جاء به الشرع فهو من الأوليين ، وما خالفه فهو من الآخرين .

وهناك علامات تدل على نوعية تلك الواردات، ذكرها العارفون، يدركها من هو صافي القلب طاهر السريرة .

فمن ذلك : أن كل ما يكون سبباً في الخير مأمون الفائلة في العاقبة ، ولا يكون سريع الانتقال إلى غيره ، ويحصل بعده توجه تام إلى الله تعالى وإقبال عليه : فهو رحماني أو ملكي ، وما يكون بعكس ذلك فهو شيطاني .

ومن ذلك أن مأورث أنسا وانشراحاً للصدر ونوراً في القلب
فهو رحماني، وما كان فيه دلالة على الخير وتنشيط الهمة نحو الخير فهو
ملكي، وما كان ضد ذلك فهو شيطاني .

ومنها : أن ما أورث سكينةً وطمأنينةً للقلب فهو ملكي، وما
أورث قلقاً واضطراباً فهو شيطاني . والإلهام الملكي يكثر وروده على
القلوب الطاهرة النقية المستنيرة بنور الله تعالى ، فللملك اتصال بها
قوي^١ ، لمناسبة الطيب والطهر والصفاء والنقاء ، وأما القلب المغبر
أو المظلم الذي اسودَّ بدخان الشهوات المحرمة فتكثر وارداته
الشيطانية ، لكثرة ورود الشياطين له ، للمناسبة بينهما^(١) .

(١) قال العلامة الشيخ زروق في قواعده : تميز الخواطر من مهات أهل
المراقبة ، لنفي الصوارف عن القلوب ، فانهم الاهتمام بها لمن له في ذلك
أدنى قدم ، والخواطر أربعة : رباني بلا واسطة ، ونفساني ، وملكى ،
وشيطاني . وكل^٢ إنما يجري بقدره الله تعالى وإرادته وعلمه .

فالرباني لا متزحزح ولا متزلزل ، كالنفساني، ويجريان - أي الرباني والنفساني -
لمحبوب وغيره ، فما كان في التوحيد الخاص^٣ رباني (وما كان) في مجاري
الشهوات فنفساني ، وما وافق أصلاً شرعياً لا يدخله رخصة ولا هوى^٤
فرباني ، وغيره فنفساني ، ويعقب الرباني برودة وانشراح ، والنفساني^٥
يبس وانقباض ، والرباني كالفجر الساطع لم يزد إلا وضوحاً ، والنفساني
كعمود قائم إن لم ينقص بقي على حاله . فأما الملكي والشيطاني فمترددان =

حضور الملائكة عليهم السلام مجالس العبادات

حضور الملائكة صلاة الجمعة واستماعهم للذكر والوعظ : عن أبي

هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول ، ومثل المهجر - أي المبكر - كمثل الذي يهدي بدنة ، ثم كالذي يهدي بقرة ، ثم كبشاً ، ثم دجاجة ، ثم بيضة ، فإذا خرج الإمام طووا صحفهم يستمعون الذكر » . رواه الشيخان .

شهود الملائكة يوم الجمعة : روى ابن ماجه عن أبي الدرداء رضي الله

= - أي يكثر ترددها على القلب ما بين تارة وأخرى - (ولكن) لا يأتي الملكي إلا بخير ، والشرطي قد يأتي به - أي بالخير لكنه ممزوج بشر أو عاقبه شر - فيشكل ، ويفرق (بينها) بأن الملكي تعضده الأدلة ، ويصعبه الانشراح ، ويقوى بذكر الله تعالى ، فأثره كغش الصبح ، وله نفاذاً ، بخلاف الشرطي ، فانه يضعف بذكر الله تعالى ويمحي عن الدليل ، وتعقبه حرارة ، ويصعبه اشتعال وغبار وضيق وكزازة في الوقت ، وربما تبعه كسل الخ اه . ومن أراد تفصيل ذلك فليرجع إلى كتب القوم ، سيما التعريفات والاصطلاحات ، ومقدمة الشيخ داود القيصري ، وشروح الرسالة القشيرية ونحوها .

عنه أن النبي ﷺ قال : « أكثرُوا من الصلاة عليَّ يوم الجمعة ، ^(١) فانه يوم مشهود تشهده الملائكة ^(٢) ، وإن أحداً لن يصلي علي إلاَّ عُرضت عليَّ صلاته حين يفرغ منها » قلت : وبعد الموت ؟ فقال ﷺ « وبعد الموت ، إن الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » ^(٣) .

تأمين الملائكة لفاتحة الصلاة : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا قال الإمام : غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا : آمين ، فانه مَنْ وافق قوله قول الملائكة : غُفر له ما تقدَّم من ذنبه » . متفق عليه . وفي رواية للبخاري : « إذا قال أحدكم : آمين ، وقالت الملائكة في السماء : آمين ، فوافقت إحداهما الأخرى : غُفر له ما تقدَّم من ذنبه » .

قال الحافظ ابن حجر : والذي يظهر أن المراد بالملائكة مَنْ يشهد تلك الصلاة من الملائكة ممن في الأرض والسماء اهـ .

(١) ذكر أبو طالب المكي أن أقلَّ الأثرية ثلاثمائة مرة .

(٢) أي تشهد ما يجري فيه من أعمال صالحة وقربات وطاعات لتشهد بها عند الله تعالى .

(٣) قال المناوي : رجاله ثقات اهـ .

تحميد الملائكة في الصلاة : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن

رسول الله ﷺ قال : « إذا قال الإمام : سمع الله لمن حمده ، فقولوا : اللهم ربنا لك الحمد ، فإنه من وافق قوله قول الملائكة : غُفر له ما تقدم من ذنبه » . متفق عليه .

حضور الملائكة الحفظة عند صلاتي الفجر والعصر : عن أبي هريرة

رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر وصلاة العصر ، فيجتمعون في صلاة الفجر فتصعد ملائكة الليل ، وتثبت ملائكة النهار ، ويجتمعون في صلاة العصر فتصعد ملائكة النهار ، وتثبت ملائكة الليل ، فيسألهم ربهم : كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : أتيناكم وهم يصلون ، وتركناهم وهم يصلون فاعف لهم يوم الدين » . رواه الشيخان وابن خزيمة - واللفظ له - كما في الترغيب .

الملائكة تحفُّ بالمصلي إلى عنان السماء : روى محمد بن نصر عن

الحسن البصري مرسلًا : أن النبي ﷺ قال : « للمصلي ثلاث خصال : يتناثر البرُّ من عنان السماء إلى مفرق رأسه ، وتحفُّ به الملائكة من لدن قدميه إلى عنان السماء ، ويناديه منادٍ : لو يعلم المصلي من

يناجي ما انقل « . أي ما انقل من صلاته بل يبقى متوجهاً لمن
يناجيه سبحانه .

الملائكة يتفقّدون أهل المسجد : عن أبي هريرة رضي الله عنه

عن النبي ﷺ قال : « إن للمساجد أوتاداً الملائكة جلساءهم، إن
غابوا يفتقدوهم ، وإن مرضوا عادوهم ، وإن كانوا في حاجة أعادوهم ثم
قال : جلس المسجد على ثلاث خصال : أخ مستفاد، أو كلمة حكمة ،
أو رحمة منتظرة » . (١)

الملائكة يبلغون رسول الله ﷺ السلام عن أمته : عن ابن مسعود

رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن لله ملائكة سياحين في
الأرض يبلغوني عن أمتي السلام » (٢) وعن الحسن بن علي رضي الله
عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « حيثما كنتم فصلّوا عليّ فإن صلاتكم
تبلغني » . رواه الطبراني بإسناد حسن كما في الترغيب .

صلوات الملائكة على عباد الله المؤمنين وأسباب ذلك : قال الله

تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ، وَسَبِّحُوهُ

(١) رواه أحمد من رواية ابن أبي شيبة ، ورواه الحاكم وقال صحيح على شرطها
كما في الترغيب للمنزوي .

(٢) رواه أحمد والنسائي وابن حبان في صحيحه .

بُكْرَةً وَأَصِيلاً . هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور ، وكان بالمؤمنين رحيماً * .

أمر الله تعالى المؤمنين أن يذكروه ذكراً كثيراً ، وهو ما يعم الأوقات والأحوال كلها سوى الأحوال التي كره الشارع فيها ذلك ، فقد صح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كان رسول الله ﷺ يذكر الله على أحيانه كلها . أي فيعطي كل حين حقه من ذكر الله تعالى بالثناء أو الدعاء أو نحو ذلك . وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما : الذكر الكثير أن لا يندسى جل وعلا .

ثم قال سبحانه ﴿ وسبحوه بكرة وأصيلاً ﴾ أي أول النهار وآخره ، وخصهما بالذكر لأن لهما فضلاً على غيرهما بسبب حضور ملائكة الليل والنهار ، والتقائهما فيهما . وقال بعضهم : المراد بالتسبيح بكرة وأصيلاً صلاة الفجر وصلاة العصر .

﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ﴾^(١) والصلاة من الله تعالى

(١) وورود هذه الآية منفصلة - أي بدون عطف على ما قبلها - إما من باب ترتب الجزاء على العمل ، فهي بيان للمؤمنين أنهم إذا ذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً : فإن الله تعالى يكرمهم فيصلي عليهم هو وملائكته . أو من باب بيان السبب الموجب على المؤمنين أن يذكروا الله =

تشمّل على الرحمة الخاصة والتعطّف والحنان ، والصلاة من الملائكة هي الدعاء والاستغفار . ثم يسنّ سبحانه آثار صلّاته على عباده المؤمنين وصلاة ملائكته وماذا يترتب على ذلك ، فقال ﴿ ليخرجكم من الظلمات إلى النور ﴾ أي ليخرجكم من ظلمات الذنوب والشبهات والشهوات الصادرة عن النفس وأهوائها وانحرافها - إلى نور الطاعة والهداية واليقين، كما أنه سبحانه يخرجكم من ظلمات النفس وغواشي المحسوسات إلى نور اليقين وأسرار الملكوتيات .

حضور الملائكة مجالس ذكر الله تعالى : روى البخاري عن أبي

هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر - وفي رواية لمسلم : يتبعون مجالس الذكر - فاذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا : هلمّوا إلى حاجتكم ، فيحفّونهم بأجنحتهم^(١) إلى السماء الدنيا - وفي رواية مسلم : قعدوا معهم وحفّ بعضهم بعضاً بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين

= ذكراً كثيراً ويسبحوه بكرة وأصيلاً . والمعنى حينئذٍ : اذكروا الله ذكراً كثيراً .. الآيات لأنه سبحانه يصلي عليكم هو وملائكته ، فأدّوا واجب هذا بذلك .. والله أعلم .

(١) أي يدنون بأجنحتهم حول الذاكرين .

السماء الدنيا - فيسألهم ربهم ، وهو أعلم منهم - زاد مسلم فاذا تفرقوا
عرجوا وصعدوا إلى السماء فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم : من
أين جئتم ؟ فيقولون جئنا من عند عبادك في الأرض ، فيقول سبحانه :
ما يقول عبادي ؟ قال فيقولون : يسبحونك ، ويكبرونك ، ويحمدونك ،
- وفي رواية : ويمجدونك - قال فيقول : هل رأوني ؟ قال فيقولون :
لا والله مارأوك . قال فيقول : كيف لو رأوني ؟ قال يقولون : لو
رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد لك تمجيذاً ، وأكثر لك تسبيحاً .
قال يقول : فما يسألوني ؟ قال يقولون : يسألونك الجنة . قال يقول :
وهل رأوها ؟ قال يقولون : لا والله يارب مارأوها . قال فيقول : فكيف
لو أنهم رأوها . قال فيقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً
وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة . قال : فهم يتعوذون ؟ قال يقولون :
من النار ، قال يقول : وهل رأوها ؟ قال يقولون : لا والله يا رب
مارأوها ، قال يقول : فكيف لو رأوها ؟ قال يقولون : كانوا أشد
منها فراراً وأشد لها مخافة ، قال فيقول : فأشهدكم أنني قد غفرت
لهم . قال يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم ، إنما جاء
لحاجة ، - وفي رواية : فيقولون : إن فيهم فلاناً الخطاء لم يردم ،
إنما جاء لحاجة - أي لا يقصد الذكر معهم - فيقول سبحانه : وله قد

غفرتُ ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم - وفي رواية للبخاري : هم
الجلساء لا يشقى جليسهم - . والمعنى هم جلساء الحق لا يشقى بهم جليسهم
من الخلق ، وذلك لما ورد : « أنا جليس من ذكرني » . وحديث
الصحيحين : « أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني - وفي
رواية : وأنا معه حين يذكرني » . وهذا وإن مجالس الذكر تشمل
مجالس القرآن الكريم ، ومجالس تفسيره ، ومجالس الحديث النبوي ،
ومجالس العلم الشرعي ، ومجالس التسبيح والتحميد والتهليل ، ومجالس
الصلاة على النبي ﷺ ، ومجالس الاستغفار والدعاء ، فان جميع ذلك
فيه ذكر الله تعالى ، قال في فتح الباري : وفي هذا الحديث فضل
مجالس الذكر والذاكرين ، وفضل الاجتماع على ذلك ، وأن جليسهم
يندرج معهم في جميع ما يفضل الله تعالى به عليهم إكراماً لهم - أي
للذاكرين - وإن لم يشاركهم في أصل الذكر ، وفيه محبة الملائكة
لبنی آدم واعتناؤهم بهم ، وفيه أن السؤال قد يصدر من السائل وهو
أعلم بالمسئول عنه لإظهار العناية بالمسئول عنه ، والتنويه بقدره والإعلان
بشرف منزلته - يعني أن سبحانه إنما سأل الملائكة وهو أعلم بعباده
من الملائكة لياهي الملائكة بالذاكرين ، ولينوّه بهم ويعلم بشرف
منزلتهم - ثم قال : وفي الحديث بيان كذب من ادّعى أنه يرى الله

تعالى جهرًا في الدنيا ، وقد ثبت في صحيح مسلم ومن حديث أبي امامة رفعه: « واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا » اهـ .
حضور الملائكة عليهم السلام مجالس القرآن ، ومجالس الصلاة

على من أنزل عليه الفرقان : عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن لله سيارةً من الملائكة يطلبون حلق الذكر ، فإذا أتوا عليهم حَفَّوْا بهم ، ثم يقفون وأيديهم إلى السماء إلى رب العزة تبارك وتعالى فيقولون : ربنا آتينا على عباد من عبادك : يعظمون آلاءك ، ويتلون كتابك ، ويصلُّون على نبيك محمد ﷺ ، ويسألونك لآخرتهم ودنياهم ، فيقول الله تبارك وتعالى : غشُّوهم رحمتي ، فهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم » (١) .

مجالس الثناء على الله تعالى وذكر نعمه يباهي الله تعالى بها ملائكته : (٢)

عن معاوية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال : « ما أجلسكم ؟ » قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا . فقال : « آله ما أجلسكم إلا ذلك ؟ »

(١) رواه البزار كما في الترغيب .

(٢) ومعنى الباهة : هي إعلان الثناء عليهم ، والاعلام بكريم منزلتهم عنده سبحانه .

قالوا لله ما أجلسنا إلا ذلك . فقال ﷺ : « أما إني لم أستحلفكم
تهمة لكم ، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم
الملائكة » . رواه مسلم .

تباهي الملائكة بمجالس ذكر نعم الله تعالى وحمده : عن أنس

رضي الله عنه قال : كان عبدالله بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحاب
رسول الله ﷺ قال له : تعال نؤمن بربنا ساعة - أي لنزداد إيماناً -
فقال ذات يوم لرجل ، فغضب الرجل فجاء إلى النبي ﷺ فقال :
يا رسول الله ألا ترى إلى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة؟
فقال النبي ﷺ : « يرحم الله ابن رواحة إنه يحب المجالس التي تتباهى
بها الملائكة » (١) .

وروى الطبراني عن ابن عباس قال : مرَّ النبي ﷺ بابن رواحة
وهو يذكر أصحابه فقال ﷺ : « أما إنكم الملائكة الذين أمرني الله
أن أصبر نفسي معكم ، ثم تلا هذه الآية ﴿ واصبر نفسك مع الذين
يدعون ربهم ﴾ الآية .

الملائكة تحفُّ بالذين يتلون كتاب الله تعالى ويتدارسونه بينهم :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « من نفس

(١) رواه أحمد بإسناد حسن كما في الترغيب وجمع الزوائد .

عن مؤمنٍ كربةٍ من كُرْب الدنيا نفّس الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة^(١) ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، ومن يسّر على مُعسرٍ يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة^(٢) ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم إلا حَفَّتْهم الملائكة ، ونزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه . رواه مسلم وأصحاب السنن . فما أشرف الاجتماع على تلاوة كتاب الله تعالى ومدارسته نصاً أو معنى وتفهمه

(١) وإن كرب يوم القيامة هي أدهى وأمر من كرب الدنيا ، وما أحوج الإنسان إلى ما يفرج عنه الكرب يوم القيامة ! .

(٢) قال في الفتح المبين : والمراد بتسهيل الطريق إلى الجنة : تسهيل الانتفاع به والعمل بمقتضاه ، وهو العمل الصالح ، فيكون العلم سبباً لهدايته ودخوله الجنة وسبباً لتسهيل طريق الجنة يوم القيامة وهو الصراط وما قبله ، فيأمن من تلك الأهوال والخواف ، فإن العلم يدل على الله تعالى من أقرب الطرق إليه ، فمن سلك طريق العلم وحققه بالعمل ولم يعرج عنه : وصل إلى الله تعالى وإلى الجنة من أقرب الطرق وأسهلها ، إذ لا طريق إلى معرفته تعالى ورضاه إلا بالعلم النافع وهو العلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله المقتضي لخشيته وإجلاله ومحبه ورجائه ، وهذا أول علم يرفع ، كما ورد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه اه .

وتدبره ؟ إن هذا الاجتماع لتحفُّ به الملائكة حفاوةً وتكريماً وجباً فيه وقرباً منه .

الملائكة تنزل بالسكينة على قارئ القرآن : روى البخاري عن

أسيد بن حضير قال : بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس - أي هاجت واضطربت - فسكت عن القراءة - فسكنت الفرس ، ثم قرأ فجالت الفرس ، فانصرف - أسيد - وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق - أسيد على ابنه - أن تصيبه ، فلما اجتريه^(١) رفع رأسه إلى السماء حتى مايراها ، وفي رواية : رفع رأسه إلى السماء ، فاذا هو بمثل الظلَّة فيها أمثال المصاييح عرجت إلى السماء حتى مايراها ، وفي رواية لمسلم : فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السُرُج عرجت في الجوّ حتى ماأراها - فلما أصبح حدث النبي ﷺ ، فقال له ﷺ : « اقرأ يا ابن حُضير ، اقرأ يا ابن حُضير »^(٢) .

(١) أي اجتريه أسيد ابنه يحيى من المكان الذي هو فيه حتى لا تطأه الفرس .

(٢) أي كان ينبغي لك يا ابن حُضير أن تستمر على قراءتك ، لتستمر لك البركة والسكينة بنزول الملائكة واستماعها لقراءتك ، وفهم أسيد ذلك فأجاب بعذره في قطع القراءة ، وهو خوفه على ابنه يحيى أن تطأه الفرس . اه فتح الباري .

قال أسيد : فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريباً ،
فانصرفتُ إليه فرفعت رأسي إلى السماء ، فإذا مثل الظلة فيها أمثال
المصابيح ، فخرجت حتى ماأراها ، فقال ﷺ : « وتدرى ماذا ؟ »
قال لا ، فقال ﷺ : « تلك الملائكة دنتُ لصوتك - وفي رواية
مسلم : تلك الملائكة تستمع لك ، ولو قرأت لأصبحتُ ينظر الناس
إليها لا توارى - أي لا تختفي - منهم . وفي رواية الحاكم : تلك الملائكة
نزلت لقراءة القرآن ، أما إنك لو مضيت - أي بقيت على قراءتك -
لرأيت العجائب » . والمعنى أنه لو استمر على قراءته لبقيت الملائكة
بارزةً للناس غير مستترة عنهم لاستغراقها في لذة السماع للقرآن الكريم ،
وانجذابها إلى الروح القرآني .

وفي البخاري عن البراء رضي الله عنه قال : كان رجل^(١) يقرأ سورة
الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطَينين - أي حبلين - فتفشَّته
سحابة فجعلت تدنو وتدنو - أي تقرب من مكان القارئ - وجعل
فرسه ينفر ، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له ، فقال ﷺ :

(١) قيل هو أسيد بن حضير ، وقد تعددت قصته في تنزل الملائكة لقراءته
حين قرأ سورة البقرة وحين قرأ سورة الكهف ، وقيل : هذا صحابي
آخر غير أسيد .

« تلك السكينة للقرآن » وفي رواية الترمذي : « نزلت مع القرآن أو على القرآن » .

وروى أبو داود من طريق مرسل : قيل للنبي ﷺ : ألم تر ثابت بن قيس بن شماس ؟ لم تزل داره البارحة تزهى بمصاييح ! فقال ﷺ : « فلعن الله قرأ سورة البقرة ؟ » فسنل ثابت فقال : قرأت سورة البقرة (١) .

الملائكة تحف طالب العلم بأجنحتها : عن صفوان بن عسال

المرادي رضي الله عنه قال : أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد متكئاً على برء له أحمراً ، فقلت له : يا رسول الله ، إني جئت أطلب العلم ، فقال : « مرحباً بطالب العلم ، إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها ، ثم يركب بعضهم بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب » (٢) .

وفي الحديث بيان فضل طلب العلم من وجوه متعددة ، منها : حفاوة سيدنا رسول الله ﷺ بطالب العلم وترحيبه به . ومنها : تشييط

(١) انظر فتح الباري في فضل سورة الكهف .

(٢) قال المحافظ المنذري : رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد واللفظ له ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم وصحح إسناده وابن ماجه نحوه باختصار . اهـ

همته وبشارته له بأن الملائكة تحفه حباً فيه وإكراماً له ، متزاهين على ذلك ، فإذا تصوّر من فضل طالب العلم الذي أكرمه رسول الله ﷺ ورحّب به ، وأكرّمته ملائكة الله تعالى وحفّت به حفاظاً عليه وصيانةً له ١٢

الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع : عن أبي

الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وإن العالم يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر » (١).

ففي هذا الحديث : بيان فضل العالم ، وأن الملائكة تضع أجنحتها له توقيراً وتواضعاً وتبجيلاً . وهذا الوضع يحتمل بل يشتمل عدة وجوه ذكرها المحققون :

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي كما في الترغيب .

الأول - أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم تواضعاً له ،
وتوقيراً لما يحمله من ميراث النبوة ، ويكون هذا من باب : ﴿ واخفض
جناحك للمؤمنين ﴾ .

الثاني - أن الملائكة تضع أجنحتها - أي تبسطها وتمدها لطالب
العلم ، تكريماً وتعظيماً وتحبباً وتقرباً .

قال الطبراني : سمعت أبا يحيى زكريا بن يحيى الساجي قال :
كنا نمشي في بعض أزقة البصرة إلى باب بعض المحدثين ، فأسرعنا
المشي وكان معنا رجل ماجن متهم في دينه ، فقال : ارفعوا أرجلكم عن
أجنحة الملائكة لا تكسروها - قالها كالمستهزئ - فما زال من موضعه
حتى جفت رجلاه وسقط .

وقد نقل بالسند عن أحمد بن شعيب قال : كنا عند بعض المحدثين
بالبصرة فحدثنا بحديث النبي ﷺ : « إن الملائكة لتضع أجنحتها
لطالب العلم » . وفي المجلس معنا رجل من المبتدعة فجعل يستهزئ
بالحديث فقال : والله لأطرقنَّ غداً نعلي بمسامير فاطماً بها أجنحة
الملائكة ، ففعل ومشى في النعلين ، فجفت رجلاه جميعاً ، ووقعت
فيها الأكلة .

الثالث - أن الملائكة تُظِل طالب العلم بأجنحتها تكريماً له .

الرابع - أن وضع الجناح معناه الكفّ عن الطيران ونزولهم عند مجالس العلم ، حباً في العلم وقرباً من العلماء .

الخامس - أن الملائكة تضع أجنحتها - أي تبسطها - داعيةً لطالب العلم كما تبسط الناس أيديها للدعاء ، وقد نقل ذلك عن الإمام مالك رضي الله عنه في كلامه على هذا الحديث . وهناك وجوه أخرى .

وأما قوله ﷺ : « وإن العالم يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء » : فانه لما كان العالم سبباً في نشر العلم الذي به نجاة النفوس من المهلكات ، وكانت نجاة العباد والبلاد على يديه ، جُوزي من جنس عمله ، فجعل من في السماوات والأرض ساعياً في الدعاء له ، والاستغفار له ، بل إن جميع الحيوانات والطيور وغيرها كلها تستغفر للعالم ، كما جاء في رواية « حتى النملة في جحرها » . وذلك لأن العالم يعلم العباد رعاية حقوق هذه الحيوانات ، ويعرفهم ما يحل الانتفاع بها ومنها ، وما يحرم ، ويعرفهم كيفية استخدامها ووجوه الانتفاع بها على الوجه المشروع ، وكيفية ذبح ما حلّ منها على أحسن الوجوه وأرققها بالحيوان ، فاستحق العالم أن تستغفر له البهائم والحيتان ^(١) .

(١) فأكرم بأولى العلم الذين استشهد الله تعالى بشهادتهم على وحدانيته ، فقال =

= تعالى : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو ، والملائكة وأولوا العلم .. ﴾ الآية ،
واستشهد بشهادتهم لتصديق رسول الله ﷺ ، فقال تعالى : ﴿ قل كفى
بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾ . ورفع درجاتهم على من
سواهم من أهل الإيمان ، فقال تعالى : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم
والذين أوتوا العلم درجات ﴾ ، ورفع مستواهم على غيرهم ، فقال تعالى :
﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ! ﴾

وأكرم بأولي العلم الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بأنهم ورثة الأنبياء ،
فقال : « إن العلماء ورثة الأنبياء » وشهد لهم بالعدالة فقال : « يحمل هذا
العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وتأويل الجاهلين ،
وانتحال الباطلين » . وأخبر أنهم الذين أراد الله تعالى بهم خيراً فقال :
« من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين » . وأنهم منار العلم فاذا ذهب بهم
ذهب نور العلم معهم ، فقال ﷺ : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً
ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء .. » الحديث ، وأنهم
النجوم التي يهتدى بها في الظلمات . فقد روى أحمد عن أنس أن النبي
ﷺ قال : « إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في
ظلمات البر والبحر ، فاذا انطلمست النجوم أوشك أن تضل الهداة » .

وما أعظم فضل العلم وشرفه عند الله تعالى ! فإن من قصد العلم وسمى
إليه يفتح الله له باباً إلى الجنة ، وتضع له الملائكة أجنحتها ، وتفرش له
أكنافها وتحف به وتصلّي عليه وتستغفر له . كما ورد عن أبي الدرداء
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من غدا يريد العلم
يتعلمه : فتح الله له باباً إلى الجنة ، وفرشت له الملائكة أكنافها ، وصلّت
عليه ملائكة السماوات ، وحيثان البحر ، وللعالم من الفضل على العابد
كالقمر ليلة البدر على أصغر كوكب في السماء ، والعلماء ورثة الأنبياء ، إن =

= الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، ولكنهم ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظه ، وموت العالم مصيبة لا تحير ، وثلاثة - أي فجوة - لاتسد ، وهو نجم طمس ، وموت قبيلة أيسر من موت عالم . قال في الترغيب : رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه ، وليس عندهم : « وموت عالم .. » إلى آخره ، ورواه البيهقي واللفظ له . اه .

وأكرم بأولي العلم الذين اختارهم سبحانه لحمل جوهر العلم بدينه وشرعه ! ومن ثم كانت لهم الكرامة من ربهم في خاصة نفوسهم وفي أتباعهم فيشفعهم بهم ، كما روى الطبراني بالسند الجيد والرواة الثقات أن النبي ﷺ قال : « يقول الله عز وجل يوم القيامة : يامعشر العلماء إني لم أضع علمي فيكم لأعذبكم ، اذهبوا فقد غفرت لكم » .

وهذا الحديث أورده في الترغيب بروايتين ، وذكره ابن كثير في مواضع من تفسيره مع تجويد سنده .

وروى البيهقي وغيره عن جابر أن النبي ﷺ قال : « يبعث العالم والعابد ، فيقال للعابد : ادخل الجنة ، ويقال للعالم : اثبت حتى تشفع للناس بما أحسنت أدبهم » .

ومن هنا يعلم أن تعظيم أهل العلم وتكريمهم هو من الإيمان لا من الامتنان ، وأن انتقاصهم والازراء بهم نفاق وطغيان ، قال ﷺ : « ليس من أمتي من لم يحل كبرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه » ، كما في المسند وغيره بالسند الحسن . وقد حكم ﷺ بنفاق من استخف بالعالم فقال : « ثلاث لا يستخف بهن إلا منافق : ذوالشبهة في الاسلام ، وذوالعلم ، وإمام مقسط » رواه الطبراني كما في الترغيب .

وينبغي أن يعلم أن الثناء الوارد في الكتاب والسنة النبوية إنما هو =

الملائكة تصلّي على من يصلي على النبي ﷺ : عن أنس رضي الله

عنه قال قال رسول الله ﷺ : « أكثرُوا الصلاة عليَّ يوم الجمعة ،
فانه أتاني جبريل آنفًا عن ربه عزَّ وجلَّ فقال : ما على الأرض من
مسلم يصلّي عليك مرةً واحدةً إلا صليتُ أنا وملائكتي عليه
عشرًا » (١) .

وعن عامر بن ربيعة عن أبيه رضي الله عنه قال سمعت رسول الله

= في العلماء العاملين بعلمهم ، الذين نفهم الله تعالى بعلمهم ونفع بهم ، وذلك
هو العلم النافع المقصود في الشرع عند الاطلاق ، وهو الذي دعا به
رسول الله ﷺ فقال : « اللهم انفعني بما علمتني ، وعلمي ما ينفعني ،
وزدني علمًا .. » الحديث كما في سنن الترمذي .

وأما العلم الذي لا ينفع فقد استعاذ منه النبي ﷺ فقال : « اللهم إني
أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن
دعوة لا يُستجاب لها » . ورُوي عنه ﷺ أنه قال : « أشدُّ الناس
عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه » رواه الطبراني والبيهقي كما في الترغيب .
وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول : إنما أخشى من ربي يوم القيامة
أن يدعوني على رؤوس الخلائق فيقول لي : يا عويمر ! فأقول لبَّيك ربِّ .
فيقول : ما عملت فيما علمت ؟ . اللهم انفعنا بالعلماء العاملين ، وألحقنا بهم
يارب العالمين .

(١) قال الحافظ المنذري : رواه الطبراني عن عن أبي ظلال، عنه ، وأبو ظلال
وثيق ، ولا يضرب في المتابعات اهـ .

ﷺ يخطب ويقول : « من صلى علي صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ماصلي علي ، فليقل عبد من ذلك أو ليكثر » (١) .
لله تعالى ملك يبلغ النبي ﷺ صلاة المصلي عليه باسمه واسم أبيه :

روى البزار عن عمار بن ياسر رضي الله عنها قال : قال رسول الله ﷺ :
(إن الله تعالى وكل بقبري ملكاً أعطاه أسماء الخلائق فلا يصلي علي أحد إلى يوم القيامة إلا أبلغني باسمه واسم أبيه : هذا فلان ابن فلان قد صلى عليك) قال الحافظ المنذري رواه أبو الشيخ وابن حبان ولفظه : قال رسول الله ﷺ : (إن لله ملكاً أعطاه الله تعالى أسماء الخلائق فهو قائم علي قبري إذا مت فليس أحد يصلي علي إلا قال : يا محمد صلى عليك فلان ابن فلان فيصلي الرب تبارك وتعالى علي ذلك الرجل بكل واحدة عشر) .

ورواه الطبراني في الكبير بنحو هذه الرواية ، ورواية ثانية بلفظ :
قال رسول الله ﷺ : (إن لله ملكاً أعطاه تعالى سمع العباد فليس من أحد يصلي علي إلا أبلغنيها ، وإني سألت ربي أن لا يصلي علي عبد صلاة إلا صلى عليه عشر أمثالها) . ويكفي هذا العبد المسلم شرفاً وفضلاً إذا صلى

(١) رواه أحمد وأبو بكر بن أبي شيبة وابن ماجه ، كما في الترغيب .

على النبي ﷺ أن يذكر اسمه بين يدي رسول الله ﷺ ويفرح بذلك سيدنا رسول الله ﷺ ، ويرحم الله القائل :

وَمَنْ خَطَرَتْ مِنْهُ بِأَلِكْ خَطَرَةٌ حَقِيقٌ بِأَنْ يَسْمُو وَأَنْ يَتَقَدِّمَ
وَيَشْهَدَ لَذَلِكَ الْحَدِيثُ أَيْضاً مَارَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
عَشْرًا مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بِهَا حَتَّى يُبَلِّغَنِيهَا) .

وهذا الملك الكريم من جملة الملائكة الذين يصلُّون على من يُصلي على النبي
ﷺ كما جاء في رواية الطبراني عن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه قال :
دخلت على رسول الله ﷺ وأساور وجهه ﷺ تبرُّق ، فقلت : يا رسول
الله ما رأيك أطيب نفساً ولا أظهر بشراً من يومك هذا ؟ ، فقال : (
ومالي لا تطيب نفسي ويظهر بشري وإنما فارقتي جبريل عليه السلام الساعة
فقال لي : يا محمد : من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له بها عشر
حسنات ، ومحا عنه عشر سيئات ، ورفع به عشر درجات ، وقال له الملك
مثل ما قال لك ، قلت : يا جبريل وما ذاك الملك ؟ قال : إن الله عز وجل
وكَّل ملكاً من لدن خلقك إلى أن يبعثك لا يُصلي عليك أحد من أمتك
إلا قال : وأنت صلى الله عليك) (١) .

الملائكة عليهم السلام يحفون بالقبر الشريف ويصلون على النبي ﷺ :

قال الامام الدارمي في سننه : باب ما أكرم الله تعالى به نبيه ﷺ بعد موته
ثم روى بإسناده عن ابن وهب أن كعباً دخل على عائشة رضي الله عنها
فذكروا رسول الله ﷺ فقال كعب : (ما من يوم يطلع إلا نزل سبعون
ألفاً من الملائكة حتي يحفوا بقبر النبي ﷺ يضربون بأجنحتهم - أي
يبسطون أجنحتهم ويتمسحون - ويصلون على رسول الله ﷺ ، حتي إذا
أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك ، حتي إذا انشقت عنه
الأرض - أي : يوم الحشر - خرج ﷺ في سبعين ألفاً من الملائكة يزفونه
وفي لفظ : (يُوقَرُونَهُ) ﷺ (١) .

(١) ورواه القاضي إسماعيل في فضل الصلاة على النبي ﷺ ، وقد ذكره ابن القيم في
جلاء الأفهام عن القاضي إسماعيل بإسناده مع الاقرار والتسليم دون أن يتعقبه بتضعيف
وذلك لأن رجال إسناده كلهم ثقات ، وقال الحافظ السخاوي : رواه إسماعيل القاضي
وابن بشكوآل والبيهقي في الشعب والدارمي ، ورواه ابن المبارك في الرقائق له . اهـ .
قلت : وكفاك بهؤلاء الرواة دليلاً على قوة هذا الحديث .

الملائكة تصلي على الصف الأول في الصلاة، وعلى من يصل الصفوف:

عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ» (١). وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصَلُّونَ عَلَى الَّذِينَ يَصَلُّونَ الصَّفُوفَ، وَمَنْ سَدَّ فَرْجَةً رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً» (٢).

الملائكة تصلي على من جلس في مصلاه بعد الصلاة: عن علي

ابن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا جَلَسَ فِي مَصَلَّاهُ بَعْدَ الصَّلَاةِ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ، وَصَلَّاتُهُمْ عَلَيْهِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَإِنْ جَلَسَ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ صَلَّتْ عَلَيْهِ، وَصَلَّاتُهُمْ عَلَيْهِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ». رواه أحمد، كما في الترغيب.

(١) رواه أحمد وأبو داود.

(٢) رواه أحمد وابن ماجه.

الملائكة عليهم السلام يدعون للمنفقين بأن يخلف الله عليهم :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ومكان ينزلان ، فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً) متفق عليه .

ورواه ابن حبان في صحيحه ولفظه :

(إن ملكاً بباب من أبواب الجنة يقول : مَنْ يُقْرَضُ اليومُ يُجْزَ غَدًا)
وملك بباب آخر يقول : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، وأعط ممسكاً تلفاً) .

وروى الامام أحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ما طَلَعَت شمس قط إلا بُعِثَ بِجَنَّتَيْهَا ملكان إِنْهُمَا يُسَمَّعَانِ أَهْلَ الْأَرْضِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ - يعني الانس والجن - يَأْتِيَهُمَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ ، فَانْ مَاقِلْ وَكُنْ خَيْرَ مَا كَثُرَ وَأَلْهَى .

ولا غربت شمس قط إلا وَبُعِثَ بِجَنَّتَيْهَا ملكان يناديان : اللهم عَجِّلْ لِمَنْفِقٍ خَلَفًا ، وَعَجِّلْ لِمَسِيكِ تَلَفًا)^(١)

(١) انظر ترغيب المنذري : ٤ / ١١٨ .

الملائكة يصلُّون على من مشى في حاجة أخيه : رُوي عن ابن

عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « من مشى في حاجة أخيه حتى يثبتها له أظله الله عز وجل بخمسة وسبعين ألف ملك يصلُّون عليه ، ويدعون له ، إن كان صباحاً حتى يمسي ، وإن كان مساءً حتى يصبح ، ولا يرفع قدماً إلا حطَّ الله عنه بها خطيئة ورفع له بها درجة » (١) .

صلاة الملائكة على المتسحرين : عن ابن عمر رضي الله عنهما أن

رسول الله ﷺ قال : « إن الله وملائكته يصلُّون على المتسحرين » (٢) أي الذين يتسحرون للصوم .

الملائكة عليهم السلام يصلُّون على معلِّم الناس الخير : عن أبي

أمامة رضي الله عنه أنه قال : ذُكر لرسول الله ﷺ رجلان : أحدهما عابد ، والآخر عالم ، فقال رسول الله ﷺ : « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ، ثم قال رسول الله ﷺ : إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت ، ليصلُّون

(١) قال المنذري : رواه أبو الشيخ وابن حبان وغيره .

(٢) رواه ابن حبان وغيره .

على معلم الناس الخير « (١) .

الملائكة تصلي على من يعود المريض : عن علي رضي الله عنه قال

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من مسلم يعود مسلماً غُدُوَّةً
إِلَّا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي ، وإن عاده عشيةً إِلَّا صلى
عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح ، وكان له خريف في الجنة » .
رواه الترمذي وقال : حديث حسن غريب ، وقد روي عن علي رضي الله
عنه موقوفاً اه . قال المنذري : ورواه ابن حبان في صحيحه صرفوعاً
ولفظه : « ما من مسلم يعود مسلماً إِلَّا يبعث الله إليه سبعين ألف
ملك يصلون عليه ، في أيّ ساعات النهار حتى يمسي ، وفي أيّ ساعات
الليل حتى يصبح » رواه الحاكم وصححه على شرطهما اه .

الملائكة تصلي على من ختم القرآن الكريم : عن عمرو بن شعيب

عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا ختم العبد القرآن
صلى عليه عند ختمه ستون ألف ملك » (٢) .

(١) قال الحافظ المنذري : رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ورواه
البزار من حديث عائشة رضي الله عنها مختصراً اه .

(٢) عزاه في الجامع الصغير إلى الديلمي في الفردوس ورمز إلى ضعفه . ولكنه
يتقوى بالشاهد الوارد عن سعد فانه رواه الدارمي بإسناد حسن ، ورواه
أيضاً صاحب الحلية عن سعد .

وعن سعد رضي الله عنه أنه قال : إذا وافق ختم القرآن أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح ، وإن وافق ختمه أول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي .

الملائكة تصلي على مطعم الطعام : روي عن عائشة رضي الله عنها

قالت قال رسول الله ﷺ : « الملائكة تصلي على أحدكم ما دامت مأثدة موضوعة » (١) .

الدعاء لمطعم الطعام بصلاة الملائكة عليه : روي أبو داود وغيره

عن أنس أن النبي ﷺ جاء إلى سعد بن عباد ، فجاء بمخبز وزيت ، فأكل ثم قال النبي ﷺ : « أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصَلَّتْ عليكم الملائكة » .

الملائكة تدنو ممن رقت قلوبهم بالوعظ والتذكير : روي مسلم

عن حنظلة الأسدي قال : لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قال حنظلة : قلتُ نافق حنظلة . فقال - أبو بكر - : سبحان الله ماتقول ؟ قال - حنظلة - : نكون عند رسول الله ﷺ يذكّرنا بالنار والجنة ، حتى كأننا رأيُ عين ، فإذا خرجنا من عند

(١) قال المنذرى : رواه الاصبهاني . والمأثدة هي مايوضع عليها الطعام .

رسول الله ﷺ عافسنا - أي خالطنا - الأزواج والأولاد والضييعات^(١) ففسينا كثيراً . قال أبو بكر : فوالله إنا لنلقى مثل هذا . فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ ، قلت : نافق حنظلة يارسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : « وما ذاك ؟ » قلت : يارسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأننا رأي عين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضييعات ونسينا كثيراً ! فقال ﷺ : « والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر ، لصافحتكم الملائكة على فرشكم ، وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة - ثلاث مرات - » .

وقد ورد ذلك عن كثير من الصحابة ، ففي الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلنا : يارسول الله مالنا إذا كنا عندك رققت قلوبنا وزهدنا في الدنيا وكنا من أهل الآخرة ، فإذا خرجنا من عندك فآنسنا أهالينا وشمنا أولادنا أنكرنا أنفسنا ؟! فقال رسول الله ﷺ : « لو أنكم تكونون إذا خرجتم من عندي كنتم على حالكم ذلك^(٢) لزارتكم الملائكة في بيوتكم .. » الحديث ، ولفظ

(١) من المزارع والصناعات والحرف .

(٢) أي على رقة قلوبكم عند التذكير والوعظ ، كما في رواية أخرى لمسلم : =

المسند : « لصافحتكم الملائكة بأكفهم ، ولزارتكم في بيوتكم » وفي رواية له : « ولأظلتكم بأجنحتها » ورواه أبو يعلى والبزار برجال ثقات في حديث أنس بلفظ : « لو أنكم إذا خرجتم من عندي تكونون على الحال التي تكونون عليها لصافحتكم الملائكة بطرق المدينة »^(١).

وفي هذا دليل قاطع على قوة التأثير بالوعظ والتذكير في ترفيق القلوب وتطيب النفوس ، وتحويلها من حال الغفلات إلى حال المشاهدات ، ومن حال الدنيا والانهماك فيها إلى حال الآخرة والرغبة فيها ، فالوعظ والتذكير بالكلام الإلهي والحديث النبوي له روح فعالة تسري في القلوب ، ومن ثم كانت مواعظ النبي ﷺ تؤثر في نفوس الصحابة وترقق قلوبهم فيرتقي بهم الحال إلى ذروة الكمال ، كما قال أسيد بن حضير : لو أني أكون على أحوال ثلاثة من أحوالي لكنت من أهل الجنة : حين أقرأ القرآن وحين أسمعُه يُقرأ ، وإذا سمعتُ خطبة رسول الله ﷺ ، وإذا شهدت جنازة . وقال العرياض بن سارية :

= فقال ﷺ : لو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر - أي التذكير بالنار والجنة ، كما دلَّ عليه صدر الحديث ، وفي هذا إشارة إلى أن الدوام على تلك الحال عزيز ، وأن مفارقتها لا توجب معية ؛ لما طبع عليه البشر .

(١) انظر موارد الظمان ، وشرح المواهب للزرقاني ، وجمع الزوائد (٣١٠/١٠) وقال رجاله رجال الصحيح .

وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها
العيون ، ولذلك قال ابن مسعود : ما كنت أظنّ أحداً من الصحابة
يريد الدنيا - أي من رقة قلوبهم ، ودقة صفائهم ، وطيب نفوسهم -
حتى نزل : ﴿ منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة ﴾ .

ولما شعر الصحابة رضي الله عنهم بافتراق الحاليين معهم : حالهم
عند رسول الله ﷺ ، وفي مجالس وعظه وتذكيره ، وحالهم مع أهلهم
وأولادهم وحرّفهم - خافوا النفاق على أنفسهم ، لأنّ تغير حال الخلوة
عن الخلوة من أمارات المنافقين ، فأمنّهم رسول الله ﷺ مما خافوه ،
ويشّ لهم أن ذلك ليس مسبباً عن النفاق ، كما جاء موضحاً في رواية
البخاري عن أنس قال : قالوا يا رسول الله إنا نكون عندك على حال ،
فاذا فارقناك كنا على غيره ، فقال ﷺ : « كيف أنتم وربكم ؟ » قالوا :
الله ربنا في السرّ والعلاية ، فقال ﷺ : « ليس ذلكم النفاق » (١) .

(١) انظر تفسير ابن كثير لسورة الملك . وقوله ﷺ : « كيف أنتم وربكم ؟ »
أي كيف أنتم مع الله تعالى حين تفارقون مجلسي ؟ فهل تحفظونه بالغيب أم
تنسونه ؟ قال تعالى : ﴿ هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ ، من خشي
الرحمن بالغيب ﴾ الآية . وقال ﷺ : « احفظ الله يحفظك » وهل أنتم
تراقبونه في أموركم أم تغفلون عنه ؟ فقالوا : الله ربنا في السرّ والعلاية .

دنو الملائكة من أماكن القرآن وحضورهم فيها : تقدم حديث

أسيد بن حضير : بينما هو يقرأ سورة البقرة ذات ليلة فالتفت فإذا أمثال المصاييح مدلاة بين السماء والأرض ثم ذكر ذلك للنبي ﷺ فقال له ﷺ : « تلك الملائكة نزلت لقراءة القرآن - وفي رواية : تلك الملائكة تستمع لك ، وفي رواية : تلك الملائكة تنزلت لقراءة سورة البقرة » .

وعن أنس رضي الله عنه مرفوعاً : « البيت إذا قرئ فيه القرآن حضرته الملائكة، وتنكبت عنه الشياطين - أي تباعدت عنه - واتسع على أهله ، وكثر خيره وقل شره ، وإن البيت إذا لم يقرأ فيه القرآن حضرته الشياطين ، وتنكبت - أي تباعدت - عنه الملائكة، وضاق على أهله ، وقل خيره ، وكثر شره » (١) .

دنو الملائكة من أهل ذكر الله تعالى ، والمذكرين بالله تعالى ،

ومشاركتهم للذاكرين في ذكرهم : روى مسلم وغيره عن أبي هريرة وأبي سعيد أنها شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال : « لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفَّتْهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم

(١) رواه محمد بن نصر المروزي بإسناده ثم قال : وفي الباب عن أبي هريرة موقوفاً ، وعن ابن سيرين اه . وقد روى الدارمي أثر أبي هريرة أيضاً .

السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مرَّ النبي ﷺ بعبد الله بن رواحة وهو يذكر أكثر أصحابه فقال رسول الله ﷺ : « أما إنكم الملائكة الذين أمرني الله أن أصبر نفسي معكم ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ﴾ الآية . أما إنه ما جلس عدتكم إلا جلس معهم عدتهم من الملائكة ، إن سبَّحوا الله تعالى سبَّحوه ، وإن حمدوا الله حمدوه ، وإن كبروا الله كبروه ، ثم يصعدون إلى الرب جل ثناؤه - وهو أعلم بهم - فيقولون : ياربنا عبادك سبَّحوك فسبَّحنا ، وحمدوك فحمدنا ، وكبروك فكبرنا ، فيقول ربنا جلَّ جلاله : يا ملائكتي أشهدكم أنني قد غفرتُ لهم ، فيقولون : فيهم فلان الخطاء ، فيقول : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » (١) .

(١) أورده الحافظ المنذري في الترغيب وقال : رواه الطبراني في الصغير اه . وتقدمت الأحاديث الدالة على أن لله ملائكة سيارة يلتصقون أهل الذكر ، وهذه الروايات مجملتها تدل على دنوِّ الملائكة وحفيقتهم بالذاكرين الله تعالى واشتراكهم معهم بذكرهم وحفيقتهم بالمذكرين واستماعهم لتذكيرهم ووعظهم . ومن ثمَّ قال بعض المحققين من أهل العلم والمعرفة : ينبغي للمذكِّر أن يراقب الله ويستحي منه ، ويكون عالماً بما يورده ، وما ينبغي =

تأمين الملك على دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب : عن أبي الدرداء

رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكّل به : آمين ، ولك بمثله » أي بمثل ما دعوت لأخيك. رواه مسلم وغيره .

= لجلال الله تعالى ، ويجتنب الطّامات في وعظه ، فإن الملائكة يتأذّون إذا سمعوا في الحق وفي المصطفين من عباده ما لا يليق ، وهم عالمون بالقصص ، وقد أخبر ﷺ أن العبد إذا كذب الكذبة تباعد عنه الملك ثلاثين ميلاً من نثنّ ماجاء به فتمقته الملائكة .

فاذا علم المذكّر أن مثل هؤلاء الملائكة يحضرون مجلسه فينبغي له أن يتحرّى الصدق ، ولا يتعرض لما ذكره المؤرخون عن اليهود من زلات من أثنى الله عليهم واجتباهم ، ويجعل ذلك تفسيراً لكتاب الله تعالى ويقول قال المفسرون ، وما ينبغي أن يقدم على تفسير كلام الله بمثل هذه الطوام ، كقصة يوسف وداود وأمثالهم عليهم السلام بتأويلات فاسدة وأسانيد واهية عن قوم - أي اليهود - قالوا في الله ما قد ذكره الله عنهم .

فاذا أورد المذكّر مثل هذا في مجلسه مقته الملائكة ونفروا عنه ومقته الله تعالى ، ووجد الذي في دينه رقة رخصة يلجأ إليها في معصيته ، ويقول إذا كانت الأنبياء وقعت في مثل هذا فمن أكون أنا ؟ وحاشا والله - الانبياء مما نسب إليهم اليهود انهم الله ، فينبغي للمذكّر أن يحترم جلساءه - الملائكة - ولا يتعدى ذكر تعظيم الله بما ينبغي لجلاله ، ويرغب في الجنة ويحذر من النار ، وأحوال الموقف والوقوف بين يدي الله تعالى . أقول : ذكر المحققون في شرح كلام الله فيما ورد من ذكر الأنبياء عليهم السلام من التنزيه في حقهم - ماهو شرح على الحقيقة لكلام الله تعالى. اهـ

اقتداء الملائكة بمن أذّن وأقام الصلاة في الفلاة : عن سلمان

الفارسي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إذا كان الرجل بأرض قيّ - هي الأرض القفر - فحانت الصلاة فَيَتَوَضَّأُ ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ مَاءً فَلْيَتِيمَّمْ ، فَإِنْ أَقَامَ صَلَّى مَعَهُ مَلَكَاهُ ، وَإِنْ أذَّنَ وَأَقَامَ صَلَّى خَلْفَهُ مِنْ جُنُودِ اللَّهِ مَا لَا يُرَى طَرَفَاهُ » (١)

ولاء الملائكة وبشارتهم للذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا : قال الله

تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ . نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ، وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ مُنْزَلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ۝ »

روى النسائي وأبو يعلى عن أنس رضي الله عنه قال : قرأ علينا

رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ فقال : « قد قالها ناس ثم كفر أكثرهم ، فمن قالها حتى يموت فقد استقام عليها » (٢) .

(١) قال المنذري : رواه عبد الرزاق في كتابه عن ابن التميمي عن أبيه ، عن

أبي عثمان النهدي ، عنه .

(٢) والمعنى أن من قالها ووقفها حقوقها وواجباتها ومات على ذلك فهو من =

فهو سبحانه يخبر عن أهل الإيمان والاستقامة أنهم تنزل عليهم الملائكة حين ينتقلون إلى عالم البرزخ بعد الموت ، فيقولون لهم : لا تخافوا مما سيأتي عليكم في العوالم ، ولا تحزنوا على ما مضى منكم في الدنيا ، فأنتم في أمان الله تعالى ، فبعدما يؤمنونهم يبشرونهم بالجنة التي كانوا يوعدون بها في الدنيا على لسان الرسول ﷺ ، ويقولون لهم للتطمين والتودد والإيناس : نحن أولياؤكم أي أحبابكم وأنصاركم ونصحاؤكم في الحياة الدنيا ، فنحن الذين كنا نصركم على عدوكم الشيطاني فندلكم على الخير ، ونعلم بكم فقلهمكم الخير حين كان الشيطان يزين

= أهل الاستقامة ، كما ورد عن الصديق رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية، ثم قال : هم الذين لم يشركوا بالله شيئا . وتلاها عمر الفاروق رضي الله عنه على المنبر ثم قال : استقاموا والله لله بطاعته ، ولم يروغوا روغان الثعالب . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : استقاموا على أداء فرائضه .

نعم ، ليس اختلاف هذه الأقوال اختلاف تضاد وإنما هو اختلاف تنوع ، فإن الاستقامة تشمل تلك الأقوال كلها كما ورد عنه ﷺ : « استقيموا ولن تحصوا » أي لن تحصوا مراتب الاستقامة وفضائلها ، إذ الاستقامة هي إقامة النفس بقلبها وقلبها ، وظاهرها وباطنها ، وحواسها وجوارحها ، على الصراط المستقيم الذي دعا إليه النبي ﷺ . قال تعالى : ﴿ قل تعالوا أتتل ما حرم ربكم عليكم .. ثم قال : وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل .. ﴾ الآية .

لكم الشر ، ونحن الذين كنا نصركم على عدوكم الإنسانى الكافر حين كنتم تقاتلونه . قال تعالى : ﴿ إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا .. ﴾ الآية ، ونحن أحببكم الذين كنا نحضر معكم في مجالس عباداتكم وصلواتكم وأذكاركم .

وأما ولائهم في الآخرة المشار إليه بقوله تعالى ﴿ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ فهو إيناسهم وملاطفهم إياهم وحفاوتهم بهم لئلا تعزيهم وحشة لا في قبرهم ولا في حشرهم ولا نشرهم ، ومصاحبتهم لهم في سيرهم على الصراط ، فهم معهم دائماً محبون ومبشرون مخلصون صادقون ، وما أشد حاجة الإنسان إلى الصديق وقت الضيق !

ومن ولائهم في الآخرة أنهم يشهدون للمؤمنين عند ربهم بطاعاتهم وعباداتهم وأذكارهم ، باعتبار أنهم كانوا يشاهدونها منهم في الدنيا ويشهدونها معهم ، فهم يشهدون لهم قال الله تعالى : ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ ومن الأشهاد ملائكة الله تعالى ، كما ورد عن السلف رضي الله عنهم .

ومن ولائهم في الآخرة شفاعاتهم للمؤمنين ، قال تعالى : ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى .. ﴾ الآية .

بشارة الملائكة لمن زار أخاه حباً في الله تعالى : روى مسلم عن

أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : إن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى ، فأرسل الله على مدرجته - أي طريقه - ملكاً ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاً لي في هذه القرية ، فقال : هل لك عليه من نعمة تربتها - أي تقوم بها وتسعى في صلاحها - فقال : لا ، غير أنني أحبه في الله . قال - الملك - : فأني رسول الله إليك ، إن الله قد أحبك كما أحبته فيه .

صعود الملائكة بالكلم الطيب والعمل الصالح إلى ربّ العزة :

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : إذا حدثناكم بحديث آتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله تعالى : إن العبد إذا قال : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله : قبض عليهن ملك ، فضمهنّ تحت جناحه ، وصعد بهنّ ، لا يمرّ بهنّ على جمعٍ من الملائكة إلا استغفروا لقائلهنّ ، حتى يُحيى بهن وجه الرحمن . ثم تلا قوله تعالى : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (١) .

(١) رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد . وقال المنذري : كذا في نسختي يُحيى بالحاء المهملة ، وتشديد المثناة تحت . ورواه الطبراني فقال : حتى يحيى بالجم . ولعله الصواب اه . وانظر في مقدمتنا على كتاب الصلاة فإن رفع الأقوال والأعمال مفصل هناك .

الملائكة عليهم السلام يدعون للمنفقين بأن يخلف الله عليهم :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (مامن يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان ، فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً) متفق عليه .

ورواه ابن حبان في صحيحه ولفظه :

(إن ملكاً بباب من أبواب الجنة يقول : مَنْ يُقْرَضُ اليومُ يُجْزَ غَدَاءً ، وملك بباب آخر يقول : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، وأعط ممسكاً تلفاً) .

وروى الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ما طلعت شمس قط إلا وبُعِثَ بِجَنْبَيْهَا ملكان إِنْهُمَا يُسَمِّعَانِ أَهْلَ الْأَرْضِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ - يعني الإنس والجن - يَأَيُّهَا النَّاسُ هَامُوا إِلَى رَبِّكُمْ ، فَإِنْ مَاقِلٌ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى .

ولا غربت شمس قط إلا وبُعِثَ بِجَنْبَيْهَا ملكان يناديان : اللهم عجل لمنفق خلفاً ، وعجل لممسك تلفاً)^(١)

(١) انظر ترغيب المفري

ما تتأذى منه الملائكة : عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله

ﷺ : « من أكل البصل والثوم والكُرَّاث ، فلا يقربنَّ مسجدنا ، فان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم » رواه مسلم . وفي رواية : هي رسول الله ﷺ عن أكل البصل والكُرَّاث ، فغلبتنا الحاجة فأكلنا منها ، فقال ﷺ : « من أكل من هذه الشجرة الخبيثة . فلا يقربنَّ مسجدنا ، فان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الناس » .

ما تنفر منه ملائكة الرحمة وتبعد عنه : جاء في الصحيحين عن

عائشة رضي الله عنها أنها اشترتُ «نمرقة»^(١) فيها تصاوير ، فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخل ، قالت عائشة : فعرفتُ في وجهه الكراهية ، فقلتُ : يا رسول الله أتوب إلى الله وإلى رسوله ! ماذا أذنبتُ ؟ فقال رسول الله ﷺ : « ما بال هذه النمرقة » ؟ فقلتُ : اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدَّها ، فقال رسول الله ﷺ : « إن أصحاب هذه الصُّور يعذبون يوم القيامة ، فيقال لهم : أحيوا ما خلقتم . وقال : إن البيت الذي فيه الصُّور لا تدخله الملائكة »^(٢) .

(١) قال المنذري : النمرقة هي بضم النون والراء أيضا ، وقد تفتح الراء وبكسرهما هي الخدَّة . اهـ .

(٢) قال في فيض القدير : أي إن ملائكة الرحمة والبركة ، أو الطائفين على =

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه تماثيل أو صورة». وروى ابن ماجه عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة».

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه جرس، ولا تصحب الملائكة رفقةً فيها جرس». وعن علي كرم الله تعالى وجهه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة، ولا جنب، ولا كلب». رواها أبو داود والنسائي وغيرهما.

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا تقربهم الملائكة: جيفة الكافر، والمتضمخ بالخلوق^(١)، والجنب إلا أن يتوضأ». قال الحافظ المنذري: رواه أبو داود عن الحسن بن أبي الحسن عن عمار ولم يسمع منه، ورواه هو وغيره عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر عن عمار قال: قدمت على أهلي ليلاً

= العباد للزيارة واستماع الذكر ونحوهم - أي من بقية الملائكة الذين يحضرون مجالس العبادات والصلوات كما تقدم - لا الكتابة، فانهم لا يفارقون المكلف، وكذا ملائكة الموت. اهـ.

(١) أي المدّهن المتلطخ.

وقد تشققتُ يداي ، فخلّقتُني بزعفران ، فغدوتُ على رسول الله ﷺ فسلمتُ عليه فلم يردَّ عليَّ السلام ولم يرحِّبْ بي ، وقال : « اذهب فاغسل عنك هذا » فغسلته ، ثم جئتُ فسلمتُ عليه فردَّ عليَّ ورحِّبْ بي ، وقال : « إن الملائكة لا تحضر جنازة الكافر بخير ، ولا المتضمِّخ بزعفران ، ولا الجنب » قال : ورخص للجنب إذا نام أو أكل أو شرب أن يتوضأ .^(١)

وروى البزار بأسناد صحيح عن ابن عباس قال : ثلاثة لا تقربهم الملائكة : الجنب والسكران والمتضمخ بالخلوق - أي الذي له لون - . وعن بريدة مرفوعاً : « ثلاثة لا تقربهم الملائكة : السكران ، والمتضمخ بالزعفران ، والحائض والجنب »^(٢) .

وعن ابن أبي أوفى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن الملائكة

(١) ثم قال الحافظ المنذري : المراد بالملائكة هنا هم الذين ينزلون بالرحمة والبركة دون الحفظة ، فانهم لا يفارقونه - أي الانسان - على كل حال من الأحوال . ثم قيل هذا في حق كل من أخر الغسل لغير عذر ، ولعذر - لكن - إذا أمكنه الوضوء فلم يتوضأ ، وقيل : هو الذي يؤخر الغسل تهاوناً وكسلاً ويتخذ ذلك عادة . والله أعلم اه .

(٢) كذا في الفتح الكبير والجامع الصغير مشيراً له بالصحة . قال الشارح المناوي رحمه الله تعالى : ومثل الجنب والحائض : النفساء ، ويظهر أن المراد بالحائض والنفساء من انقطع دمه منها وأمكنه ذلك ، لتفريطه بإهماله .

لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم»^(١) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « إذا كذب العبد تباعد عنه الملك ميلاً من نشن ما جاء به »^(٢) .

فيمن تلعه الملائكة : روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه

قال قال رسول الله ﷺ : « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح » . وفي رواية لهما : « إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح » .

ومن ذلك : ما رواه الطبراني عن ابن عمر قال سمعت رسول الله

ﷺ يقول : « إن المرأة إذا خرجت من بيتها وزوجها كارهٌ ، لعنها كل ملك في السماء وكل شيءٍ مرَّت عليه ، غير الجن والإنس ، حتى ترجع » .

ومن ذلك ترويع المسلم : فقد روى مسلم عن أبي هريرة

رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من أشار إلى أخيه بحديدة ، فإن الملائكة تلعه - وفي رواية : حتى ينتهي - وإن كان أخاه لأبيه

(١) رواه الطبراني كما في الترغيب وغيره .

(٢) قال المنذري : رواه الترمذي وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت ، وقال الترمذي : حديث حسن .

وأمه « (١) .

حماية الملك لمن حمى مؤمناً من منافق : عن سهل بن معاذ بن

أنس الجهني عن أبيه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من حمى مؤمناً من منافق^(٢) - أراه قال : بعث الله ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم ، ومن رمى مسلماً يريد به شينته - أي نقصه وفضيخته - حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال » . رواه أبو داود وابن أبي الدنيا .

الحكمة بيد الملك : عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله

ﷺ قال : « ما من آدمي إلا في رأسه حكمة بيد ملك ، فإذا تواضع الآدمي^٣ - قيل للملك : ارفع حكمته ، وإذا تكبر قيل

(١) رواه الترمذي أيضاً ، والمراد بالحديدة ما يشمل السلاح ونحوه من سكين وسيف ونحوها ، ومعنى : « وإن كان أخاه » أي وإن كان المشير أخاً للمشار إليه ، ويصح عكسه ، لأن ترويع المسلم أو تخويفه حرام ، وإن كان هازلاً ولم يقصد ضربه بذلك ، كما دل عليه قوله ﷺ : « وإن كان أخاه لأبيه وأمه » فإن الأخ الشقيق لا يقصد قتل شقيقه غالباً ، ولكن قد يهزل معه ، وإذا كان هذا يستحق اللعن بالإشارة فما الظن بالاصابة ؟!

(٢) يعني : أنه حمى مؤمناً من منافق يؤذيه بلسانه أو سنانه أو نحوها ، من وجوه الإيذاء .

للملك : صنع حَكَمَتَهُ « (١) .

ملائكة التوفية

قال الله تعالى : ﴿ وهو القاهر فوق عباده ، ويرسل عليكم حفظةً ، حتى إذا جاء أحدكم الموتُ توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾ .
وقال تعالى : ﴿ قل يتوفَّاكم ملك الموت الذي وُكِّلَ بكم ، ثم إلى ربكم ترجعون ﴾ .

فهو سبحانه وُكِّلَ ملائكةً للتوفية بأذنه سبحانه ، ورئيسهم هو ملك الموت عزرائيل عليه السلام . وفيهم ملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب ، فالؤمنون تتوفاهم ملائكة الرحمة ، والكفار تتوفاهم ملائكة العذاب .

قال تعالى : ﴿ ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكةُ يضربون وجوههم وأدبارهم ، وذوقوا عذابَ الحريق . ذلك بما قدمت أيديكم ، وأن الله ليس بظلامٍ للعبيد ﴾ . وقال تعالى : ﴿ ولو ترى إذ الظالمون

(١) قال المنذري : رواه الطبراني والبزار بنحوه من حديث أبي هريرة وإسنادهما حسن . ثم قال : والحكمة بفتح الحاء المهملة والكاف : هي ما تجعل في رأس الدابة كاللجام ونحوه اه أي فمن أراد أن يرفع تلك الحكمة فليتواضع .

في غمرات الموت ، والملائكة باسطوا أيديهم ، أخرجوا أنفسكم ،
اليوم تُجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق، وكنتم
عن آياته تستكبرون ❦ .

فتنزع ملائكة العذاب أرواح الكفار بعنف وشدة ، كما قال
تعالى : ❦ والنازعات غرقاً ❦ . وأما المؤمنون فإن ملائكة الرحمة
تنشط أرواحهم نشاطاً يسر وسهولة ، كما قال تعالى : ❦ والناشطات
نشاطاً ❦ . وقال تعالى ❦ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون: سلام
عليكم ، ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ❦ . فالملائكة تتلقاهم بالسلام
والترحيب والبشارة بالجنة .

روى الإمام أحمد في المسند عن البراء بن عازب قال : خرجنا
مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار ، فأنتهينا إلى القبر ،
ولما يلحد ، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنَّ على رؤوسنا
الطير ، وفي يده عود ينكت به الأرض ، فرفع رأسه ﷺ فقال :
« استعينوا بالله من عذاب القبر - مرتين أو ثلاثاً - ثم قال : إن
العبد المؤمن إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ من الآخرة ، نزل
إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس ، معهم
كفن من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة ، حتى يجلسوا منه

مدَّ البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة! أخرجي إلى مغفرةٍ من الله ورضوانٍ، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في - أي من فم - السقاء - أي بسهولة ويسر - فيأخذها - أي ملك الموت - فإذا أخذها لم يدعها - أي لم يتركها - في يده طرفة عينٍ حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الخنوط، ويخرج منها كأطيب نفحةٍ مسكٍ وجدت على وجه الأرض.

« فيصعدون بها فلا يعرفون بها على ملائكةٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة؟! فيقولون: فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينثروا به إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له فيفتح له، فيشيّعه من كل سماءٍ مقربوها، إلى السماء التي تليها، حتى يُنْتهى بها إلى السماء السابعة، فيقول الله تعالى: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارةً أخرى.

« قال: فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملائكة فيجلسانه فيقولان: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الاسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هو

رسول الله ، فيقولون : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت . فينادي منادٍ من السماء أنْ صدقَ عبدي ، فافرشوه - أي فافرشوا له - من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة . قال : فيأتيه من رَوْحها وطيبها ويُفسح له في قبره مدَّ بصره ، ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول : أبشرْ بالذي يسرُّك ، هذا يومك الذي كنتَ تُوعِد ، فيقول له : من أنت ؟ فوجهك الوجه الذي يأتي بالخير ! فيقول : أنا عمك الصالح ، فيقول - المؤمن - : ربِّ أقم الساعة ربِّ أقم الساعة ، حتى أرجع إلى أهلي ومالي - أي ما أعدَّ الله له في الجنة من المنازل والمراتب العالية التي شاهدها - .

« وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل إليه الملائكة من السماء سُود الوجوه ، معهم المسوح فجلسوا منه مدَّ البصر ، ثم يجيء ملك الموت فيجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الخبيثة ، أخرجي إلى سخطٍ من الله وغضبٍ ، فتفرق في جسده ، فينتزعها كما يُنتزع السفود^(١) الكثير الشعب ، من الصوف المبلول ، فيأخذها ، فاذا أخذها - ملك الموت - لم يدعوها - أي لم يتركوها - في يده طرفة عينٍ ، حتى يجعلوها في تلك المسوح - أي الجلود

(١) السفود : الحديدة التي يُشوى بها اللحم .

أو اللباس الغليظ الخشن - فيخرج منها كأنتن ربح جيفة وُجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرُّون بها على ملاً من الملائكة إلا قالوا : ما هي هذه الروح الخبيثة ؟! فيقولون : فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا ، حتى يُنتهى به إلى السماء الدنيا ، فيُستفتح له فلا يفتح له . ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ لا تُفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ أي ثقب الإبرة .

« فيقول الله تعالى : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرْحاً ، ثم قرأ ﴿ وَمَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ فتعاد روحه في جسده ، ويأتيه ملكان فيُجلسانه ويقولان له : مَنْ رَبُّكَ ؟ فيقول : هاه هاه ! لا أدري ، فيقولان له : مدينك ؟ فيقول : هاه هاه ! لا أدري ، فيقولان له : ماهذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول : هاه هاه ! لا أدري ، فينادي من السماء أنْ كَذَبَ عَبْدِي فَافْرَشُوهُ مِنَ النَّارِ ، وافتحوا له باباً إلى النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيَّق عليه قبره حتى تختلف - تفرَّق - فيه أضلّاعه ؛ ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح ، فيقول له : أبشر بالذي

يسوءك ، هذا يومك الذي كنت تُوعِد ، فيقول له : من أنت ؟
فوجهك الوجه يجيء بالشر ! فيقول : أنا عمك الخبيث ، فيقول :
رب لا تُقم الساعة « أي خوفاً من العذاب الذي أُعدَّ له في جهنم
وقد رآه حين فتح له بابُ إليها . قال تعالى : ﴿ النار يعرضون عليها
غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ .
وقد أورد الحافظ ابن كثير هذا الحديث في « تفسيره » معزواً
للإمام أحمد ، ثم قال : ورواه أبو داود من حديث الأعمش ، والنسائي
وابن ماجه من حديث المنهال بن عمرو ، به . اه . وللحديث شواهد
متعددة من طرقٍ عديدة (١) .

وقال تعالى ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ (٢) . وقيل من راقٍ ﴿
قال ابن عباس في معنى هذه الآية : وقيل من يرقى بروح المحتضر ،
ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب ؟ اه يعني أنه إذا احتضر الإنسان
تساءلت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب من الذي يقبض روحه
ويرقى بها ؟ فكلُّ منهم ينتظر حكم الله تعالى وأمره بذلك .
روى الشيخان - واللفظ لمسلم - عن أبي سعيد رضي الله عنه أن

(١) وقال الحافظ المنذري : هذا حديث حسن ، رواه محتج بهم في الصحيح .
وكلمة « هاه هاه » قالها هنا للتوجع والأسى .

(٢) التراقي : جمع ترقوة ، وهي قريبة من الحلقوم . والمعنى إذا بلغت الروح
التراقي وحشرت الصدر واحتدم الأمر .

نبي الله ﷺ قال : « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً ، فسأل عن أعلم أهل الأرض ؛ فدلّ على راهب^(١) فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفساً ، فهل له من توبة ؟ فقال : لا . فقتله فكمّل به مائة . ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ؛ فدلّ على رجل عالم ، فقال : إنه قتل مائة نفس ، فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة ! انطلق إلى أرض كذا وكذا فان بها أناساً يعبدون الله ، فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فانها أرض سوء^(٢) . فانطلق ، حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله ، وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً

(١) أي عابد مترهب ليس عنده كثير علم ، بدليل قوله بعده « فدلّ على عالم » .

وفي هذا إشعار بأن ذلك كان بعد رفع عيسى عليه السلام لأن الرهبانية حدثت بعده . قال في الفتح : وفيه فضل العالم على العابد ، لأن الذي أفناه أولاً بأن لا توبة له ، غلبت عليه العبادة فاستعظم وقوع ما وقع من ذلك ، من استجرائه على قتل هذا العدد الكثير ، وأما الثاني فغلب عليه العلم ، فأفناه بالصواب ، ودلّاه على طريق النجاة . اهـ

(٢) وفي هذا دليل أن من أراد التوبة والاصلاح فعليه أن يترك صحبة الأشرار ومجالستهم ، وأن يصحب الأخيار ويكون معهم ، لأن الصاحب صاحب ، والمجالسة تقتضي المجانسة . قال تعالى ﴿ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ .

قط . فأتاهم ملك في صورة آدمي ، فجعلوه بينهم - أي جعلوه حكماً بينهم وقد أرسله الله تعالى ليحكم بينهم بحكم الله تعالى - فقال : قيسوا ما بين الأرضين - أي التي خرج منها والتي قصدتها - فأبى أيتها كان أدنى - أي أقرب - فهو له ، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد ، فقبضته ملائكة الرحمة . - وفي رواية لمسلم : فلما كان في بعض الطريق أدركه الموت فنأى بصدرة - أي نهض ومال بصدرة نحو القرية الصالحة - ثم مات ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فكان إلى القرية الصالحة أقرب منها بشبر ، فجعل من أهلها .

تأمين الملائكة على دعاء الحاضرين عند المريض والمحتضر : روى

مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : « إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً ، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون » . وروى مسلم وأصحاب السنن عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة - زوجها حين احتضر - وقد شقَّ بصره ، فأغمضه ، ثم قال ﷺ : « إن الروح إذا قبض تبعه البصر » فضجَّ ناس من أهله ، فقال ﷺ : « لاتدعوا على أنفسكم إلا بخير ، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون ، ثم قال :

اللهم اغفر لأبي سلامة ، وارفع درجته في المهديتين ، واخلفه في عقبه من الغابرين ^(١) ، واغفر لنا وله يا رب العالمين ، وافسح له في قبره ، ونور له فيه .

سرُّكة السؤال في القبر

قال الله تعالى : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ويضلُّ الله الظالمين ، ويفعل الله ما يشاء ﴾ .

يخبر سبحانه بأنه هو الذي يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت الذي ثبت عندهم وتمكَّن في قلوبهم ، وهو الكلمة الطيبة التي ذكرت صفاتها الكريمة في الآية السابقة على هذه الآية : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة ﴾ وهي لا إله إلا الله ﴿ كشجرة طيبة ﴾ وهي النخلة ﴿ أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴾ الآية ، فهو سبحانه يثبت المؤمنين في الحياة الدنيا ، وذلك بالبقاء عليها مدة حياتهم لا ترحزهم عنها المحن ولا الفتن ، وفي الآخرة أي بعد الموت ، وذلك في القبر الذي هو أول منزل من منازل الآخرة ، وكذلك في مواقف القيامة ، فلا يزَلُّون ولا يتلعثمون إذا سُئلوا في معتقداتهم هناك ،

(١) - أي : كن خليفة له في عقبه - أولاده وذويه من بعده - في رعايتهم وحفظهم على أكمل الوجوه . اهـ مرقاة .

ولا تدهشهم الشدائد والأهوال مهما تقلبت بهم الأحوال .

روى الشيخان وغيرهما عن البراء بن عازب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « المسلم إذا سُئِلَ في القبر شهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فذلك قوله تعالى ﴿ يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يا رسول الله تُبَتَّلِي هذه الأمة في قبورها فكيف بي وأنا امرأة ضعيفة ؟ فقال ﷺ « يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة » (١)

ويتولّى السؤال في القبر ملكان من ملائكة الله تعالى ، كما روى الشيخان عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن العبد إذا وُضِعَ في قبره وتولّى عنه أصحابه ، وإنه ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا : أتاه ملكان فيُقمّدهانه ، فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ - لمحمد (٢) ﷺ - فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : انظر إلى مقعدك في النار ، قد أبدلك به

(١) قال المنذري : رواه البزار ورواته ثقات .

(٢) هذا بيان من الراوي للرجل ، أي لأجل محمد ﷺ اه مرقاة .

مقعداً من الجنة ^(١) فيراها جميعاً . وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول : لا أدري كنت أقول ما يقول الناس ^(٢) فيقال له : لا دريتَ ولا تليتَ ^(٣) ، ويُضرب بمطارق من حديد ضربةً ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين ^(٤) .

واسم الملكين منكر ونكير ، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا قُبِرَ المَيِّتُ أتاه ملاكان أسودان أزرقان ، يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير ، فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : هو عبد الله ورسوله ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول هذا ، ثم يُفْسَحُ له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ، ثم يُنَوَّرُ له

(١) والمعنى انظر إلى مقعدك من النار لو لم تكن مؤمناً ولم تحب الملكين ، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة بإيمانك ، فيراها جميعاً ، ليزداد فرحه حين يرى النعيم بعد مارأى الجحيم ، « وبضديها تميز الأشياء » .

(٢) قال ابن حجر : إن أراد بالناس المسلمين فهو كذب ، حتى في المنافق ، لأنه ليس المراد مجرد قول باللسان ، بل اعتقاد القلب ، وإن أراد من هو بصفته - أي منافق أو كافر - فهو جواب غير نافع له . اهـ .

(٣) لا دريت أي لاعلمت ما هو الحق والصواب ، ولا تليت أي ولا اتبعت الناجين اهـ مرقاة .

(٤) والمعنى أن تلك الصيحة يسمعها من يقرب منه من الدواب ومسائر المخلوقات إلا الأنس والجن .

فيه ، ثم يقال له : نَمْ . فيقول : أرجع إلى أهلي فأخبرهم ! فيقولان : نَمْ كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحبُّ أهله إليه ، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك . وإن كان منافقاً قال : سمعت الناس يقولون قولاً فقلتُ مثله ، لا أدري - أي أنه نبيٌّ أم لا - فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول ذلك ، فيقال للأرض : التّمي - أي اجتمعي وانضمّي - عليه ، فلتتّمي عليه ، فتختلف أضلاعه - أي تتفرق وتزول عن مستواها الذي كانت عليه - فلا يزال معذباً ، حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك « (١) .

فعلى العاقل أن يتهيأ لذلك الخطاب ، وأن يستعد للجواب ، فإن الموقف خطير ، وشأن السؤال كبير ، ولذلك أمر ﷺ بدعاء التثبيت للميت بعد الدفن ، كما روى أبو داود عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه - أي على القبر - فقال : « استغفروا لأخيكم ثم سلوا له بالتثبيت ، فإنه الآن يسأل » أي قولوا : اللهم ثبته بالقول الثابت ونحو ذلك .

وفي الصحيحين عن أسماء رضي الله عنها أن النبي ﷺ حمد الله عز وجل وأثنى عليه ثم قال : « ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيتُه »

(١) قال المنذري : رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب ، وابن حبان في صحيحه .

في مقامي هذا حتى الجنة والنار ، فأُوحى إليَّ أنكم تُفتنون في قبوركم مثلَ - أو قريباً - من فتنة المسيح الدجال ، يقال : ما علمك بهذا الرجل ؟ فأما المؤمن - أو الموقن - فيقول : هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى ، فأجبنا واتَّبَعْنَا ، هو محمد - ثلاثاً - فيقال له : نعم صالحاً قد علمنا إن كنتَ لموقناً به ، وأما المنافق - أو المرتاب - فيقول : لأأدري ، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته « (١) .

فعلى العاقل أن يستجيب لدعوة النبي ﷺ ، وأن يتحقق بمتابعته ليحسن جوابه إذا سئل في القبر، إذ لا يمكنه أن يقول : أجبنا واتَّبَعْنَا ، دون أن يكون قد أجاب واتبع النبي ﷺ ، وكما أن المكلف يُسأل في القبر عن موقفه مع هذا الرسول الكريم ﷺ فانه يسأل أيضاً بعد الحشر بين يدي رب العالمين ، كما في الصحيحين عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه

(١) ومن المعلوم أن هذا السؤال انما هو في عالم برزخي غيبي ، كما هو مفصّل في كتابنا « الايمان بعوالم الآخرة » وفيه بيان بعض الحكم في تغييب ذلك عن مشهد الناس ، ولكنه سبحانه قد يطالع على ذلك بعض عباده فيرون ويسمعون السؤال والجواب ، كما أوضحه العلماء والعرفاء في كتبهم ، وقد عقد الحافظ ابن رجب في كتاب « أهوال القبور » فصلاً خاصاً ذكر فيه عدةً ممن أطلعه الله تعالى على ذلك بالأصانيد الثابتة ، فارجع إليها إن شئت .

وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له ، فليقولنَّ : ألم أبعث
فيك رسولاً فيبلغك ؟ فيقول : بلى . « الحديث . أي فإذا عملت
فيما بلغك رسول الله ﷺ . اللهم وفقنا للسلوك على منهج رسول الله
ﷺ القويم وصراطه المستقيم ، بتيسيرك وعونك يارب العالمين .

مواقف الملائكة ووظائفهم المنوطة بالكون المحيطة بالإنسان

تقدم الكلام على أصناف الملائكة عليهم السلام ، وأن منهم
الموكلين بالتدبير الكونية وتنفيذ الأوامر الإلهية ، حسب إذن الله
تعالى لهم وأمره بذلك ، كما هو مقتضى مشيئته وحكمته سبحانه .

فمنهم الموكَّلون بتدبير أمور الجبال : روى الشيخان عن عائشة

رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ : هل أتى عليكم يوم كان أشدَّ
من يوم أُحُدٍ ؟ فقال ﷺ : « لقد لقيتُ من قومك مالقيت ، وكان
أشدَّ مالقيتُ منهم يوم العقبة ، إذ عرضتُ نفسي على ابن عبد ياليل
ابن عبد كلال^(١) ، فلم يجبني إلى ما أردتُ فانطلقتُ وأنا مهموم

(١) وذلك أنه لما توفي أبو طالب وتوجَّه النبي ﷺ إلى الطائف ، وعمد إلى
ثلاثة نفرٍ من أكابر ثقيف ، لأجل أن يؤووه ، فعرض عليهم نفسه ،
وشكا إليهم أذى قومه في مكة ، فردُّوا عليه ﷺ أقبح ردٍّ وقابلوه
بأشدِّ الأذى .

على وجهي ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ^(١) ، فرفعت رأسي
 فاذا أنا بسحابة قد أظلمتني ، فنظرت فيها فاذا فيها جبريل فناداني
 فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث
 الله إليك ملك الجبال ^(٢) لتأمره بما شئت فيهم . فناداني ملك الجبال فسلم
 علي ثم قال : يا محمد ذلك فيما شئت ، وفي رواية : فما شئت - إن
 شئت أطبقت عليهم الأخشين ^(٣) - وفي رواية الطبراني : فقال يا محمد
 إن الله بعثني إليك وأنا ملك الجبال لتأمرني بأمرك فيما شئت ، إن
 شئت أطبقت عليهم الأخشبين . فقال النبي ﷺ : بل أرجو أن يخرج
 الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا .

وفي هذا بيان شفقة النبي ﷺ على قومه الذين قابلوه بأنواع
 الأذى ، وفيه مزيد صبره وحلمه ﷺ .

ومنهم الملائكة الموكلون بالسحب يسوقونها حيث أمرهم الله تعالى :

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله

(١) اسم مكان ميقات أهل نجد ويقال له : قرن المنازل وهو على يوم وليلة

من مكة ، كما في الفتح .

(٢) أي الملك الموكل بالجبال .

(٣) هما جبلا مكة : أبو قيس والذي يقابله وكأنه قمععان . كما في الفتح ،

والمراد باطباقها أن يلتقيا على من بمكة فيقضي عليهم كلهم .

ﷺ : « بينا رجل في قلاة من الارض إذ سمع صوتاً في سحابة : اسق حديقة فلان ، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حَرَّةٍ ^(١) فاذا شَرَجَةٌ من الشِراج ^(٢) قد استوعبت ذلك الماء ، فتتبع - الرجل - الماء . فاذا رجل قائم في حديقة يحول الماء بمسحاته ^(٣) . فقال له : يا عبد الله ما اسمك ؟ فقال : فلان ، الاسم الذي سمع في السحابة ، فقال له : يا عبد الله لم سألتني عن اسمي ؟ فقال : سمعتُ صوتاً في السحاب الذي هذا مأؤه - يقول : اسق حديقة فلان ، لاسمك ، فما تصنع فيها - أي في الحديقة - ؟ فقال : أما إذا قلتَ هذا ، فأني أنظر إلى ما يخرج منها فأصدق بثثه ، وآكل أنا و عيالي ثلثه ، وأردُّ عليها ثلثه . »
ومنهم الملائكة الموكلون بالرياح وتصريفها وهم خزنتها القائمون عليها :

قال تعالى : ﴿ وَأما عادٌ فأهلكوا بريحٍ صرصرٍ عاتيةٍ ﴾ . قال البخاري : يقال : طَغَتْ على الخزان كما طغى الماء على قوم نوح ، وروى ابن جرير بإسناده عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال : لم تنزل قطرة من ماء إلا بكيل على يدي ملك ، فلما كان يوم نوح أذن للماء دون الخزان ، فطغى على الخزان فخرج ، فذلك قوله تعالى : ﴿ إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية ﴾ . قال : ولم يرسل شيء من

(١) هي أرض ذات حجارة سوداء .

(٢) أي مسايل الماء إلى السهل من الأرض . (٣) هي المجرفة .

الريح إلا بكيـل على يدي ملك إلا يوم عاد ، فانه أُذِن لها دون
الخزان فخرجت ، فذلك قوله تعالى : ﴿ بريح صرصر عاتية ﴾
عنت على الخزان ^(١) . اهـ .

وهناك الملائكة الموكلون بالبحار والأنهار والأشجار وغير ذلك .
قال تعالى : ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ .

عصمة الملائكة عليهم السلام من العصية والذنوب

إن مما يجب اعتقاده في الملائكة عليهم السلام أنهم معصومون
عن المعاصي والذنوب ، بعصمة الله تعالى لهم وحفظه إياهم ، فقد ثبت
بالادلة القرآنية الصريحة ما يدل على عصمتهم :

الدليل الأول - قول الله تعالى في صفة الملائكة : ﴿ وقالوا :
اتخذ الرحمن ولداً ! سبحانه بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول
وهم بأمره يعملون ﴾ . فهم من ناحية القول لا يتقدمون بقول إلا
من بعد أن يأذن الله تعالى لهم في ذلك ، فالإذن منه سبحانه هو
السابق ، وقولهم مسبوق بقوله سبحانه وإذنه ، وأما من ناحية العمل
فلا يتحركون لعمل إلا بأمره تعالى ، فهم أمريئون أي يعملون
بموجب الأمر الصادر منه سبحانه ، وغير ذلك لا يعملون ، ولذا قدّم

(١) انظر التفاسير ، ومنها تفسير ابن جرير وابن كثير .

قوله ﴿وَمِنْ أَمْرِهِ﴾ على قوله ﴿يَعْمَلُونَ﴾ ليفيد الحصر بذلك .

وحيث إن الملائكة بأمر الله تعالى يعملون ، فكيف يقع منهم بعد ذلك ذنب ؟ إذ لو وقع منهم ذنب للزم أن يكون عن أمره تعالى لهم بذلك الذنب ، وهذا باطل ، لأن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء ، قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ، أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

الثاني - قوله تعالى : ﴿لَا يَعصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ ، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ . فهم يأتون بأوامر الله تعالى ولا يعصون الله ما أمرهم كما وأن جميع تحركاتهم الفعلية هي أمرية ، أي كلُّها قيام بمقتضى أوامره تعالى ، وبها تنفيذ لأوامره تعالى ، فكيف يقومون في معصية أو ذنب ؟ .
الثالث - قوله تعالى : ﴿يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ . فلا تعريضهم فترات انقطاع عن تسبيح الله تعالى ، لا في الليل ولا في النهار ، ومن كانت هذه صفته في جميع أوقاته فكيف يصدر عنه ذنب أو تقع منه معصية ؟

الرابع - قوله تعالى : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ فهم في مقام الخشية والخافة دائماً ، كما وأنهم دأبهم الدائب يفعلون ما يؤمرون ، فأين المعاصي منهم والمخالفات ؟ .

الخامس - قوله تعالى : ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمَنْ

الناس ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ الْمَصْطَفَيْنِ لِرَسُولِ اللَّهِ تَعَالَى فِي تَنْفِيزِ أَوْامِرِهِ وَتَبْلِيغِهَا بِصِدْقٍ وَأَمَانَةٍ .

السادس - قوله تعالى في الملائكة عليهم السلام : ﴿ وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ، لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ، وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ فجميع تنزلاتهم في العوالم ، إنما هي بأمر الله تعالى لا من تلقاء أنفسهم كما وأن جميع تنزلاتهم بالحق والصدق ، قال تعالى : ﴿ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ .. ﴾ الآية . ومعنى قوله تعالى في الملائكة ﴿ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ، وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ أي له سبحانه ما قد آمننا وما خلفنا ، وما نحن فيه من الأماكن والأحايين ، فلا نملك أن نتقل من مكان إلى مكان ، ولا أن ننزل في زمان دون زمان إلا بأمر الملك سبحانه ومشيتته ، وهو الحفيظ العلام بجميع الحركات والسكنات ، وجميع أحوال الأكوان ، لا تعثره الغفلة ولا النسيان ، فأنسى لنا أن نتقلب في ملكوته إلا إذا أذن لنا فيه جل وعلا ؟!

وأما ما قد يتوهمه بعض الناس وما قد يفهمونه من بعض الآيات القرآنية مما يُخِلُّ بعصمة الملائكة الكرام عليهم السلام فهو وهم صرفوع وفهم مدفوع .

فمن تلك الآيات التي قديتوهم منها مايتوهم قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ : إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ﴾ ، قالوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال إِنِّي أَعْلِمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

فقد يتوهم منها اعتراض الملائكة على الله تعالى ، ولكن الحق ليس بذلك ، فإن قولهم ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ ليس هو سؤال اعتراض ، فانه سبحانه لا يُسأل عما يفعل ، ولكن كما قال المحققون إنه سؤال استفسار واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة ، واستخبار عما يرشدهم ، ويزيح شبهتهم ، كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره ، وليس باعترض على الله تعالى ، ولا طعنا في بني آدم على وجه الغيبة ، فانهم أعلى من أن يُظنَّ بهم ذلك ، لقوله سبحانه : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ . لَا يُسَبِّقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهٖ يَعْمَلُونَ ﴾ فانهم لم يتقدموا بهذا القول من السؤال والاستفسار إلا بعد الإذن لهم في ذلك ، لأنهم لا يسبقونه بالقول سبحانه .

هذا ، وإن الملائكة عليهم السلام كرامٌ بررةٌ أنقياء فطناء أدباء مع الحضرة الربانيَّة ، لا يتأتَّى منهم الانتقاد ولا الاعتراض على الله تعالى في مقاله المبين لمنزلة آدم ، والمعلن بفضله والمؤذن بشرفه ،

فانه سبحانه أراد أن يعلن بمنزلة آدم ويعلم الملائكة بفضله وشرفه، فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ وَهُوَ فِي اللِّغَةِ مِنْ خَلْفٍ غَيْرِهِ ۖ وَالْهَاءُ فِيهِ لِلْمَبَالِغَةِ ۖ وَجُمْهُورُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا هُوَ مُفَصَّلٌ فِي كِتَابِهِمْ، قَالَ الْعَلَامَةُ الْبَيْضاوي : وَالْمُرَادُ بِهِ آدَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، لِأَنَّهُ كَانَ خَلِيفَةَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، وَكَذَلِكَ كُلُّ نَبِيٍّ ^(١) . اسْتَخْلَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ وَسِيَاسَةِ النَّاسِ ، وَتَكْمِيلِ نَفُوسِهِمْ وَتَنْفِيزِ أَمْرِهِ فِيهِمْ لِالْحَاجَةِ بِهِ تَعَالَى إِلَى مَنْ يَنْوِبُهُ ، بَلْ لِقُصُورِ الْمُسْتَخْلَفِ عَلَيْهِ - أَيِ بَنِي آدَمَ مَا سِوَى الْأَنْبِيَاءِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُمْ قَاصِرُونَ - عَنْ قَبُولِ فَيْضِهِ تَعَالَى ، وَتَلْقَى أَمْرَهُ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَسْتَنْبِ سُبْحَانَهُ مَلَكَاً ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ۖ ﴾ . اهـ

(١) قَالَ تَعَالَى فِي دَاوُدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : ﴿ يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ، فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ .. ﴾ الْآيَةُ . وَقَالَ تَعَالَى فِي الْخَلِيلِ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا .. ﴾ الْآيَةُ . وَقَالَ تَعَالَى فِي الْخَلِيفَةِ الْأَعْظَمِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ .. ﴾ الْآيَةُ . وَمَنْ قَارَنَ بَيْنَ هَذِهِ النُّصُوصِ الْقُرْآنِيَةِ وَاعْتَبَرَ بِمَا فِيهَا وَتَبَصَّرَ بِمَعَانِيهَا أَيقِنَ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا ﷺ هُوَ إِمَامُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ حَقًّا ، كَمَا أَخْبَرَ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ كُنْتُ أَنَا إِمَامُ النَّبِيِّينَ ، وَخَطِيئِهِمْ ، وَصَاحِبُ شَفَاعَتِهِمْ ، غَيْرُ فَخْرٍ » ﷺ .

فجعل الله سبحانه الرسل رجالاً حتى تتلقى الناس عنهم دينهم وأحكام شرعهم ، ويسمعوا كلامهم وتعاليمهم ، ويرَوُّا أفعالهم ويتبعوهم في أعمالهم ومعاملاتهم وسيرهم وأخلاقهم وآدابهم ، إلى ما وراء ذلك .

﴿ قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ استفسروا عن الحكمة خلفها عليهم ، مستعلمين ومستفهمين ، ولذا جاء الجواب : ﴿ إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ . واختلف في وجه معرفتهم بأن سيقع من ذرية آدم إفساد وسفك ؟ : فقيل : إنما عرفوا ذلك بإخبار من الله تعالى لهم بذلك ، ولم يقصَّ علينا ذلك الإخبار اكتفاءً بدلالة الجواب عليه للإيجاز ، كما هو مادة القرآن الكريم . ويؤيد ذلك ما روي في بعض الآثار أنه لما قال الله تعالى ذلك قالوا : وما يكون من ذلك الخليفة ؟ قال : تكون له ذرية يفسدون في الأرض ، ويقتل بعضهم بعضاً ، فعند ذلك قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ .

وقيل : عرفوا ذلك بالتلقي من اللوح ، وقيل : عرفوا ذلك استنباطاً مما ركز في عقولهم أن العصمة من خواصهم ، وقيل : عرفوا ذلك قياساً لأحد الثقلين - وهم الانس - على الآخر - وهم الجن قبل

الانس - باعتبار أنها - أي الثقلين - غير معصومين . وقيل : عرفوا ذلك من تسمية آدم خليفة ، لأن الخلافة تقتضي الإصلاح ، وتقويم المستخلف عليه وإيقافه عند الحدود^(١) ، وذلك يستلزم أن يصدر منه فساد إما في ذاته بمقتضى الشهوة ، أو في غيره من السفلة . وقيل غير ذلك ، والله تعالى أعلم بما هنالك^(٢) .

وأما قصة هاروت وماروت الواردة في القرآن الكريم فليس

فيها ما يطمئن بالملائكة ويخل^١ بعصمتهم ، وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع من السماء ، ثم يضمثون إلى ما سمعوه أكاذيب يلفقونها ويلقونها إلى الكهنة من الإنس ، وجعلت الكهنة يدوتونها في كتبٍ ويقرءونها ويعلمونها الناس ، وفشا ذلك في عهد سليمان عليه السلام ، حتى صاروا يقولون : إن الجن يعلمون الغيب ، وإن هذا العلم هو علم سليمان عليه السلام ، وإنه ما تمّ لسليمان ملكه إلا بهذا العلم ، وبه سُخرت له الجن والإنس والطير .. فأنزل هذان الملكان لتعليم السحر

(١) انظر جميع ما تقدم في تفسير البيضاوي والنسفي وروح المعاني ، وغيرها من التفاسير .

(٢) ولا يخلو بعض تلك الوجوه السابقة عن نظري فيها ، ولكن تركنا الاطالة مخافة الملالة .

ابتلاءً من الله تعالى للناس وللتمييز بين السحر وبين المعجزة ، وظهور الفرق بين كلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبين كلام السحرة ^(١) ، وإليه الإشارة بقوله تعالى إخباراً عنها : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فَتْنَةٌ فَلَا تَكْفُر ﴾ .

قال العلامة الرازي في هذه الآية : يعني إنما نعلمكم السحر لتوصلوا به إلى الفرق بين المعجزة والسحر ، فلا ينبغي أن تستعملوا هذا السحر في أغراضكم الباطلة ، فإنكم إن فعلتم ذلك كفرتم . فالحاصل أنه تعالى إنما أنزلها ليحصل بسبب إرشادها الفرق بين الحق الذي جاء سليمان وأتم له الله به ملكه ، وبين الباطل الذي جاءت الكهنة به من السحر ، ليفرق بين المعجزة والسحر ^(٢) اهـ .

قال الله تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَلُوا ^(٣) الشَّيَاطِينِ ﴾ يعني أن فريقاً من اليهود المخبر عنهم في الآيات السابقة نبذوا كتاب الله تعالى وهو التوراة ، واتبعوا كتب السحر التي كانت تقرأها الكهنة ﴿ على

(١) انظر ذلك في تفسير البضاوي والنسفي والخازن والآلوسي وغيرها .

(٢) انظر كتاب الأربعين للفخر الرازي .

(٣) وهو حكاية حال ماضية ، والأصل « تَلَّتْ » ، وقول الكوفيين : إن المعنى ما كانت تتلوا : محمولٌ على ذلك ، لا أن « كان » هناك مقدرة . اهـ من تفسير روح البيان وغيره .

ملك سليمان ﴿ أي على عهده وزمان ملكه ﴾ وما كفر سليمان ﴿ فيه تكذيب للشياطين ودفع لما اتَّهم به سليمان من اعتقاده السحر واعتناقه إيَّاه وعمله ، كما أشيع عنه من قبَل الكهنة ﴾ ولكنَّ الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ﴿ إغواءً وإضللاً ، قال العلامة البيضاوي : والمراد بالسحر - أي هنا في الآية - ما يستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان ، ممَّا لا يستقل به الإنسان ، وذلك لا يستتبُّ - أي لا يتم - إلا لمن يناسبه - أي الشيطان - في الشرارة وخبث النفس ، فإن التناسب شرط في التضام والتعاون . اهـ .

﴿ وما أنزل ^(١) على الملوك ﴾ يعني ، أنهم يعلمون الناس السحر ، ويعلمونهم ما أنزل على الملوك ، أو المعنى أن اليهود اتبعوا ما تلو الشياطين من السحر ، واتبعوا ما أنزل على الملوك ﴿ ببابل هاروت وماروت ﴾ اسمان علما ^(٢) بيان للملكين . والذي أنزل

(١) جاء في تفسير البيضاوي وغيره : وقيل « ما » نفي معطوف على قوله « وما كفر سليمان » اهـ .

(٢) وهما أعجميان ، منعان من الصرف للعلمية والعجمة ، وقيل : هريان من الهرت والمرت ، بمعنى الكسر ، ويشكل عليه منعها من الصرف ، وليس إلا العلمية ، وتكلفه بعضهم فقال : يحتمل أنها معدولان من الهارت والمارت اهـ من روح المعاني وغيره .

عليهما هو علم السحر ابتلاءً من الله تعالى للناس وليفرقوا بين السحر والمعجزة كما تقدم .

﴿ وما يعلمان من أحد ، حتى يقولوا إنما نحن فتنه ﴾ يعني أنهما ما يعلمان أحداً حتى ينصحاه ويقولوا له إنما نحن ابتلاء من الله تعالى ، ومحنة واختبار ﴿ فلا تكفر ﴾ .

قال العلامة البيضاوي وغيره في تفسير قوله تعالى ﴿ وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنه فلا تكفر ﴾ : أي وما يعلمان أحداً حتى ينصحاه ويقولوا له إنما نحن ابتلاء من الله ، فمن تعلم منا - أي السحر - وعمل به كفر ، ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الإيمان ، فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به . اهـ ونقل ذلك العلامة الآلوسي في تفسيره بالنص .

﴿ فيتعلمون منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه ﴾ أي علم السحر الذي يكون سبباً في التفريق بين الزوجين ، بأن يخلق الله تعالى عند ذلك النفرة والخلاف بين الزوجين ابتلاءً منه سبحانه ﴿ وما هم بضارين به من أحد إلا بأذن الله ﴾ لأن السحر وغيره من الأسباب لا تؤثر بالذات بل بأمره تعالى ومشيئته وخلقه . وقد أمر الله تعالى بالتعوذ من شر النفوس الساحرة النفاتات في العُقَد كما جاء في سورة الفلق .

وفي ذلك دليل على أن للسحر حقيقةً ، وأن له تأثيراً ، كما عليه أهل السنة ، ولكن باذنه تعالى ومشيئته وخلقه . وليس هذا موضوع بحثنا حتى نفضله .

هذا وإن البحث في عالم الملائكة عليهم السلام واسع الأطراف ، فسيح الأكفاف ، وقد اقتصرنا منه على المهبّات والموجزات ، فنسأل الله تعالى أن يعفو عن السيئات ، ويعظم لنا أجر الحسنات ، ويعطّف علينا قلب مصدر الخيرات والبركات ، ومنبـع الفيوضات والفتوحات ، سيدنا وشفيعنا عند ربنا ، محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم ، إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

حول عالم الجن

إن من جملة العوالم التي أثبتها القرآن الكريم - عالم الجن ، فقد ذكرهم الله تعالى في مناسبات من الآيات متعددة، بيّن فيها مادة خلقهم وأوضاعهم ، كما بيّن مسؤوليتهم ومطالبتهم بالتكاليف الشرعية ، وأن منهم المسلمين ومنهم القاسطين ، وأن منهم الصالحين ، ومنهم دون ذلك ، كما بيّن سبحانه في الآيات القرآنية وجوهاً من اتصالات الجن بعالم الإنس .

كما وأن السنة النبوية قد تناولت ذكر عالم الجن ، وبيّنت قضاياهم ، وأوضحت ما عليهم من التكاليف الشرعية بموجب الدعوة المحمدية ، فقد دعاهم رسول الله ﷺ إلى الاسلام وقرأ عليهم القرآن ، وبلغهم ما أمرهم الله تعالى به من العقائد والأحكام ، وبيّن لهم الحلال والحرام ، بعقضى أنه الرسول العام ، عليه أفضل الصلاة والسلام .

فلذلك وجب الاعتقاد الجازم بوجود الجن، وأنهم عالم حقيقي ليس وهمياً تخيالياً ، ولا ضرباً من النفوس البشرية الشريرة ، ولا من القوى البشرية الخبيثة ، ولا من نوع الجرائم المكروية الضارة ، فإن جميع هذه الأفهام والأوهام حول عالم الجن - هي تحريف لكلام الله تعالى

عن معانيه المرادة منه ، وصرف له عن الوجه المخبر عنه ، إلى وجه آخر هو في معزلة عنه ، وإنما الجن عالم خفي^(١) حقيقي الوجود ، له شأنه وأحكامه .

وقد صنفنا الكتب في تفصيل ذلك ، وإنما أذكر - إن شاء الله تعالى - طرفاً مهماً من البحث حولهم ، باعتبار أن هذا الكتاب لم يوضع لذلك ، وسوف يأتي التفصيل إن شاء الله تعالى بعد ذلك .

خلق الجن

قال الله تعالى : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ . وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴾^(٢) .

روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ ، وَخُلِقَتِ الْجَانُّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ

(١) فإن مادة كلمة (جن) تدل على الستر والخفاء ، ومن ذلك : ﴿ جن عليه الليل ﴾ أي ستره وأخفاه بظلامه ، ومنه سميت الأجنة في بطون الأمهات لاستتارها وخفائها ، ومنه : الميجن - الثرس - لأنه بقي صاحبه ويستتره .

(٢) ففي هذا بيان مادة الجن التي خلقهم الله تعالى ، وهي مارج من نار . والمرج الاختلاط ومنه سمي المرج ، لاختلاط النباتات فيه ، ومرج أمر الناس اختلط . فالجن مخلوقون من مختلط من نار ، وهو اللهب المختلط بسواد النار ، من : مرج الشيء إذا اضطرب واختلط .

نار ، وخلق آدم مما وصف لكم . وقد تقدم الكلام على هذا الحديث في أول الكتاب .

وقد أخبر سبحانه أن الجن خلقوا قبل الانس . قال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصالٍ من حمأٍ مسنون . والجان خلقناه من قبل من نار السموم ﴾ .

وقد نبّه أكابر العلماء العارفين إلى أن إبليس ليس هو أباً أوّلاً للجن ، كما يتوهم بعض الناس ، وإنما هو - أي إبليس - واحد من الجن ، قال تعالى : ﴿ إلا إبليس كان من الجن ﴾ . الآية ، وأما أبو الجن الذي هو كآدم عليه السلام للبشر ، فإنه غير إبليس ^(١) .

(١) انظر فتوحات الشيخ الأكبر ، ويواقيت الشيخ الشعرائي وغيرهما ، فليس إبليس أول الجن ، ولكنه أوّل أشقياء الجن ، أي أول من شطن من الجن ، كما أن قاييل أول أشقياء الانس . فمن كفر من الجن سمي شيطاناً جنياً ، ومن لم يكفر منهم يسمى جنياً ، كما أن من كفر من الانس سمي شيطاناً إنسياً ، ومن لم يكفر فهو إنسي ، قال تعالى : ﴿ شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾ . وقد أمر سبحانه بالتعوذ من شر الوسواس الخناس ، الذي يوسوس في صدور الناس ، من الجنة والناس . وفي المسند عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له : « يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الانس والجن ، قلت : يا رسول الله وللانس شياطين ؟! فقال : نعم » .

صفاتهم الخلقية

الجن هم أرواح قائمة في أجسام لطيفة نارية ، قادرة على التشكل بصُورٍ مختلفة ، يأكلون ويشربون ، وفيهم الذكر والأنثى ، ويتناكحون ويتناسلون ، ويموتون طائفةً بعد طائفة ، كما هو في الإنس .

فباعتبار أنهم أجسام لطيفة نارية لا يراهم الإنس في الصورة التي خلقهم الله تعالى عليها ، قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ وأما رؤيتهم إذا تشكّلوا في غير صورهم فهي محققة الوقوع .

وأما إنهم يتشكّلون بصور مختلفة - صورة رجال أو بعض الحيوانات - فيدل على ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : وكّلتني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان ، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته وقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ، فقال : دعني فاني محتاج ، وعليّ عيال ولي حاجة شديدة ، فخلّيت عنه ، فأصبحت ، فقال النبي ﷺ : « يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟ » فقلت : يا رسول الله شكّا حاجةً شديدةً وعيالاً ، فرحمته وخلّيت سبيله . فقال ﷺ : « أما إنه قد كذبتك ، وسيعود » .

قال أبو هريرة : فعرفت أنه سيعود ، لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود . فرصدته ، فجاء يحثو من الطعام ، فأخذته ، فقلت : لأرفعنك

إلى رسول الله ﷺ ، فقال : دعني فاني محتاج وعلي عيال ، لا أعود ، فرحمته فخلّيت سبيله ، فأصبحت ، فقال لي رسول الله ﷺ : « يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟ » قلت : يا رسول الله شكاً حاجة وعيالا ، فرحمته ، فخلّيت سبيله ، فقال : « أما إنه قد كذبتك ، وسيعود » .

قال أبو هريرة : فرصدته الثالثة ، فجاء يحثو من الطعام ، فأخذه ، فقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث صرات ، إنك تزعم أنك لا تعود ثم تعود ! . فقال : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها . قلت : وما هي ؟ قال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ .. ﴾ حتى تحتم الآية ^(١) ، فانك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان - وفي رواية ابن مردويه : لم يقربك أحد من الجن صغير ولا كبير ذكر ولا أنثى - حتى تصبح ، فخلّيت سبيله ، فأصبحت ، فقال لي رسول الله ﷺ : « ما فعل أسيرك البارحة ؟ » قلت : يا رسول الله زعم أنه يعامني كلمات ينفعني الله بها فخلّيت سبيله ! فقال ﷺ : « وما هي ؟ » قلت : قال لي إذا أويت

(١) وفي رواية أبي التوكل : عند كل صباح ومساء ، وفي حديث معاذ بن جبل زيادة : وخاتمة سورة البقرة : آمن الرسول .. إلى آخرها ، كما في الفتح .

إلى فراشك فاقراً آية الكرسي من أولها حتى تحتم الآية : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ وقال لي : لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح - وكانوا أي الصحابة أحرص شيء على الخبز - فقال ﷺ : « أما إنه صدقك ، وهو كذوب ، تعلم من تخاطب من ثلاث ليالٍ يا أبا هريرة ؟ » قلت : لا ، فقال : « ذاك شيطان » أي شيطان من الشياطين .

وقد ذكر في الفتح من فوائد الحديث : أنه قد يتصور الشيطان بعض الصور فتتمكن رؤيته ، وأن الجن قد يأكلون من طعام الإنس ، ويظهرون لهم ويتكلمون بكلامهم ، وأنهم قد يسرقون ويخدعون . اهـ فقد تشكّل الشيطان الجني بصورة ، وأتى إلى أبي هريرة في بيت الصدقة يحثو من الطعام وكان منه ما كان . وقد وقع نظير ذلك مع أبي أيوب الأنصاري وأبي بن كعب كما في سنن النسائي وغيره ، ففي حديث أبي بن كعب أنه كان له جرن فيه تمر ، وأنه كان يتعاهده ، فوجده ينقص ، فاذا هو بدابة شبه الغلام المحتلم ، قال أبي بن كعب : فقلت له : أجنبي أم إنسي ؟ فقال : بل جني .. الحديث .

وأما إن الجن يموتون ففي الصحيح من دعائه ﷺ : « اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني ، أنت الحي الذي لا

تموت ، والجن والإنس يموتون . » وهم يموتون قرناً فقرناً كالإنس ، قال تعالى : ﴿ والذي قال لوالديه أفٍ لكما أتعداني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي ؟ وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله ﴾ أي الحشر وما وراءه ﴿ حق ﴾ ، فيقول ما هذا إلا أساطير ﴾ أي أباطيل ﴿ الأولين . أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت ﴾ أي مضت وهلكت ﴿ من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ﴾ فقوله تعالى : ﴿ قد خلت من قبلهم من الجن والإنس ﴾ دليل على موت الجن طائفة بعد أخرى كالإنس . نعم قد يطول عمر بعضهم أكثر من الإنس . وقال تعالى : ﴿ حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس ﴾ الآية .

وقد أخبر سبحانه عن قوة الجن وأن منهم العفاريت^(١) الأشداء الأقوياء . فسخر لسيامان عليه السلام جنوداً قوية من الجن تعمل بين يديه ، وتصنع له ما يشاء من المحاريب والتماثيل ، والجفان الكثيرة ، والقصور الكبيرة .

قال تعالى : ﴿ وحشر لسيامان جنوده من الجن والإنس والطير ، فهم يُوزعون ﴾ فهو سبحانه يذكر فضله على نبيه سيامان بأنه حشر له

(١) جمع عفريت ، وهو المارد القوي الداهية .

أيُجمع له العساكر القوية الكثيرة من نوع الجن والانس والطير ،
﴿ فهم يوزعون ﴾ أي يكفُّ أولهم على آخرهم ، لئلا يتقدم أحد منهم
عن منزلته المرتبة له ، وليكونوا مجتمعين فلا يتخلف منهم أحد ، وذلك
للكثرة العظيمة ، وفيه إشعار بتمام مسارعتهم بالانتظام ، والاصطفاف
بإحكام . وكان الذي يليه من الجنود هم الإنس ثم الجن ، ثم الطير
تُظله ومن معه بأجنحتها ، مع التزام كلٍّ من قادة الطيور مكانه
المعيّن له .

وقال تعالى إخباراً عن سليمان عليه السلام وتسخير الجن له ومدى
قوتهم : ﴿ قال يأيها الملأ أئثم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ؟
قال عفريت من الجن : أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ، وإني
عليه لقويٌّ أمين ﴾ .

وذلك أن سليمان عليه السلام لما أراد إحضار عرش بلقيس من
بلدة قبيلة سبأ في اليمن ، إلى مقام سليمان في الشام ، قبل أن تصل إليه
بلقيس ومعها وزراؤها ليريهما عظيم قدرة الله تعالى ، والقوة التي مكنه
الله تعالى منها وملكه العظيم ، ولتشاهد أدلة نبوته وصدقه عليه الصلاة
والسلام . ولأجل أن يختبر عقلها ، أمر بأن يُنكّر لها عرشها : أتعرفه أم
تنكره ؟ فنادى بالملأ : ﴿ أئثم يأتيني بعرشها ؟ ﴾ .

فانبرى له عفريت من الجن وقال : ﴿ أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ﴾ أي مجلس حكمك بين الناس وقضائك فيما بينهم . وكان يجلس من الصبح إلى نصف النهار أو قريب منه ، وقيل المراد قبل أن تستوي من جلوسك قائماً . ثم أكد له ذلك بقوله : ﴿ وإني عليه لقوي ﴾ أمين يعني أنه لا يصعب ولا يشق عليه ذلك ، لأنه قوي ، ولا يأخذ منه شيئاً ولا يبدل فيه ، لأنه أمين ، وذلك لأن عرشها كان مثقلاً بالجواهر ومليئاً بالنفائس الثمينة .

فهذا التعهد من العفريت الجني والتزامه إحضار ذلك العرش بين يدي سليمان مع قطعه تلك المسافات الشاسعة : دليل على شدته وقوته ، ومع ذلك فإن نبي الله سليمان عليه السلام أراد ما هو أعجل من ذلك ، وكان الأمر كما أراد .

وقال تعالى : ﴿ ولسليمانَ الرِّيحَ غدوًّاها شهر ، ورواحها شهر ، وأسَلْنَا له عينَ القطر ، ومن الجنّ من يعمل بين يديه بأذن ربّه ، ومن يَـرْغُ منهم عن أمرنا نُذِقْهُ من عذاب السعير . يعملون له ما يشاء من محاريبَ وتماثيلَ وجِـفَانٍ كالجوابِ وقدورٍ راسياتٍ ، اعْمَلُوا آلَ داود شكراً ، وقليل من عبادي الشكور ﴾ .

وفي هذا يبين الله تعالى فضله على نبي الله سليمان عليه السلام ،

﴿ ولسليمان الريح ﴾ أي سخرنا لسليمان الريح ﴿ غدوؤها شهر ، ورواحها شهر ﴾ جريها بالغداة مسيرة شهر ، وجريها بالعشي مسيرة شهر ، فكانت تسير في اليوم الواحد مسيرة شهرين ، وفي هذا بيان قوة الريح المسخرة ، لأنَّ تَقِيلَ سليمان وجنوده الكثيرة وتحملهم حيث أراد عليه السلام . ﴿ وأسلمنا له عين القطر ﴾ أي النحاس المذاب ، أسأله له سبحانه من معدنه ، فنبع منه نبوع الماء من ينبوع ﴿ ومن الجن ﴾ أي سخرنا له من الجن ﴿ من يعمل بين يديه بأذن ربه ﴾ . أي كل ذلك بمشيئته سبحانه وإذنه بذلك ﴿ ومن يزغ منهم ﴾ أي ومن يعدل من الجن ﴿ عن أمرنا ﴾ أي عما أمرناه به من طاعة سليمان ﴿ نذقه من عذاب السعير ﴾ في الآخرة وهو عذاب الحريق ، وقيل : في الدنيا أيضاً ، بأن يسلط عليه الملك سوط نارٍ ، فيضربه به الملك إذا استعصى الجني عن طاعة سليمان عليه السلام .

﴿ يعملون له ما يشاء من محاريب ﴾ أي من مساجد شريفة وقصورٍ منيفة ﴿ وتماثيل ﴾ وهي نقوش وتجملات في الجدران . وقيل : صور للشجار وما لا روح له ، وقال بعضهم : صور السباع والطيور ^(١) .

(١) كما في تفسير البيضاوي والنسفي وغيرها من التفاسير ، وذلك أنه كان مباحاً في شريعتهم ، وقد ذكروا أنه لم يكن يأمرهم بفعل ذلك عبثاً أو =

﴿ وجفان ﴾ الجفان جمع جفنة وهي ما يوضع فيها الطعام وهي أعظم القصاع أو من أعظمها ﴿ كالجواب ﴾ جمع جابية من الجبابة ، وهي الجمع ، والمعنى : أنهم يصنعون له الجفان الكبرى التي هي كالحياض الكبرى ، وكلها مملوءة بالطعام . قيل : كان يقعد حول الجفنة الواحدة من تلك الجفان ألف رجل ﴿ وقذور ﴾ جمع قِدر ، وهو ما يطبخ فيه ، ولكنها واسعة الحجم ﴿ راسيات ﴾ ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها لسمتها ﴿ اعملوا آل داود شكراً ﴾ ، وقليل من عبادي الشكور ﴿ .
روى ابن أبي الدنيا والبيهقي وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لما قيل لهم ﴿ اعملوا آل داود شكراً ﴾ لم يأت ساعة على أهله وولده من الليل والنهار إلا ومنهم قائم يصلي . وفي رواية : كان مصلي داود لم يخل من قائم يصلي ليلاً ونهاراً ، وكانوا يتناوبون ذلك .

مطالبة الجن بالتطيف الشرعية

ذهبت جماهير أهل العلم إلى أن الجن مكلّفون بالشرائع الإلهية ،

= لهواً ، فانه نبي رسول منزّه عن ذلك ، بل لحكم في ذلك ومهمات ، ومن ذلك تقييد الحيوان أو الطير التمثيل له وتحديد حد له ، حتى لا يغني على غيره ولا يؤذي غيره ، وهذا بموجب تصرف القوى الروحية ، وقيل غير ذلك ، والله تعالى أعلم بما هنالك .

وأنهم تتناولهم الأوامر والنواهي الشرعية . وأدلة القرآن الكريم والسنة النبوية على ذلك كثيرة شهيرة .

قال الله تعالى إخباراً عما يقال لكفار الجن والإنس يوم القيامة ﴿ يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا : شهدنا على أنفسنا ، وغرّتهم الحياة الدنيا ، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴾ . فدلّ ذلك على تكليفهم كما كلفت الإنس ، وتوجّه الخطاب الشرعي عليهم كما هو في الإنس ، ولذلك اعترفوا بأنهم كفرون ، وشهدوا على أنفسهم بالكفر . وقال تعالى ﴿ أولئك الذين حقّ عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس ، إنهم كانوا خاسرين . ولكلّ درجات مما عملوا ، وليوفّيهم أعمالهم وهم لا يظلمون ﴾ .

ففي هذه الآيات يخبر سبحانه أنّ من الجن والإنس من حقّ عليهم القول أي وجب عليهم العذاب ، وأنه خاسر ، وذلك لا يكون إلا في أهل التكليف المستوجبين العذاب بأعمالهم . وفي قوله تعالى : ﴿ ولكلّ درجات مما عملوا ﴾ دليل ظاهر في ثوابهم وعقابهم ، وأنّ مسيئتهم كما يستحقّ العذاب بإساءته ، فحسنهم يستحقّ الدرجات بحسنه ، وذلك كله يستلزم أنهم كانوا في الدنيا مأمورين بالشرائع ومتعبدين بها ،

ولذلك استحقوا الدرجات بأعمالهم في الخير والشر .

وقال تعالى ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ ﴾ أي قَيَّضْنَا للمشركين قرناء من الشياطين ﴿ فزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ وهو ترغيبهم في الدنيا وحرصهم عليها ، وتكذيبهم بالآخرة وإعراضهم عنها ﴿ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾ أي وجب عليهم العذاب مع أُمَمٍ قَدْ مَضَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ . ففي هذا دليل على تكليف الثقلين : الإنس والجن ، وتعلق الأمر والنهي بهم جميعاً ، وكذلك تعلق الثواب والعقاب بهم .

وقال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا : يامعشر الجن قد استكثرتم من الإنس ، وقال أولياؤهم من الإنس : رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ، وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ، قَالَ : النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ . ففي هذه الآية دليل صريح على تكليف الجن ، فإن هذا القول يقال للجن يوم القيامة ، فيذكر الإنسُ استمتاع بعضهم ببعض في الدنيا ، وذلك الاستمتاع هو ما كان بين الجن والإنس في الدنيا من طاعتهم إِيَّاهُمْ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَكُفْرِهِمْ بِهِ ، وعبادتهم لهم ليستعينوا بهم على أغراضهم وأهوائهم ، كما قال تعالى ﴿ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ، أَكْثَرُهم بِهِمُ مُؤْمِنُونَ ﴾ .

ومما يدلُّ على تكليف الجن بالشرائع السماوية قوله تعالى ﴿ وَإِذْ

صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا ،
فلما قُضيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ . قالوا : يا قومنا إنا سمعنا كتاباً
أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ
يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيَجْرِمَ مِنْ عَذَابٍ
أَلِيمٍ * وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ
أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * .

وقد صح أن نفرًا من الجن سبعة - وقيل تسعة ، وقيل أكثر
من ذلك - جاءوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وهو يقرأ ببطن نخلة ^(١) فلما
سمعوه قالوا أنصتوا ، كما أخبر الله تعالى عنهم .

وفي هذا وجوه من الأدلة على تكليف الجن :

أحدها - أن الله تعالى هو صرفهم إِلَى رَسُولِهِ ﷺ يستمعون
القرآن ليؤمنوا به ، ويأتمروا بأمره وينشئوا عما نهى عنه .

الثاني - أنهم وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ، والإِندَار هو الإِعلام
بالخوف بعد وجود أسبابه ، فأُنْذِرُوهُمْ النَّارَ إِنْ عَصَوْا الرَّسُولَ ﷺ .

(١) وهي اسم لموضع على بُعْدِ لَيْلَةٍ مِنْ مَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ ، وَكَانُوا مِنْ جِنِّ نَصِيبِينَ ،
وَقَدْ رَوَى ذَلِكَ الْحَاكِمُ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ ، كَمَا
فِي شَرْحِ الْمَوَاهِبِ .

الثالث - أنهم أخبروا عن سماعهم القرآن وتعقله وتفهمه ، وأنه يهدي إلى الحق ويهدي إلى صراط مستقيم. وهذا دليل على تمكنهم من العلم الذي تقوم به الحجة ، وهم قادرون على امتثال ما فيه . ومن المعلوم أن التكليف إنما يستلزم العلم والقدرة ، فهم مكلفون .

الرابع - أنهم قالوا لقومهم : يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به . وهذا ظاهر في أنهم مكلفون مأمورون بأجابة الرسول ، وتصديقه فيما أخبر ، وطاعته فيما أمر ﷺ .

الخامس - أنهم قالوا : ﴿ يغفر لكم من ذنوبكم ﴾ والمغفرة لا تكون إلا عن ذنب ، وهو مخالفة الأمر ﴿ ويجركم من عذاب أليم ﴾ . وهذا يدل على أن من لم يستجب منهم لداعي الله تعالى لم يُجره الله من العذاب الأليم .

ومن الأدلة على أن الجن مكلفون بالأوامر الإلهية والشرائع السماوية : الخطابات والنداءات الموجهة في سورة الرحمن إلى كلٍّ من الجن والانس . فانه سبحانه وتعالى ذكر خلق النوعين ، فقال : ﴿ خلق الانسان من صلصال كالفخار ، وخلق الجن من نار ﴾ . فذكر نعمته عليهما بالايجاد ، ثم خاطبهم بما يحملهم على الاعتراف بنعمه وكرمه عليهم دون تردد ولا إنكار فقال : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ .

ثم عدد سبحانه أصناف نعمه على كل من الجن والإنس : النعم الآفاقية والنفسية والسموية والأرضية .

وكما ذكر صنفاً من الكرم والنعم ، أردف ذلك بما يحمل المخاطبين من الإنس والجن على التفكير والاعتبار ، والاعتراف والاقرار بنعم المنعم عليهم ، وكرمه الواصل إليهم فيشكرونه ولا يكفرونه ، ويحمدونه ولا يجحدون نعمه .

روى الترمذي وغيره عن جابر قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا . فقال : « لقد قرأتها على الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم ! كنتُ كلما أتيتُ على قوله ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ قالوا : لا بشيء من نعمك ربنا نكذب ، فلك الحمد » .

وهذا يدل على أن الجن قد علموا أنهم مقصودون بهذا الخطاب ، فلذلك أحسنوا الجواب .

ثم قال سبحانه ﴿ سنفرغ لكم أيها الثقلان ﴾ وفي هذا ترغيب في وعده ، وتخويف من وعيده ، وتهديد شديد من عواقب الذنوب ، ثم قال سبحانه ﴿ فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان ﴾ وفي هذا بيان للإنس والجان أنه سبحانه لعلمه بهم وبجميع أعمالهم وأقوالهم وما

صدر منهم لا يحتاج أن يسألهم عنها سؤال استعلام ، بل هو يعلم جميع ذلك ، وأحاط بكل ما هنالك ، وجعل للمجرمين علامات تعرفهم بها الخلائق من أهل الموقف . وعلى هذا يكون السؤال المنفي هو سؤال الاستعلام والاستخبار ، لا سؤال المحاسبة والمجازاة ، فانه ثابت قطعاً ، قال تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَقِفْهُمْ إِنَّهُمْ مِستُولُونَ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات المثبتة للسؤال . وقال بعضهم في قوله تعالى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ﴾ : هذا وقت البعث والمصير إلى الموقف ، فانهم حينئذٍ لا يسألون ، ولكنهم يسألون بعد إطالة الوقوف وصرور الشدائد والأهوال ، ثم استشفاعهم إلى الله تعالى أن يريحهم من طول الموقف وكرباته ، وهناك يتقدم للشفاعة العظمى إمام النبیین والمرسلین الذي يقول : « أنا لها ، أنا لها » ﷺ ، فينفض أمر الخلائق للسؤال والحساب .

فالجن مكلفون كما أن الإنس مكلفون ، وإن تكاليف الجن هي تكاليف الإنس من حيث الأجمال ، وأما من حيث التفصيل فقد يختص الجن بأحكام فرعية جزئية دون الإنس ، لاختلافها في الجنس ، كما نص عليه العلماء . والله تعالى أعلم .

بإوغ دعوة الرسل لعالم الجن

قال الله تعالى : ﴿ يامعشر الجن والانس أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُلٌ مِنْكُمْ يَقصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ؟ ! ﴾ قالوا : شهدنا على أنفسنا ، وغرَّتهم الحياة الدنيا ، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ، ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون . ﴿

فهو سبحانه يسأل كفار الجن والانس يوم القيامة عن موقف الرسل معهم في الدنيا : هل بلغوهم الدعوة وقصّوا عليهم آيات الله تعالى ؟ وهل أنذروهم عذاب الآخرة ، ولقاء يوم القيامة ، وما يحتوي عليه من سؤال وحساب وعذاب وثواب إلى غير ذلك ؟ . فكلهم يُقرّون ويعترفون بأن الرسل قد بدّلت وأوضحت وأنذرت ، ويشهدون على أنفسهم بالكفر وأنهم غرّتهم الحياة الدنيا . ثم نبّه سبحانه بقوله بعد اعترافهم وإقرارهم بأقامة الحجة عليهم ، فقال ﴿ ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ﴾ أي بل لا بدّ وأن يرسل فيهم من ينبّئهم من غفلاتهم ، ويوقظهم من سكراتهم ، ويخرجهم من ظلماتهم ، حتى لا يُبقي عذراً لمعتذر ، ولا حجة لمن يحتج ، حتى إذا

عذبهم عذبهم بحق وعدل ، لا جَوْر ولا ظلم ^(١) .

(١) وقد اختلف العلماء هل كان في الجن نبي مرسل اليهم منهم؟ فذهب الجمهور سلفاً وخلفاً إلى أن الرسل الذين أرسلوا إلى الجن هم رسل الانس ، وأن النبوة والرسالة الإلهية هما من خصائص الانس كما قال الحافظ السيوطي في لقط المرجان : جمهور العلماء سلفاً وخلفاً على أنه لم يكن من الجن قط رسول ولا نبي ، كذا روي عن ابن عباس رضي الله عنها ، ومجاهد والكلبي وأبي عبيد ، وقد أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ يامعشر الجن والانس أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسَلٌ مِنْكُمْ ﴾ قال : ليس في الجن رسل ، إنما الرسل في الانس ، والندارة في الجن ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ اه . يعني أنه سبحانه أثبت لهم مقام الانذار فقط ، فهو نظير قوله تعالى في الانس : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ، وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ .. ﴾ الآية . فكان كل رسول من الانس يرسل إلى أقوام خاصة من الانس والجن ، ثم بعث رسول الله سيدنا محمد ﷺ إلى كافة الانس وكافة الجن .

وذهب الضحَّاك بن مزاحم وبعض العلماء إلى أن في الجن رسلاً منهم محتجين بقوله تعالى ﴿ يامعشر الجن والانس أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسَلٌ مِنْكُمْ ﴾ قال في الفتح : فروى الطبري من طريق الضحَّاك إثبات ذلك وقال : ومن قال بقول الضحَّاك احتجَّ بأن الله تعالى أخبر أن من الجن والانس رسلاً أرسلوا اليهم ، فلو جاز أن المراد برسل الجن رسل الانس لجاز عكسه ، وهو فاسد . اه كلام الطبري كما في الفتح .

وقد أجاب الجمهور عن قوله تعالى : ﴿ يامعشر الجن والانس أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسَلٌ مِنْكُمْ ﴾ بأن المراد أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسَلٌ مِنْ جَمْعِكُمْ وَأَحَدُ نَوْعِكُمْ ، =

وقال سبحانه ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ وقد أخبر

سبحانه في عدة من الآيات أنه يعذب كفرة الجن كما يعذب كفرة
الانس ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ لأملأن جهنم من الجنة والناس
أجمعين ﴾ . وقال تعالى : ﴿ قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم
من الجن والانس في النار .. ﴾ الآية . فما عذبهم حتى بعث فيهم
رسولا بلغهم الدعوة وأقام عليهم الحجة . فهذا دليل آخر على أن الجن
قد بلغهم الرسل الدعوة وبينت لهم الشريعة المكلفين بها .

ومن الأدلة على تبليغ الرسل الدعوة للجن : قوله تعالى إخباراً عن الجن

حين سمعوا القرآن من النبي ﷺ : ﴿ قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل
من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه ، يهدي إلى الحق وإلى طريق

= لا من جميعكم ومن كل نوع منكم . قالوا : وهذا له نظائر وأشباه في
لغة العرب الفصيحة ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿ ألم تروا كيف خلق الله
سبع سموات طباقاً ، وجعل القمر فيهن نوراً ﴾ أي في إحداهن ، وليس
في كل سماء قمر .

وقد اتفق الكل على بعثة سيدنا محمد ﷺ إلى جميع طبقات الانس
والجن بلا خلاف ، كما نقل في الفتح عن ابن عبد البر أنه قال : لا يختلفون
أنه ﷺ بعث إلى الانس والجن - أي كافة - وهذا مما فضل به على
الأنبياء . اهـ صلوات الله تعالى عليه وعليهم أجمعين .

مستقيم ﴿ فهذا القول منهم يدل على أنهم كانوا قد بلغتهم دعوة موسى عليه السلام ، وأنهم كانوا عالمين بكتاب موسى عليه السلام ، وهو التوراة ، فلما سمعوا القرآن قالوا إنه مصدق لما بين يديه ، أي لما تقدم من التوراة ، وسائر كتب الله النازلة على الرسل صلوات الله وسلامه على رسولنا وعليهم أجمعين .

ففي هذا دليل على أنهم كانوا متعبدين بشريعة موسى عليه السلام ، ثم راحوا يتعبدون بشريعة سيدنا محمد ﷺ .

ومن الأدلة على أن الجن قد بلغتهم رسل الله تعالى التكاليف

الشرعية وبيئتها لهم : إخباره سبحانه عن كفار الجن أنهم في النار ، كما أخبر عن كفار الانس أنهم في النار ، فكلا الفريقين من كفارهما - هو كافر شرعاً ، فما هو الدليل الشرعي على تخصيص كفار الانس ببلوغ الدعوة لهم دون الجن ؟

بلوغ دعوة النبي ﷺ لعالم الجن

أجمع العلماء على عموم بعثة النبي ﷺ إلى عالم الجن ، وبلوغ دعوة لهم ، واستدلوا على ذلك بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

أما الدليل على عموم رسالته إلى عالم الجن . فقد قال سبحانه :

﴿ قل أيُّ شئٍ أكبر شهادة ؟ قل : الله شهيد بيني وبينكم ، وأُوحِيَ
إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ .. ﴾ الآية . وإن الجنَّ قد
بلغهم القرآن بنص القرآن . قال تعالى : ﴿ قل أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ
نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ ، فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا . يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا
بِهِ .. ﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ
يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ .. ﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ
عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ . والجن هم من عالم التكليف .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ
قال : « فَضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بَسْتٍ - فَذَكَرَ مِنْهَا - : وَأُرْسِلْتُ إِلَى
الْخَلْقِ كَافَّةً » . فیدخل فی عموم الخلق عالم الجن . قال الحافظ في الفتح :
وثبت التصريح بذلك في حديث : « وَكَانَ النَّبِيُّ يَبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ ،
وَيُبْعَثُ إِلَى الْإِنْسِ وَالْجِنِّ » فيما أخرجه البزار . اهـ
وقد نقل في الفتح عن ابن عبد البر أنه لا خلاف في أنه ﷺ
بُعث إلى الإنس والجن .

وقد ثبت بلوغ دعوته ﷺ إلى الجن قطعاً ، وكان ذلك عن
طريق توافدهم عليه ، واستماعهم إليه ﷺ ، وعن طريق ذهابه إليهم
وقراءته عليهم ، وسؤالهم له وجواباته لهم . قال تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا

إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن .. إلى قوله تعالى : يا قومنا أجيئوا داعيَ الله وآمنوا به ﴿١﴾ . والمعنى : أجيئوا داعيَ الله الذي جاء يدعوكم إلى الله ، وقد دعاكم ، فيحقّ عليكم أن تحبسوه ، ولو لا أنه ﷺ مأمور بدغوتهم لما وجبت إجابته عليهم . وقال تعالى : ﴿ قل أُوحيَ إليّ أنه استمع نفر من الجن .. إلى قوله تعالى : وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به ﴾ أي سمعنا الهدى من محمد رسول الله ﷺ فآمنا به .

وروى مسلم عن علقمة قال . سألت ابن مسعود رضي الله عنه هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن ؟ قال : لا (١) . ولكنّا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ، ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب ! فقيل : استطير ؟! أو اغتيل ؟! - استفهام تعجبي - قال ابن مسعود : فبتنا بشرّ ليلة بات بها قوم ، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء ، فقلنا : يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك ، فبتنا بشرّ ليلة بات بها قوم ، فقال ﷺ : « أتاني داعي الجن » ،

(١) وقد ورد أيضاً في حديث آخر أن ابن مسعود سئل : أكنت مع رسول الله ﷺ ليلة الجن ؟ فقال : أجل . كما رواه ابن جرير وأبو نعيم . وفي المسند عن ابن مسعود قال : كنت مع رسول الله ﷺ ليلة وفد الجن ، وفي رواية : أنه كان مع رسول الله ﷺ ليلة الجن . فهذه الروايات لاتنافي ما نحن فيه ، لأن القصة متعددة كما نبه على ذلك المحققون .

فذهبتُ معهم ، فقرأت عليهم القرآن . قال ابن مسعود : فانطلق رسول الله ﷺ بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم ، وسأله عن الزاد فقال : « كلُّ عظم ذُكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً ، وكل بكرةٍ أو روثة علفٌ لدوابكم . قال رسول الله ﷺ : فلا تستنجوا بها ، فانهما طعام إخوانكم » . وروى أحمد في مسنده نحوه .

وفي مسند أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمكة ، إذ قال : « ليقم معي رجل منكم » وفي رواية أخرى : استبعثني رسول الله ﷺ - أي بعث إليَّ - فخرجت مع رسول الله ﷺ ، حتى إذا كنا بأعلى مكة رأيت أسوداً مجتمعةً ، قال فخطَّ لي رسول الله ﷺ خطاً ثم قال : « قم ههنا حتى آتيك » فقمتُ ومضى رسول الله ﷺ إليهم ، فرأيتهم يتنوّرون إليه^(١) ، قال : فسمّر معهم رسول الله ﷺ ليلاً طويلاً حتى جاءني الفجر . وفي رواية أخرى فجعلوا يركبون رسول الله ﷺ - أي يتزاحمون عليه - وجعل ﷺ يقرأ عليهم^(٢) .

وتقدّم حديث الترمذي أنه ﷺ قرأ سورة الرحمن على الجن .

(١) أي يتطلّعون إلى رؤيته ﷺ من بعيد .

(٢) وقد أورده الامام أحمد في مسنده بأسانيد متعددة موزعة في مسند ابن

اصناف الجن وافتراقهم على طرائق

قال الله تعالى إخباراً عنهم ﴿ وَأَنَا مِنَّا الصالحون ، ومنا دون ذلك ، كنا طرائق قِدَدًا - إلى قوله تعالى : وَأَنَا مِنَّا المسلمون ، ومنا القاسطون ^(١) ، فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً . وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً ﴾ .
فقد أخبر سبحانه أن الجن على طرائق قدد أي : طرائق متقطعة ، ومشارب متفرقة ، وآراء متعددة . فمنهم الصالح ، ومنهم الطالح ، ومنهم المسلم ومنهم الكافر ، ومنهم المتبع ومنهم المبتدع ، ومنهم اليهودي والنصراني والمجوسي ، إلى غير ذلك ، كما هو في الانس .

فالمسلمون منهم يقال لهم : الجن المسلمون ، وصلاحهم يقال لهم صلاح الجن ، والكفار منهم يُسمَّون شياطين ^(٢) الجن ، وأول شيطان جني هو إبليس ^(٣) كما قال فيه سبحانه : ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ

(١) القاسط : هو الظالم الجائر الناكب عن الحق ، بخلاف المقسط ، فهو العادل المستقيم على الحق .

(٢) جمع شيطان ، مأخوذ من : شَطَنَ بمعنى بَعُدَ ، أو من : شَاطَ بمعنى احترق ، فوزنه « فَيَعَال » أو « فَعْلَان » .

(٣) انظر كلام الشيخ الأكبر رضي الله عنه . قال الحافظ ابن عبد البر : الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان على مراتب ، فاذا ذكروا الجن خالصاً =

أمر ربّه ﴿ .

وهذا قول كثير من العلماء والعارفين ، واستدلوا على أنه كان من الجن وليس هو ملكاً بوجوه من الأدلة :

أولاً - إن إبليس مخلوق من النار ، قال تعالى إخباراً عنه : ﴿ خلقتني من نارٍ وخلقته من طين ﴾ والملائكة مخلوقون من النور كما تقدم في حديث مسلم .

ثانياً - إن إبليس له ذرية . قال تعالى : ﴿ أفنتخذونه وذريةً أولياء من دوني وهم لكم عدوٌ ۚ ﴾ .

وأما الملائكة فلا ذرية لهم ، لأنهم ليسوا ذكوراً ولا إناثاً ولا شهوة لهم ^(١) .

ثالثاً - إن إبليس كان من الجن بنص القرآن ، والجن ليسوا ملائكة ، لقوله تعالى : ﴿ ويوم نحشرهم جميعاً ، ثم نقول للملائكة :

= قالوا جني ، فان أرادوا أنه ممن يسكن مع الناس قالوا عامر ، والجمع عمّار ، فان كان ممن يعرض للصبيان قالوا أرواح ، فان خبث وتعرّض بالأذى والوسوسة قالوا شيطان ، فان زاد على ذلك وقوي أمره قالوا عفريت . اهـ .

(١) انظر كتاب الأربعين للفخر الرازي .

أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟! قالوا : سبحانك أنت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن ﴿ فدلَّت الآية على أن الجن جنس آخر غير الملائكة .

رابعاً - إن الملائكة عليهم السلام معصومون عن المخالفة والمعصية ، ويفعلون ما يؤمرون ، وهم بأمر الله تعالى يعملون ، وإن إبليس خالف أمر الله تعالى بالسجود لآدم ، ولم يعمل ما أمره الله تعالى به .
وأما من قال من العلماء بأن إبليس من الملائكة : فاحتجَّ بأنه لو لم يكن ملكاً لما تناوله الأمر بالسجود لآدم ، لأن الأمر بالسجود لآدم كان موجهاً للملائكة بنص ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ فلو لم يكن ملكاً لما كان تخلفه عن السجود لآدم يوجب طرداً وإبعاداً حينئذٍ .

وقد أجاب عن ذلك العلماء القائلون بأن إبليس من الجن ، أجابوا عن قوله تعالى : ﴿ فسجدوا إلا إبليس ﴾ بأنه استثناء من جنس المأمورين ، لا من جنس الملائكة ، ويكون التقدير : وإذ قلنا للملائكة ولا إبليس : اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس . تقول : أمرتُ إخوتي وعبدي بكذا ، فأطاعوني إلا عبدي ، فالعبد ليس من الإخوة ، ولا داخلاً فيهم إلا من حيث شمله الأمر بالفعل معهم . هذا وإن قوله

تعالى : ﴿ مامنعك ألاّ تسجد إذ أمرتُك ﴾ يشير إلى أن هناك أمراً
موجهاً عليه بالسجود . وأجابوا أيضاً بأن استثناءه من الملائكة استثناء
من غير الجنس فهو منقطع ^(١) .

موقف الشيطان من الإنسان

قال الله تعالى : ﴿ إن الشيطان لكم عدوٌ فاتخذوه عدوّاً ﴾ .
فالشيطان عدوٌ للإنسان مبین ، فينبغي للإنسان أن يقف معه موقف
المعادي الحذر من شره ومكره . ومن شدة عداوة الشيطان للإنسان
أنه يبذل جميع جهوده وطاقاته في تضليل الإنسان وتزيين الكفر
والطغيان والفساد له ، قال تعالى : ﴿ فزین لهم الشيطان أعمالهم فصدهم
عن السبيل ، فهم لا يهتدون ﴾ وقال تعالى ﴿ تالله لقد أرسلنا إلى أمم
من قبلك فزین لهم الشيطان أعمالهم أي كفرهم وفسقهم .

ومن عداوته أنه يعد الإنسان بالفقر واليأس مما يؤمله ويرجوه ،
ويأمره بالفحشاء ، قال تعالى : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ﴾ .
كما وأنه يسعى في إزعاج الإنسان وتحزينه ، قال تعالى : ﴿ إنما
النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا ﴾ . كما وأنه يسعى في إلقاء
العداوة بين بني آدم ، وإثارة البغضاء فيهم بشتى الأسباب القولية

(١) وثمة أجوبة متعددة تحتاج إلى تفصيل .

والعملية ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾ أي يوقع الشرور ويفسد ذات البين .

كما وأن من شأن الشيطان أن يقذف في القلب الأباطيل والظنون السيئة ، ويوسوس ويفسد .

ففي الحديث عن علي بن الحسين رضي الله عنها أن صفية زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ معتكفاً ، فأتيته أزوره ليلاً ، فحدثته ثم قتلت لأتقلب - أي لأرجع - فقام معي ليقبني ، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد ، فرأى رجلان من الأنصار ، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا ، فقال النبي ﷺ : « على رسلكما ، إنها صفية بنت حيي » فقالا : سبحان الله يا رسول الله ! فقال : « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا - أَوْ قَالَ شَيْئًا - » (١) .

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود ، ونقل الكرماني عن الامام الشافعي أنه قال في معنى الحديث : إنه ﷺ خاف عليها الكفر لو ظنَّ بها التهمة فبادر إلى إعلامها بمكانها نصيحة لها في الدين ، قبل أن يقذف الشيطان في قلوبها أمراً بهلكان به .

وقد نبّه الله تعالى عباده إلى أن خطر الوسواس الشيطانية كبير وشرّها مستطير ، وأنه ينبغي للعبد أن يلجأ إلى ربه ، عائذاً به من همزات الشياطين ، قال تعالى ﴿ وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين . وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ . وقال تعالى : ﴿ قل أعوذ برب الناس . ملك الناس . إله الناس . من شر الوسواس الخناس . الذي يوسوس في صدور الناس . من الجنة والناس ﴾ .

ومن وسوسته ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول : من خلق ربك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته » . أي فليترك التفكير في هذا الخاطر الباطل ، وليفكر بالأمر الحق ، لئلا يستحوذ عليه الشيطان بتلك الوسوسة الفاسدة والتخيّلات الكاسدة ، فانها من باب القلق والتشويش .

ومن ذلك ما رواه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا : خلق الله الخلق ، فمن خلق الله ؟ فإذا قالوا ذلك فقولوا : الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، ثم ليتفلّ عن يساره ثلاثاً ، وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم » . يعني أن ذلك وسوسة باطلة ،

لاموقع لها من الاعتبار والقبول في موازين العقول ، فان الله أحد واحد ، ولا أحد قبله ، إذ أن الواحد العددي النفسي لا واحد قبله ، فما ظنك بالواحد الأحد المطلق الذي له الوحدة الذاتية المطلقة سبحانه وتعالى ؟ !

ومن شر الشيطان أنه يحاول أن يكفر الإنسان بأنواع من المكفرات ، فان عجز عن ذلك حاول أن يوقعه في البدع الضالة ، فان عجز عن ذلك حاول أن يوقعه في كبائر الذنوب ، فان عجز عنها حاول أن يوقعه في صفائر الذنوب ، فان عجز عنها حاول أن يشغله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب عليها ، فيكون قد شغله عما يثاب عليه من فضائل الأعمال ، فان عجز عن ذلك حاول أن يشغله بالعمل المفضول عن العمل الأفضل ، فان عجز عن ذلك كله حاول أن يشوش على المؤمن فكره ويمكّر عليه صفاءه . ولذلك ينبغي للعبد أن يعود بربه ، ويتحصّن به من شرور الشياطين .

وإن للتحصّن والتحرّز من وساوس الشياطين ومضارهم ومفاسدهم أسباباً وافية ، أرشد الشارع الحكيم إليها وإلى إيقاعها في مواقعها : أحدها : التعوّذ بالله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ . أي السميع المجيب

لاستعماذتك ، العليم بحالك وبما يحفظك من نزغات الشيطان (١) .

(١) وقد علّم النبي ﷺ أمته وجوهاً من التعوذ حسب مقتضى الحالات التي هم فيها :

فمن ذلك التعوذ حالة الغضب ، ففي صحيح البخاري عن سليمان بن صرد قال :

كنت جالساً مع النبي ﷺ ورجلان يستبان ، فأحدهما احمرّ وجهه وانتفخت أوداجه ، فقال النبي ﷺ : « إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد ، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ذهب عنه ما يجد .. » الحديث .

ومن ذلك التعوذ عند رؤيا يكرهها ، كما في الصحيحين عن أبي سعيد قال قال

رسول الله ﷺ : « إذا رأى أحدكم في منامه الرؤيا يحبها فإنا هي من الله فليحمد الله عليها ، وليتحدث بها ، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنا هي من الشيطان ، فليستعذ بالله من شرّها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره ، وفي رواية لمسلم : فليصق عن يساره ثلاثاً ، وليتعوذ بالله من الشيطان ، وليتحوّل عن جنبه الذي كان عليه » .

ومن ذلك التعوذ عند إرادة الخلاء ، روى أبو داود وابن ماجه بسند حسن

عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله ﷺ : « إن هذه الحشوش - كناية عن الخلاء - محتضرة - أي يحضرها الشياطين - فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل : « أعوذ بالله من الخبث والخبائث » . وفي الصحيحين : كان رسول الله ﷺ إذا دخل الخلاء يقول : « اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث » . قال في المرقاة : يعني ذكران الشياطين وإنائهم .

وفي المسند عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات نقولها عند النوم من القرع : « بسم الله أعوذ بكلمات الله التامة ، من =

ثانيها : التسمية ، فانها وقاية من شر الشيطان (١) .

= غضبه وعقابه ، ومن شرّ عباده ، ومن همزات الشياطين ، وأن يحضرون ، قال : فكان عبد الله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده أن يقولها عند نومه ، ومن كان منهم صغيراً لا يعقل أن يحفظها كتبها له فعلقها في عنقه . قال ابن كثير : ورواه أبو داود والترمذي والنسائي اه .

وفي الصحيح أنه ﷺ كان يُعوّذ الحسن والحسين : « أعوذ بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » .

(١) فمن ذلك التسمية على الطعام ، وعند دخول الرجل بيته ، وخروجه منه ،

روى مسلم عن جابر رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه ، قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء ، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله ، قال الشيطان : أدركتم المبيت ، وإذا لم يذكر الله عند طعامه ، قال الشيطان : أدركتم المبيت والعشاء » . وفي السنن عن أنس عن النبي ﷺ : « من قال إذا خرج من بيته : بسم الله ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فيقال له حسبك ، هُديت وكفيت ووقيت ، وتنحى عنه الشيطان » .

والتسمية عند إرادة الجماع ، كما في الصحيحين والمسند عن ابن عباس رضي الله

عنها أن النبي ﷺ قال : « لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله فقال : بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فإنه إن قضي بينهما ولد من ذلك : لم يضره الشيطان أبداً » أي لم يضره باضلاله وإغوائه ببركة التسمية ، فلا يكون للشيطان عليه سلطان ، ولا يلزم منه عصمة الولد من الذنب ، بل إنه يكون حسن العاقبة ، ويموت على الإيمان ، =

ومن أعظم التعويذات الإكثار من قراءة المعوذات (١) .
فمن أبي سعيد رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ يتعوذ من الجان
وعين الانسان ، حتى نزلت المعوذتان ، فأخذ بهما وترك ماسواهما (٢) .

= وفي هذا بشارة عظمى . اه ملخصاً من فيض القدير .

ومن ذلك التسمية على آنية الطعام ، وعند إغلاق الباب ، وإطفاء المصباح ونحو
ذلك ، كما في الصحيحين وغيرها عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله
ﷺ : « إذا استجبح الليل - أو كان جنح الليل - فكفّوا صيانتكم ،
فإن الشياطين تنتشر حينئذ ، فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلّثوهم ، وأغلق
بابك ، واذكر اسم الله ، فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً ، وأطفئ مصباحك
واذكر اسم الله ، وأوك سقاءك - أي شدّ عليه رباطه - واذكر
اسم الله ، وخمّر إناءك - أي ضع عليه غطاءً - واذكر اسم الله ، ولو
أن تعرض عليه شيئاً ، وأطفئوا المصابيح فإن الفويسقة - أي الفأرة -
ربّما جرّت الفتيلة فأحرقت أهل البيت » .

(١) وهي سورة الفلق والناس والاخلاص ، من باب التغليب ، أو إن أقل
الجمع اثنان .

(٢) رواه الترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه والضياء في المختارة وصححه ،
كما في شرح المواهب ، وقال في المواهب : وهذا لا يدل على المنع من التعوذ
بغير هاتين السورتين ، بل على الأولوية ، ولا سيّما مع ثبوت التعوذ
بغيرها اه أي كما تقدم في الأحاديث الصحيحة .

وإنما كان ﷺ يكثر من التعوذ بهما ، لما اشتملتا عليه من جوامع الاستعاذة =

وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ، ثم نفث فيهما ثم يقرأ : ﴿ قل هو الله أحد . وقل أعوذ برب الفلق . وقل أعوذ برب الناس ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات . وقال ﷺ لعقبة بن عامر : « اقرأ المعوذات في دُبُر كل صلاة » أي لما فيها من الحفظ والوقاية .

= من كل مكروه جملة وتفصيلاً ، فإن الاستعاذة من شر ما خلق تعم كل شر يستعاذ منه في الأشباح والأرواح ، والاستعاذة من شر الفاسق إذا وقب - وهو الليل إذا أظلم ، والقمر إذا غاب - تتضمن الاستعاذة من شر ما انتشر فيه من الأرواح الخبيثة ، والاستعاذة من شر النفاثات تتضمن الاستعاذة من شر النفوس الساحرة وسحرهن ، ومن شر حاسدٍ تتضمن الاستعاذة من شر النفوس الخبيثة المؤذية .

وسورة قل أعوذ برب الناس تتضمن الاستعاذة من شر الانس والجن المشار إليه بقوله الوسواس أي الذي يوسوس للآدمي عند غفلته عن ذكر الله تعالى . الخناس : الذي يخنس عند ذكر الله تعالى ، من الجنة والناس : بيان للشيطان الوسوس أنه جني وإنسي . قال تعالى : ﴿ شياطين الانس والجن ﴾ أو من الجنة : بيان للشيطان الوسوس ، والناس : عطف على الوسواس اه ملخصاً من شرح المواهب .

وفي هذا تنبيه إلى خطر الوسواس وكبير إفساده وضرره ، وأن الانسان ينبغي له أن يعوذ برب الناس ، ملاك الناس ، إله الناس ، ليحفظه من شر الوسواس الخناس ، وإذا لم يفعل ذلك فهو في مهاوي الضلال ومهامه الهلاك .

وفي السنن عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ المعوذات في دبر كل صلاة .

ثالثها - قراءة آية الكرسي ، وتقدم عن أبي هريرة في الصحيح أن من قرأها إذا أوى إلى فراشه فإنه لن يزال عليه من الله حافظ ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح .

وكذلك قراءة خاتمة سورة البقرة ، فيها وقاية من الشياطين . فروى الترمذي عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال : « إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام ، أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة ، ولا يقرأ بهنَّ في دارٍ ثلاث ليالٍ فيقربها شيطان » . رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم .

وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي مسعود قال قال رسول الله ﷺ : « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلةٍ - وفي رواية : في ليلته - كفتاه شرَّ الشياطين والآفات ، ومن المساوىء والمكاره ، وقيل : معناه حسبه بهما فضلاً وأجرًا ، أو إنها أقلُّ ما يجزىء من القراءة في قيام الليل .

هذا وإن قراءة سورة البقرة في البيت تنزل عليه الخير والبركة ، وتبعد عنه الشياطين وتحفظ أهل البيت من السحرة ، كما جاء في

الحديث الذي رواه مسلم عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال : « اقرأوا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا يستطيعها البطلة » . يعني أن المواظبة على تلاوتها والعمل بها نماء وبركة في العمل والعمر والرزق ، وترك تلاوتها حسرة وفوات خير وبركة ، ولا يستطيعها البطلة أي السحرة ، لأن لها سلطاناً وقوة .

وقد ورد أن تلاوة القرآن تنزل لها الملائكة كما تقدم في الأحاديث الصحيحة ، ومتى نزلت الملائكة انهزمت الشياطين ، سيما إذا قرئ القرآن جهرًا في الليل ، فقد روى أبو داود عن أبي قتادة أن النبي ﷺ قال لعمر : « مررتُ بك وأنت تصلي رافعاً صوتك » فقال عمر : يا رسول الله أوقِظ الوسنان وأطرد الشيطان . فقال له ﷺ : « اخفض شيئاً » .

رابعها - من جملة ماورد لأجل التحفظ والتحرز من شرور الشياطين ، مارواه الشيخان وأصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد - وفي رواية للبزار : يحيي ويميت - وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة : كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومُحِيتْ عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من

الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك . »

خامسها - الإكثار من ذكر الله تعالى ، فإن ذكر الله تعالى حصن حصين للذاكر ، كما روى الترمذي وأحمد من حديث الحارث الأشعري أن النبي ﷺ قال : « إن الله تعالى أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا ، فذكر الحديث وقال في الخامسة : وأمركم أن تذكروا الله تعالى ، فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً ، حتى أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم ، قال : وكذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى . »

وروى البيهقي وابن أبي الدنيا وأبو يعلى عن أنس مرفوعاً : « إن الشيطان واضع خطمه - أي فمه - على قلب ابن آدم ، فإن ذكر الله خنس ، وإن نسي التقم قلبه ، فذلك الوسواس الخناس . » وقال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ من شر الوسواس الخناس ﴾ : الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فاذا سها وغفل وسوس ، فاذا ذكر الله خنس . اهـ . وذلك لأن لذاكر معية إلهية خاصة ، كما جاء في صحيح ابن حبان أن النبي ﷺ قال : « إن الله عز وجل يقول :

أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه . ولأن ذاكر
الله تعالى تحف به الملائكة ، فكيف يستولي عليه الشيطان؟! وقد
فصلنا ذلك فيما سبق . اللهم اجعلنا من الذاكرين الله كثيراً .

ومن أجمع التعاويذ وأقواها تأثيراً ما جاء عن أبي هريرة رضي الله
عنه أن النبي ﷺ قال : « رأيت ليلة أُسري بي عفريتاً من الجن
يطلبني بشعلة من نار ، كلمتها التفت رأيتها ، فقال لي جبريل عليه
السلام : ألا أعلمك كلمات تقولها فتطفئ شعلته ويخترق فيه - أي
يقع على وجهه - فقال رسول الله ﷺ : بلى . فقال جبريل : قل
أعوذ بوجه الله الكريم ، وبكلمات الله التامات ، التي لا يجاوزهن
برٌّ ولا فاجر ، من شر ما ينزل من السماء ، ومن شر ما يعرج فيها ،
ومن شر ما ذرأ في الأرض ، ومن شر ما يخرج منها ، ومن فتن الليل
والنهار ، ومن طوارق الليل والنهار ، إلا طارقاً يطرق بخير يارحم»^(١) .
فهذه جملة موجزة من الأسباب الواقية من شرور الشياطين ووسوستهم ،
ومن أراد التوسع في ذلك فليرجع إلى كتب السنة النبوية .

(١) رواه مالك عن يحيى بن سعيد مرسلًا ، ورواه النسائي من حديث ابن
مسعود بنحوه ، ورواه أحمد وأبو يعلى ، ولكل منها إسناد جيد محتج به ،
عن عبد الرحمن بن خنيس التميمي رضي الله عنه ، وقد سئل كيف صنع
رسول الله ﷺ ليلة كادته الجن؟ فذكر الحديث وقال في آخره :
فطفئت نارهم ، وهزمهم الله تبارك وتعالى . اهـ كما في ترغيب المنذري .

مصير عالم الجن يوم القيامة

أجمع العلماء على أن كفّار الجن هم في النار يوم القيامة، لورود ذلك بنص الآيات القرآنية . قال تعالى : ﴿ ولكن حق القول مني لأملأنّ جهنّم من الجنّة والناس أجمعين ﴾ وقال تعالى : ﴿ قال ادخلوا في أمم قد خلّت من قبلكم من الجنّ والانس في النار ﴾ . وقال تعالى : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنّم كثيراً من الجن والانس ﴾ وقال تعالى : ﴿ فكبّكبوا فيها هم والغاؤون . وجنود إبليس أجمعون ﴾ وقال تعالى إخباراً عن الجن ﴿ وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون . فمن أسلم فأولئك تحرّوا رشداً . وأما القاسطون فكانوا لجهنّم حطباً ﴾ .

وهذه الآيات تدل على أن الجن مكلفون بالشرائع التي جاءت بها الرسل ، ووجوب اتباعهم لهم ، وقد تقدم الكلام على عموم بعثة سيدنا محمد ﷺ إلى كافة الجن ، كما عمّت كافة الانس ، وأنه يجب على الجن طاعته ﷺ كما يجب على الانس .

فان قيل : إن الجن خلقوا من نار ، فإذا توتّر فيهم نار الشهاب في الدنيا ونار العذاب في الآخرة ؟

فقد أجاب المحققون عن ذلك بأنه لا يلزم إذا كان الجن خلقوا من نار أن يكونوا ناراً ، أو أن النار لا تؤلمهم ، فان الانس خلقوا

من تراب ، ولكنهم ليسوا تراباً ، بل أنشأهم الله تعالى وطوّرهم وصوّرهم ، ولو أن إنسياً أهيل عليه التراب أو هُدم عليه بيت من التراب لاستغاث من الأوجاع والآلام ، وهكذا الجن خلقوا من نار ولكنهم ليسوا بنار ، بل أنشأهم الله تعالى وطوّرهم وصوّرهم ، وإن النار تؤلمهم وتحرقهم .

وأما حكم مؤمني الجن في الدار الآخرة : فالجماهير على أنهم في الجنة ، وذهبت طائفة من العلماء إلى أن ثواب المؤمنين منهم هو نجاتهم من النار ، ثم يكونون تراباً ، أو يبقون على الأعراف .
واستدلوا على ذلك بقوله تعالى إخباراً عنهم : ﴿ يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به ، يغفر لكم من ذنوبكم ويحزكم من عذاب أليم ﴾ . فجعل غاية ثوابهم إيجارهم من العذاب الأليم وقد أستدل الجماهير على أن مؤمن الجن في الجنة ، كما أن كافر الجن في النار بقوله تعالى : ﴿ يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتي ﴾ ففي هذا دليل على أن الله تعالى أرسل الرسل صلوات الله عليهم إلى الانس والجن ، والرسل إنما جاءوا مبشرين ومنذرين ، كما قال تعالى ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ وقد ترجم البخاري على ذلك في صحيحه فقال : باب ذكر الجن وثوابهم وعقابهم ، لقوله تعالى : ﴿ يامعشر الجن والإنس ألم

يأتكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتي .. ﴿ الآية . بخساً : نقصاً .
قال مجاهد : ﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ﴾ . قال كفار قريش :
الملائكة بنات الله ، وأمهاتهم بناتُ سرّوات الجنّ . قال الله تعالى
﴿ ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون ﴾ سيحضرون للحساب . ثم
أورد حديث أبي سعيد بالسند المتصل : « إذا كنت في غنمك وباديتك
فأذنت بالصلاة ، فارفع صوتك بالنداء ، فإنه لا يسمع مدى صوت
المؤذن جنٌّ ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة » قال
أبو سعيد : سمعته من رسول الله ﷺ . اهـ .

وقال تعالى إخباراً عن الجن ﴿ وأنتألمنا سمعنا الهدى آمنا به ،
فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً ﴾ . فالبخس هو النقص ،
والرهق هو الظلم . فالبخس المنفي هو نقصان الثواب ، والرهق المنفي
هو الظلم والزيادة في العقوبة على الإساءة ، فهو سبحانه لا ينقص من
ثواب محسنهم ، ولا يزيد في سيئات مسيئهم . وهذا نظير قوله تعالى
﴿ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً ﴾ .
وبذلك استدل البخاري على ثواب الجن المؤمنين .

وقال تعالى في سورة الرحمن ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان .
فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ . فهذه الآيات تتناول صنفين الجن
والإنس ، بدليل أن « من » عامّة ، وبدليل قوله ﴿ فبأي آلاء ربكما

تكذبان ﴿ فانه خطاب للانس والجن . وقد نقل عن الامام مالك أنه استدل بذلك على ثواب مؤمني الجن .

وقال تعالى ﴿ فيهنّ قاصرات الطّرف لم يطمثنّ إنس قبلهم ولا جانّ . فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ . وقال تعالى : ﴿ حور مقصورات في الخيام . فبأي آلاء ربكما تكذبان . لم يطمثنّ إنس قبلهم ولا جانّ . فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ . فهذا مما يدل على أن مؤمني الجن في الجنة .

هذا وقد أجملنا البحث حول عالم الجنّ ، وذكرنا بعض ما فيه الكفاية ، بعدما فصّلنا الكلام على عالم الملائكة عليهم السلام . والله تعالى نسأل ، وبرسوله الأكرم ﷺ نتوسّل ، أن يدخّلنا في زمرة عباده الذين قال فيهم : ﴿ أولئك الذين نتقبّل عنهم أحسن ما عملوا ، ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنّة ، وعند الصّدق الذي كانوا يوعدون ﴾ .

وصلّى الله على سيدنا وشفيّعنا محمد ، وعلى آله وأصحابه والتابعين ، عدد خلق الله تعالى ، ورضاء نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته ، وسبحان ربك رب العزّة عمّا يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين . وكان الفراغ من تدوين هذا الكتاب يوم الاثنين الموافق ١٢

من شهر صفر ١٣٩٢ هـ .

الفهرس

٣	المقدمة ، وفيها : بيان الحكيم من الايمان بالملائكة عليهم السلام .
١٠	وجوب الايمان بالملائكة عليهم السلام .
١٩	حقيقة الملائكة عليهم السلام .
٢٣	تمثلات الملائكة ، وفيه : مجيء الملائكة ضيوفاً إلى سيدنا إبراهيم وإكرامه لهم من وجوه عديدة .
٢٦	تمثلات جبريل عليه السلام حسب المناسبات .
	عالم المثال
٣٢	حكم الجسم المثالي ، والأدلة عليه ، ونبحث حول مجيء ملك الموت إلى سيدنا موسى لقبض روحه .
٣٦	تمثلات المعاني بصور مثالية ، وفيه : تمثيل القرآن ، والرحيم .
٤٠	تمثلات الأعمال في عالم القبر وما وراءه من عوالم الآخرة .
٤٣	تمثلات الأقوال : التسبيح ، والتحميد ، وقراءة القرآن .
٤٦	تمثلات الأموال : تمثل المال الذي لم تؤدّ زكاته .
٤٨	تمثلات أيام الدنيا يوم القيامة .
٤٩	عبادة الملائكة وخشيتهم من الله تعالى .
٥٠	صلاة الملائكة لله تعالى .
٥٢	خوف الملائكة من الله تعالى ، وفيه : شرح أسباب الخوف .
٥٦	تكريم الله تعالى للملائكة ، وذكره لهم في مناصب العز والشرف .
	رؤساء الملائكة عليهم السلام
٦٠	جبريل : صفاته : رسول ، كريم ، ذو قوة ، مكين ، مطاع ، أمين ، روح القدس .
٦٥	من وظائفه : تنزيله بالشرائع على الرسل عليهم الصلاة والسلام .
٦٨	تأييد الله تعالى رسوله بجبريل عليهم الصلاة والسلام .
٧٠	كفاية الله تعالى النبي عليه الصلاة والسلام شراً مستهزئين ، بواسطة جبريل .
٧٢	تأييده تعالى أنصار الرسول ﷺ بجبريل .

٧٣	تحبيب الله تعالى جبريل بأحبابه المؤمنين الصالحين .
٧٤	تهديده تعالى المعاندين لرسوله بواسطة جبريل .
٧٥	أخذه سبحانه بالعقوبات لتاركى الشرائع بواسطة جبريل .
٨١	القوى الملكية والعظمة الجبريلية .
٨٥	خشية جبريل من الله تعالى .
٨٦	تلقى جبريل الوحي عن الله واستغراق الملائكة من هبة الوحي .
٨٧	إكرام رسول الله ﷺ لجبريل .
٨٨	إسرافيل عليه السلام وبعض وظائفه .
٩٤	حول ميكائيل عليه السلام .
٩٦	حملة العرش المجيد : عدد ، عظمتهم ، هيبتهم ، وظائفهم .
١٠٦	الملا الأعلى ، الندي الأعلى ، الرفيق الأعلى .
١١٢	الكروبيون . ١١٣ المهيمنون . ١١٤ مقام آدم عنده .
١١٦	خزنة الجنة ، ورئيسهم رضوان ، وبيان لم سمي « رضواناً » .
١٢١	خزنة النار ، ورئيسهم مالك ، وصفاتهم .
١٣٦	أصناف الملائكة عليهم السلام
١٣٠	مواقف الملائكة من الانسان بالنسبة لأمواله التكوينية أو الدينية :
١٣٠	الموكلون بتطوير النطفة ، ونفخ الروح فيها .
١٣٢	تعداد وشرح الكتابات الالهية المشتملة على جميع الأقوال والأعمال ..
١٣٦ ت	شرح حديث « فحج آدم موسى » .
١٣٨ ت	بيان مطوّل أن كتابة المقادير على الانسان لا تنفي اختياره لأفعاله .
١٤١	الملائكة الموكلون بكتابة جميع أقوال بني آدم وأفعاله ، وهل يكتبون على الانسان كلامه المباح ؟
١٤٥	اطلاع الملائكة الكاتبين على ما في قلوب بني آدم ، وماذا يعملون بعد موت الموكلين به .
١٥٢	بيان الحكيم في كتابة أعمال بني آدم .
١٦٠	الموكلون بحفظ بني آدم من المضار ، بإذن الله تعالى .
١٦٢	القرين من الملائكة يدلّ ابن آدم على الخير .

- ١٦٣ ملائكة الامة بآدم ، وفيه : أقسام الخواطر التي ترد على القلوب وشرحها .
- ١٦٨ حضور الملائكة مجالس العبادات
- شهودهم يوم الجمعة ، وصلاته ، والصلاة ، والمصلي ، ومجالس الذكر والقرآن والصلاة على النبي ﷺ .
- ١٧٧ إكرامهم للذاكرين الله والتالين للقرآن ، وتنزلهم بالسكينة على قارئه .
- ١٨١ حقهم طالب العلم ، ووضعهم له أجنتهم ، وشرح هذا الوضع .
- ١٨٥ ت كلمة مسبهة في إكرام الله لأولى العلم ، وبيان ماهو العلم النافع .
- ١٨٧ بيان من تصلي عليه الملائكة .
- ١٩١ دنو الملائكة ممن رقت قلوبهم بالوعظ والتذكير ، ومن أماكن القرآن ، ومن الذاكرين والمذكّرين .
- ١٩٦ ت تنبيه الشيخ الأكبر رضي الله عنه للوعظ أن يتحرى الضحة في تذكيره ووعظه .
- ١٩٨ ولاء الملائكة وتنزلهم على الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا .
- ٢٠٢ ما تأذى منه الملائكة وما تنفر منه .
- ٢٠٥ من تلعه الملائكة .
- ٢٠٧ ملائكة التوفية وفيه : حديث البراء في إكرامهم الروح الطيبة ، وإهانتهم الروح الخبيثة .
- ٢١٥ ملائكة السؤال في القبر ، وعمّ يكون السؤال ؟ .
- ٢٢٠ مواقف الملائكة ووظائفهم المنوطة بالأركان المحيطة بالإنسان : الموكلون بالجبال ، وبالسحب يسوقونها حيث يؤمرون ، وبالرياح .
- ٢٢٣ عصمة الملائكة من المعصية
- ٢٢٦ بيان أن لا ذنب منهم في قولهم « أتجعل فيها من يفسد فيها .. » .
- ٢٢٩ شرح قصة هاروت وماروت ، وبيان أنه ليس فيها ما يخل بعصمة الملائكة .
- وبه يتم الكلام عن الايمان بالملائكة عليهم السلام .
- حول عالم الجن
- ٢٣٤ إثبات الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام لعالم الجن .
- ٢٣٥ خلق الجن ، وفيه : مادتهم الخلقية ، وبيان أنه ليس إبليس أباً أولاً للجن .
- ٢٣٧ صفاتهم الخلقية ، وتعريفهم ، وشرح التعريف .
- ٢٤٠ إخباره تعالى عن قوة الجن .

- ٢٤٤ مطالبة الجن بالتكاليف الشرعية ، مع تفصيل الأدلة القرآنية على ذلك .
- ٢٥١ بلوغ دعوة الرسل لعالم الجن ، وهل في الجن نبي مرسل إليهم منهم ؟
- ٢٥٤ بلوغ دعوة نبينا ﷺ لعالم الجن والأدلة على ذلك .
- ٢٥٨ أصناف الجن وافتراقهم على طرائق ، وفيه الأدلة على أن إبليس من الجن لا من الملائكة .
- ٢٦١ موقف الشيطان من الانسان ، وفيه : وجوه عداوة الشيطان للانسان .
- ٢٦٤ تعداد جملة موجزة مما يحفظ الانسان من الشيطان ، كالتعوذ، والتسمية .. وتعويذات نبوية نافعة جامعة .
- ٢٧٣ مصير عالم الجن يوم القيامة ، وبيان أن النار تؤلمهم ، وإن كانوا قد خلقوا منها .
- ٢٧٤ الجماهير من العلماء على أن مؤمني الجن في الجنة ، وأدلة ذلك .

كتب للمؤلف

- حول تفسير سورة الفاتحة - أم القرآن الكريم .
- حول تفسير سورة الحجرات .
- حول تفسير سورة ق .
- حول تفسير سورة الملك .
- حول تفسير سورة الإنسان .
- حول تفسير سورة الكوثر .
- حول تفسير سورة ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ .
- حول تفسير سورة الإخلاص والمعوذتين بعدها .
- هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان .
- هدي القرآن الكريم إلى معرفة العوالم والتفكر في الأكوان .
- تلاوة القرآن المجيد - فضائلها - آدابها - خصائصها .
- شهادة لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله ﷺ - فضلها - معانيها - مطالبها .
- سيدنا محمد رسول الله ﷺ - خصاله الحميدة - شمائله المجيدة .
- الهدى النبوي والإرشادات المحمدية ﷺ إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب السنية .
- التقرب إلى الله تعالى : فضله - طريقه - مراتبه .
- الصلاة في الإسلام : منزلتها في الدين - فضائلها - آثارها - آدابها .
- الصلاة على النبي ﷺ : أحكامها - فضائلها - فوائدها .
- صعود الأقوال ورفع الأعمال إلى الكبير المتعال ذي العزة والجلال .
- الدعاء : فضائله - آدابه - ما ورد في المناسبات ومختلف الأوقات .
- الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها .
- الإيمان بالملائكة عليهم السلام ومعه بحث حول عالم الجن .
- شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث .
- أدعية الصباح والمساء ومعها استغاثات .
- وكلها تطلب من مكتبة دار الفلاح حلب :

أقول أمام جامع أسامة بن زيد

هاتف ٣٦٣٩٣٠٠ - ٣٦٢٣٧٥٧